شبه الجزيرة العربية ومصر
والتجارة الشرقية القديمة

﴿ دراســة وثائقية ﴾

الدكتور
محمد السيد محمد عبد الغنى
أستاذ التاريخ اليونانى والرومانى
كلية الاداب - جامعة الاسكندرية

١٩٩٩

المكتب الجامعى الحديث
١٤ شارع دينوقراط - الأزاريطة - اسكندرية

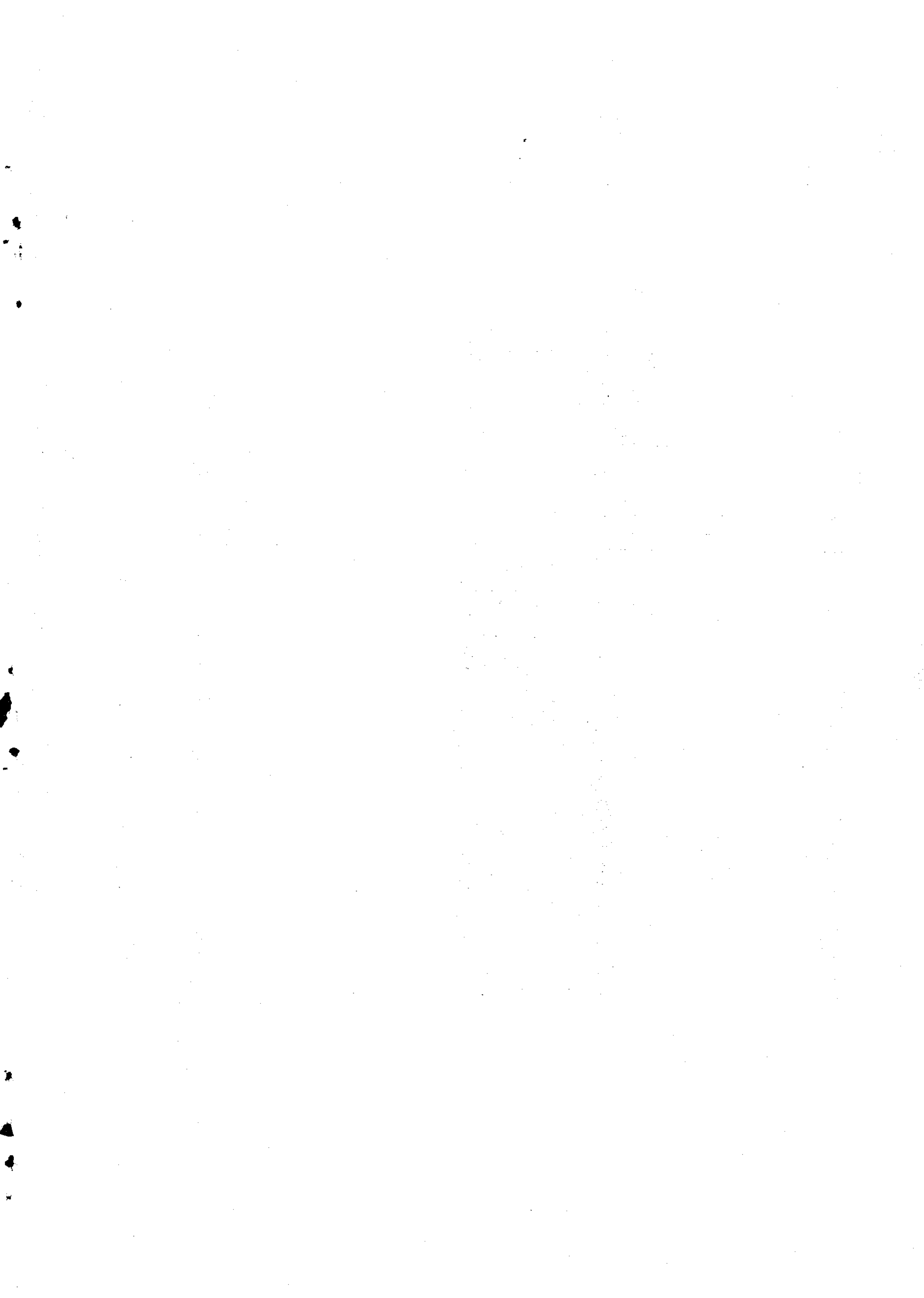
الإهداء

إلى أستاذى الجليل

الذى أدين له بفضل العلم والقيم الرفيعة

الأستاذ الدكتور/ مصطفى العبادى

محبةً ووفاءً

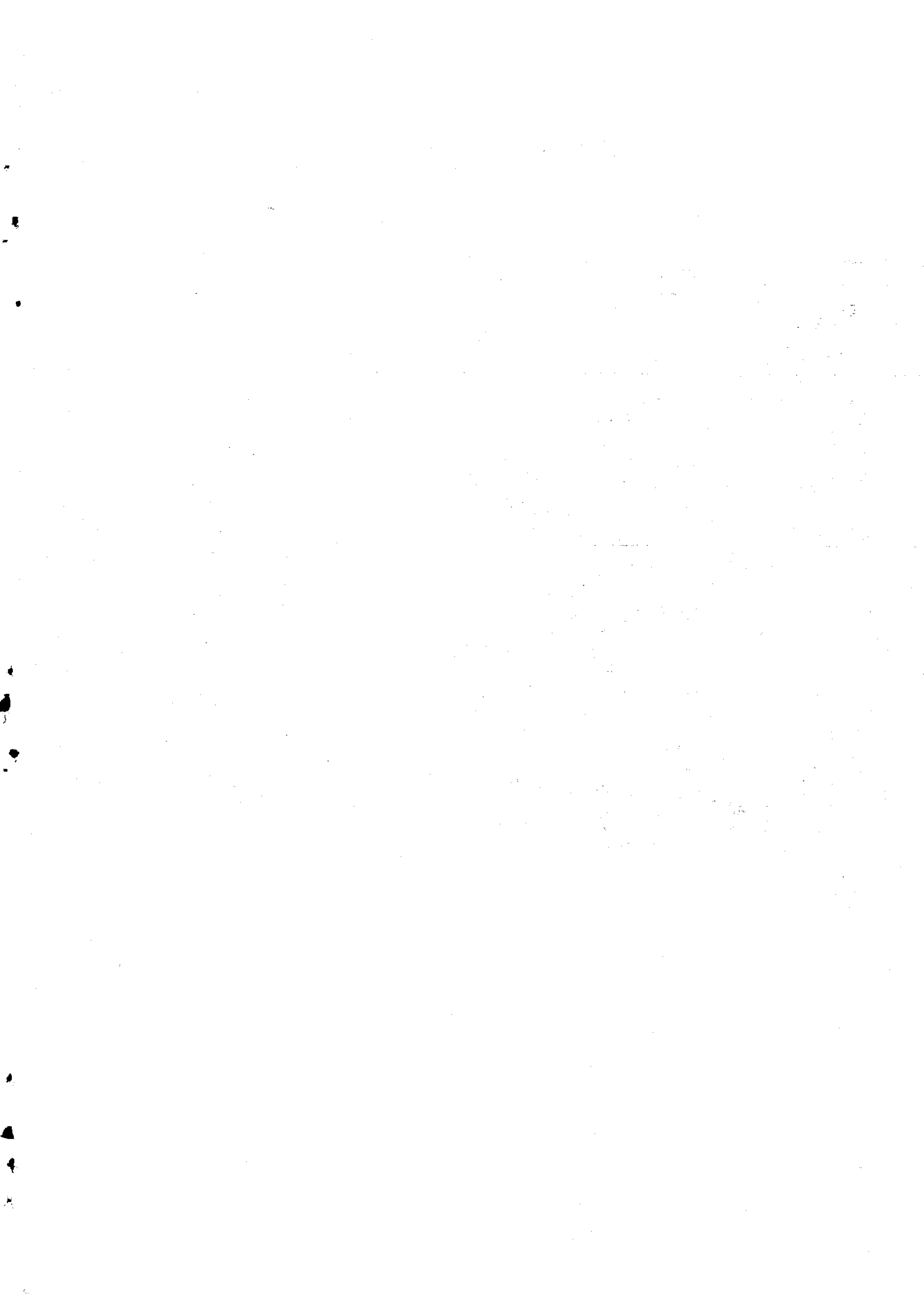


شكر وتقدير

أتوجه بخالص الشكر والتقدير لكل من عاونني في إنجاز معظم أبحاث هذا الكتاب وعلى رأسهم جامعة الكويت التي قدمت لي الدعم المادي والمعنوي لإنجاز الباب الثاني من هذا الكتاب في بحث كان عنوانه : " دور شبه الجزيرة العربية في التجارة الشرقية للإمبراطورية الرومانية ـ دراسة وثائقية " في العام الجامعي ٩٥/١٩٩٦

كما أتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على مكتبة كلية الآداب / بنين بجامعة الكويت وخصوصاً السيدة / سعاد العتيقي مسئولة المكتبة والسيدة/ حنان رمزي مسئولة القسم الأجنبي بالمكتبة لتعاونهم الصادق معي واحضار الكثير من المقالات التي كنت في حاجة ماسة إليها من المكتبات الأوربية .

كما أتوجه بالشكر الخالص للقائمين على مكتبة متحف الأشموليان Ashmolean في أوكسفورد بالمملكة المتحدة لمعاونتهم الكبيرة لي خلال وجودي هناك لجمع مادة البحث في صيف عام ١٩٩٥ .



المحتويات

مقدمــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

مع بداية عام ١٩٨٧ جال بخاطرى أن أكتب بحثاً عن " العرب " فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان • وشجعنى على ذلك أننى ــ فى أثناء إعدادى لبحوث أخرى عن مصر فى تلك الفترة ـ وجدت فى الوثائق البردية والنقوش ذكراً متكرراً لهؤلاء العرب الذين كانوا يفدون إلى مصر للتجارة وغيرها وكيف أن بعضهم استقر فيها • ولما وجدت أن المادة المتاحة فى المصادر تكفى لإنجاز بحث معقول شرعت فى كتابته وراجعت الآراء المتناثرة المذكورة فى المراجع الحديثة عن الموضوع وناقشتها ووصلت إلى آراء واستنتاجات لابأس بها • وفى خريف ذلك العام اشتركت بهذا البحث ـ باللغة الانجليزية ـ فى مؤتمر عقد فى مدينة بولونيا بإيطاليا بمناسبة مرور ألف عام على إنشاء جامعة بولونيا ، ولاقى البحث استحساناً وقبولاً طيباً من عدد من الاساتذة المشاركين من الجامعات الأوروبية •

وفى عام ١٩٨٩ / ١٩٩٠ قضيت عاماً فى المانيا الغربية (حينذاك) وقمت بتصوير قدر كبير من مادة المصادر القديمة والمراجع الحديثة عن عدد من الموضوعات المختلفة التى كنت ازمع إنجازها فى جدول زمنى ، وكان من بين هذه المادة المصورة قدر كبير عن مدينة " قفط " فى مصر العليا وكيف لعبت دوراً كبيرًا فى تجارة مصر الشرقية مع بلاد العرب وشرق أفريقيا والهند ، خصوصاً فى فترة الحكم الرومانى لمصر • وكانت

هذه النقطة مفتاحاً لاستكمال الحديث السابق عن علاقة مصر مع الجزيرة العربية فى تلك الفترة ولإيضاح مدى ما وصلت إليه هذه العلاقات وقتذاك من رسوخ واستقرار • ولكنى أجلت كتابة هذا الموضوع إلى حين حيث كنت منهمكاً فى أبحاث أخرى •

وفى عام ١٩٩٢ أعرت للعمل بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الكويت حتى يونيو عام ١٩٩٨ ، وكانت فترة مثمرة جداً فى عملى البحثى بسبب تفرغى للدراسة والبحث بعيدًا عن الشواغل اليومية الكثيرة فى مصر وتشجيع جامعة الكويت للبحث العلمى معنوياً ومادياً وحفزها لأعضاء هيئة التدريس بها على ذلك • وهذه مناسبة طيبة لإعراب عن شكرى وتقديرى وامتنانى لتلك الجامعة ومسئوليها • وكان من أبحاثى العديدة هناك بقية فصول هذا العمل • إذا انجزت هناك الفصل الخاص بقفط وشاركت به ـ باللغة الانجليزية ـ فى مؤتمر دولى عقد فى روما سنة ١٩٩٥ بعنوان "مصر فى ايطاليا منذ القدم حتى العصور الوسطى ونُشر البحث فى كتاب المؤتمر لاحقاً ونال استحساناً وتقديراً وكان من بين أبحاث ترقيتى لدرجة الأستاذية " التى حصلت عليها فى فبراير سنة ١٩٩٦ كما أن البحث الأول عن " العرب فى مصر " كان قد نشر فى مجلد مؤتمر بولونيا المذكور اعلاه ، وكان من ابحاث ترقيتى فى درجة أستاذ مساعد " عام ١٩٩٠ •

هذان البحثان كوّنا لدىّ خلفية طيبة عن علاقة العرب بمصر فى عصرى البطالمة والرومان ولا سيما العلاقات التجارية وما ترتب عليها من احتكاك أوسع مدىً وأكثر تشعباً ـ كل ذلك قبل الفتح العربى لمصر بقرون عديدة •

وفى خلال العامين الدراسيين من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٦ كانت جامعة الكويت قد وافقت مشكورةً على قيامى ببحث مدعّم من قبل الجامعة عنوانه " دور شبه الجزيرة العربية فى التجارة الشرقية للإمبراطورية الرومانية ــ دراسة وثائقية " ٠ وفى إطار هذا البحث المدعوم سافرت إلى المملكة المتحدة فى صيف عام ١٩٩٥ وجمعت مادة وثائقية غزيرة حول الموضوع من المصادر القديمة وعدد كبير من أحدث المراجع ٠ وعكفت خلال العام الجامعة ١٩٩٦/٩٥ على إنجاز الباب الثانى من هذا المبحث عن تجارة شبه الجزيرة العربية فى مبحثين أحدهما عن " الجرهاء " فى شرق شبه الجزيرة على الخليج العربى ، والآخر وهو مبحث واسع وكبير ويعد من أهم فصول هذا الكتاب عن " مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية وتجارتها خلال القرنين الأولين بعد الميلاد " ٠ وقد شاركت بالبحث الأول فى ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٩٦ عن " الخليج العربى على مر العصور التاريخية " ونشر فى كتاب المؤتمر ، كما شاركت بجزء من المبحث الثانى فى الندوة الأخيرة لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٩٨ بعنوان " مصادر التاريخ العربى على مر العصور " وكان عنوان بحثى " مصادر القرنين الأول والثانى للميلاد حول مناطق انتاج وتصدير اللبان العربى ـ رؤية نقدية " ، والبحث تحت النشر فى مجلد الندوة ٠

هذه هى القصة الطويلة والشاقة والممتعة فى انجاز فصول هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، لعله يكون نافعاً للقراء والباحثين الكرام ٠ ولعل من المناسب فى هذا السياق أن أذكر أن هذا الكتاب استغرق وقتاً وجهداً كبيرين لأنى لم أشأ أن يكون الكتاب مجرد سرد طويل وممل ومألوف

لمعلومات يمكن إحالة القارئ إليها فى مراجع أخرى كثيرة ٠ إن رؤيتى ببساطة للبحث العلمى هو أن يكون إسهاماً وإضافة جديدة لما سبق أن عرفه الناس من قبل ، أما التكرار والنقل فهو خارج منظومة البحث العلمى٠ ولذلك حاولت جاهداً فى هذا الكتاب ـ بفصوله العديدة ـ أن أطبق ذلك وأن تكون لى آراء مميزة تستند على قرائن وبراهين وثائقية قد تتفق أو تختلف مع بقية الباحثين ، ولكن يبقى الفيصل فى هذه القضايا ما أقدمه من تفسير ـ قد يصيب وقد يخطئ ـ للوثائق التى اتناولها فى كل جزئية ٠ فإن أصبت فى بعض الآراء فبها ونِعمَ وإن أخطأت فى بعضها فيكفينى شرف المحاولة والاجتهاد ٠ كما حرصت فى معظم هوامش البحث ــ فى نهاية كل فصل ــ على أن أورد النصوص الأصلية للمصادر القديمة ــ خصوصاً باليونانية واللاتينية ــ حتى تكون هى الحكم فيما أوردت من تفسيرات لها من ناحية ، وحتى تكون فى متناول القارئ والباحث ليتستفيد منها مباشرةً من ناحية أخرى ٠

" رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى "
صدق الله العظيم

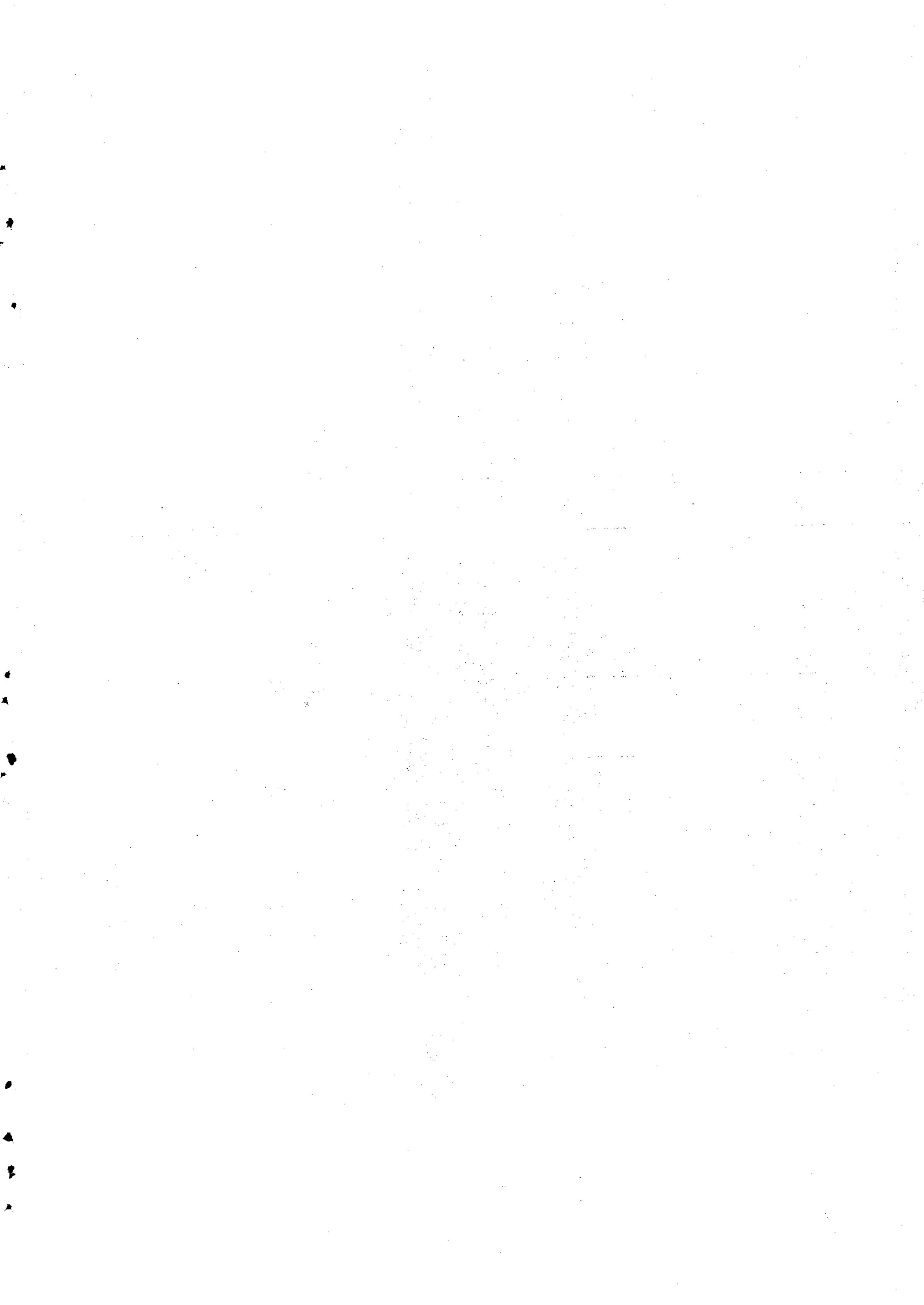
محمد عبد الغنى

٥ يناير سنة ١٩٩٩ م

الموافق ١٧ رمضان سنة ١٤١٩ هـ

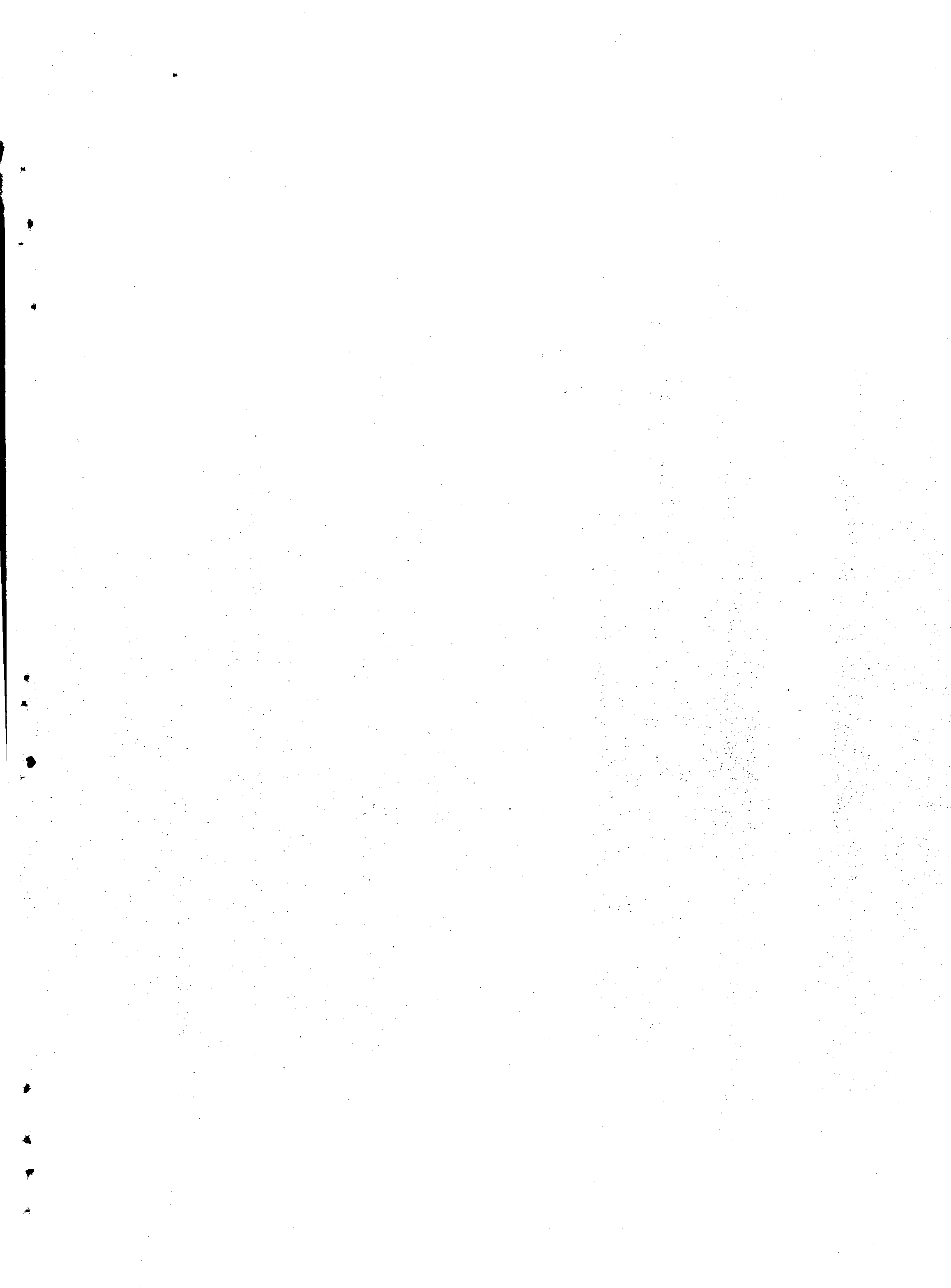
الباب الأول

" مصر والعرب فى عصرىّ البطالمة والرومان "



الفصل الأول

" العرب " فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى فى ضوء الوثائق البردية والنقشية



" العرب " فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى فى ضوء الوثائق البردية والنقشية

هذا المبحث هو محاولة لإلقاء بعض الضوء على الوجود العربى فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى من خلال المادة المتاحة فى البردى والنقوش • ولكن قبل معالجة هذه المادة الوثائقية يجدر بنا أن نوجز المحاولات المبكرة من جانب حكام مصر من إغريق ورومان للتواصل مع شبه جزيرة العرب •

لقد أمر الاسكندر الأكبر – ومن بعده بطلميوس الثانى فيلادلنوس – المستكشفين الإغريق بالإبحار حول شبه جزيرة العرب من بابل حتى هيروبوليس (خليج السويس) والعكس • لكن هؤلاء المستكشفين لم يتمكنوا من إكمال الإبحار حول الجزيرة العربية وعادوا إلى النقاط التى انطلقوا منها بعد أن قطعوا مسافات متفاوتة : فمن هيروبوليس وصل أناكسيكراتيس – فى زمن الاسكندر – حتى باب المندب ، وفى فترة حكم بطلميوس الثانى فيلادلفوس أرسل أريستون لاستكشاف السواحل العربية للبحر الأحمر فقام باستكشاف ساحل شبه جزيرة سيناء حتى رأس خليج العقبة ومملكة الأنباط ثم أتجه جنوباً بمحاذاة الساحل الغربى للجزيرة العربية حتى وصل حدود مملكة معين[١] •

وعلى أثر ذلك قام بطلميوس الثانى فيلادلفوس بشن حملتين متعاقبتين ضد الأنباط ثم شبه الجزيرة العربية بالترتيب • وتؤرخ الحملة ضد الأنباط بعام ٢٧٨ ق•م• وكان الغرض منها هو تأديب عرب الأنباط الذين اشتهروا بالإغارات والقرصنة وهاجموا وأزعجوا التجار المصريين بعد أن استفزهم ظهور أريستون – مستكشف فيلادلفوس – فى مملكة الأنباط • أما الحملة الثانية ضد شبه جزيرة العرب فقد شُنت فى العام التالى ٢٧٧ ق•م•

لأغراض اقتصادية " إذ كان الدافع الرئيسى وراء تصرفات فيلادلفوس اقتصادياً فى أغلب الأحوال "، [٢] وربما كان يريد أن يحوّل إلى مصر جزءاً من تجارة طريق البخور الصاعد من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية حتى بلاد الأنباط شمالاً . وقد كان ذلك هو بالضبط هدف حملة أيليوس جالوس – الوالى الرومانى على مصر تحت حكم الامبراطور أغسطس – ضد بلاد العرب[٣] .

وكان أحد نتائج حملة فيلادلفوس على الجزيرة العربية هو إرساء علاقات طيبة مع مملكة معين ، وهى علاقات نمت وازدادت بعد هذه الحملة كما يتضح من بعض القرائن والشواهد[٤] . فى الواقع فإن المعينيين كانوا معروفين فى مصر منذ أمد طويل قبل الحكم البطلمى ، وهناك نقش شهير يشير إلى العلاقة التجارية بين معين ومصر فى القرن الرابع ق.م. [٥] كما أن هناك نتيجة أخرى لتلك الحملة ألا وهى إقامة مدينة أمبيلونى – ربما على يد فيلادلفوس – وهى المدينة التى ربما طلب إلى أهل ميليتوس استيطانها نيابةً عنه فى الجزيرة العربية ما بين عامى ٢٧٧ – ٢٦٠ ق.م. وذلك على الساحل العربى للبحر الأحمر (الحالى) وذلك من أجل منافسة السليوقيين الذين كانوا يحتفظون بعلاقات طيبة مع الجرهائيين الأثرياء على الجانب الشرقى من جزيرة العرب على الخليج العربى . ولما كانت الجرهاء تزوّد السلوقيين بالبخور فإن منتجات بلاد العرب الجنوبية والهند التى كانت تأتى إلى " العُلاّ " التابعة لمعين على طريق البخور كانت تُصدّر – جزئياً – إلى مصر عبر أمبيلونى [٦] .

وعلى الرغم من العداوات التى كانت قائمة بين البطالمة والأنباط فى عهد فيلادلفوس[٧] وفيلوباتور[٨] وكليوباترا[٩] فقد كانت هناك علاقات تجارية بين المملكتين عن طريق البحر بين هيروبوليس (السويس) وإيلانا (العقبة/

ميناء الأنباط على خليج العقبة) حول شبه جزيرة سيناء ، كما أن وجود الأنباط فى مصر ثابت من خلال عدد من الشواهد النقشية[١٠] .

أما عن تجار شبه جزيرة العرب فقد كانوا يحملون جزءاً من المنتجات العربية وكذلك الهندية والإفريقية كالطيوب والعطور والحيوانات المفترسة وجلودها ... الخ إلى مصر . (ستتم معالجة هذه النقاط تفصيلياً فى الفصول اللاحقة من هذا المؤلف) . وكانوا يستعملون إما طريق البخور بمحاذاة الساحل الغربى للجزيرة العربية حتى البتراء (عاصمة الأنباط) ومن هناك إلى غزة ومنها إلى الاسكندرية سواءً عبر البحر أو بالطريق النهرى المثلث حول الدلتا [١١] أو يستعملون الطريق الآخر عبر البحر الأحمر إلى الموانئ المصرية على الجانب الإفريقى من البحر الأحمر وهى الموانئ التى أقامها البطالمة [١٢] مثل ميوس هورموس وفيلوتيرا ونيخسيسيا وبيرينيكى ثم إلى الداخل نحو قفط [١٣] على النيل ثم شمالاً إلى الاسكندرية عاصمة البلاد . وقد تبنى تجار القوافل من أهل الجزيرة العربية النقود والعملات التى كانت تُسك على الطراز الهيللينستى ، ومن الواضح أن ذلك قد تمّ من خلال علاقاتهم التجارية مع الممالك الهيلينستية فى مصر وسوريا.

بعد هذه المقدمة التاريخية عن علاقات العرب بمصر نأتى الآن لمعالجة موضوع العرب " فى " مصر فى العصرين البطلمى والرومانى كما يتضح من الوثائق البردية والنقشية . النقطة الأولى فى هذا الصدد تتعلق بالصحراء الشرقية المصرية التى كان يُطلق عليها " العربية " والتى أسند الاسكندر إدارتها إلى نائبه فى مصر كليومينيس النقراطيسى بعد مغادرة الاسكندر نحو الشرق لتعقب الملك الفارسى داريوس الثالث . وقد ترددت كلمةَ العربية مرات عديدة فى أوراق البردى ولكنها كانت تنطوى على معنيين : الأول معنى واسع النطاق جغرافياً ويقصد به الصحراء الشرقية المصرية بأسرها [١٥] ، والمعنى الثانى أضيق نطاقاً ويشير إلى إحدى

المقاطعات (النومات) فى تلك الصحراء الشرقية [١٦] • فالمعنى الأول مقصود منه أن يشير بوضوح (إلى المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر النيل كمقاطعة باثريس [١٧] (الجبلين) على سبيل المثال التى كانت مناطقها تمتد على جانبى النهر غرباً وشرقاً • وفى بعض الأحيان كان يحدث انقطاع فى الاتصالات αμιξια بين الجزء " العربى " من المقاطعة (النوموس) الواقع شرقى النيل والجزء الآخر الواقع غربى النيل ، وكان مثل هذا الانقطاع يُحدث بعض العقبات والصعاب فى وجه مصالح الناس[١٨] فى القسم الغربى من المقاطعة ممن لهم أملاك على الجانب الشرقى • أما عن كلمة " العربية " بمعناها الضيق والمحدد جغرافياً فى وثائق البردى فلعل أوضح وثيقة تعبر عنها هى الوثيقة رقم ٧٠٩ من وثائق بردى أوكسيرنيخوس من منتصف القرن الأول الميلادى التى يقوم فيها موظف كبير ـ لعله كان والى مصر ـ بجولة تفتيشية فى أرجاء مصر تبدأ من بيلوزيوم فى أقصى الشمال الشرقى ، ومن هناك عبر المقاطعات (النومات) الأخرى المجاورة على طول الجانب الشرقى من الدلتا وهى مقاطعات تانيس وسيثوريس و "العربية" وأويا أو آيا إلى منف [١٩]•كما أن هناك وثيقة أخرى من منتصف القرن الثانى الميلادى تقريباً تخبرنا بأن المقاطعة العربية كانت تنقسم إلى تقسيمين جغرافيين كبيرين (كل تقسيم يطلق عليه توبارخية Τοπαρχια) شمالى وجنوبى ανϖ και κατϖ [٢٠] • كما ورد ذكر المقاطعة العربية شرق الدلتا فى مؤلف التاريخ الطبيعى لبلينى الأكبر وكتاب الجغرافيا لبطلميوس الجغرافى السكندرى [٢١] حيث ذكر أن عاصمتها فاكوسا (فاقوس أو صفط الحنة بمحافظة الشرقية حالياً) •

أما عن تسمية الصحراء الشرقية المصرية باسم " العربية " فربما كان مردّ ذلك قربها من شبه الجزيرة العربية من ناحية ، ومن جهة أخرى لأن بعض التجار العرب من تجار القوافل الذين يجلبون السلع العربية إلى

الموانئ المصرية على البحر الأحمر مثل فيلوتيرا وميوس هورموس ولِيوكوس ليمن وبيرنيكي قد استقروا وأقاموا فى بعض مناطق هذه الصحراء ، وعلى ذلك فإنه كانت هناك بعض العناصر العربية ضمن سكان الصحراء الشرقية المصرية وكذلك الموانئ المصرية المذكورة أعلاه على ساحل البحر الأحمر[٢٢] ٠ ومن هنا اكتسبت الصحراء الشرقية المصرية مسمى " العربية " ـ وكذلك الحال بالنسبة للمقاطعة المسماة بـ " العربية " شرق الدلتا ـ لهذه الاسباب ٠

وفى سياق الحديق عن الصحراء " العربية " المصرية شرق النيل فإن هناك بضعة نقوش قليلة نجد فيها موظفاً يحمل لقب Αραβαρχηs (أى زعيم العرب أو بالأحرى شيخ العرب) ٠ ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه النقوش ـ وكلها من العصر الرومانى ـ يقترن فيها ذكر هذا المنصب بتلك الصحراء العربية وموانئ البحر الأحمر [٢٣] ، على الرغم من أن معظم هذه النقوش لا تذكر شيئاً عن مهام مثل هذا الموظف [٢٤] ٠ ولكن هناك نقطة أخرى ستساعد ـ فى حالة التوصل لحل مقنع فى الجدل المثار حولها ـــ فى إثبات الارتباط الوثيق بين هذا الموظف والصحراء الشرقية أو " العربية " ٠ هذه النقطة التى نقصدها هى ما أثاره العالم ليسكييه Lesquier من محاولة التمييز بين موظفنا المعنى فى هذه النقوش الملقب بالـ αραβαρχηs وموظف آخر يحمل لقب αλαβαρχηs ، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن كلتا الكلمتين تحملان نفس المعنى وأنهما مترادفتان وأن كل ما فى الأمر هو أن الشكل الأخير للكلمة قد تم فيه إحلال حرف λ محل حرف ρ لا أكثر (وفى قواعد نطق الحروف اليونانية فإن هذين الحرفين يمثلان الحروف السائلة فى اليونانية) ، ومن هذا المنطلق والتفسير بنى ليسكييه تفسيره للوثائق التى تتناول هذين اللفظين على أساس أنهما مترادفان ولا فارق بينهما [٢٥] ٠ولكننى أعتقد أن رأى ليسكييه وتفسيره للأمر على هذا النحو قد

جانبه الصواب ۰ إن أشهر من حملوا لقب αλαβαρχης والذين ذكرهم ليسكييه بالأسم فى مقالته هما والد تيبريوس يوليوس الاسكندر ــ الوالى اليهودى الشهير على مصر من أواخر عصر نيرون وعام الأباطرة الأربعة وأوائل عهد فسبسيان ـ ويهودى آخر من الاسكندرية يُدعى أرتيميدوروس اشتهر بثرائه ونبالة أصله ، وقد حمل كل منهما اللقب المذكور فى الاسكندرية (٢٦) ۰ إن هذا الوضع يقودنا ببساطة إلى الاعتقاد بأن الـ αλαβαρχης كان موظفاً رفيعاً أو شخصية مرموقة الشأن بين أبناء الجالية اليهودية فى الاسكندرية ، وأنه كان ــ على الأرجح ـ شخصية دينية رفيعة فى سلك الكهنوت اليهودى فى الاسكندرية ۰ ومما قد يرجح هذا الرأى أننا إذا حاولنا أن نترجم حرفياً أو نحلل كلمة αλαβαρχης لوجدنا أنها مكونة من كلمتين هما αλαβα التى تعنى " الحبر " أو " المداد " والكلمة الأخرى فى عجز الكلمة المركبة وهى αρχης وتعنى " السيد أو الحاكم أو المسئول عن " ، ومن هنا فإن الكلمة المركبة تعنى " المشرف على (المسئول عن) الحبر " (٢٧) ۰ ومن الطريف على سبيل القياس أن نذكر فى هذا المقام أن كبار الكهنة ورجال الدين اليهودى يُطلق عليهم فى اللغة العربية " أحبار اليهود " ، وكلمة " أحبار " هى فى الوقت ذاته جمع كلمة " حِبر " (بكسر الحاء وتعنى المداد) وكذلك الكلمة حَبر (بفتح الحاء وتعنى رجل دين) ۰ هذه مجرد ملاحظة لغوية ولكنها تسهم فى ربط كلمة αλαβαρχης برجال الدين اليهود ، لاسيما وأن العلاقة قائمة ووثيقة بين كلمة حَبر (رجل دين) وبين كلمة حِبر (مداد) إذ أن الكهنة ورجال الدين كانوا فى المجتمعات القديمة يمثلون الصفوة المتعلمة والمثقفة التى تستخدم الحِبر والمداد فى كتابة الأسفار الدينية وغير الدينية لاسيما فى المجتمعات الشرقية القديمة ۰ وبإيجاز فإن من يحملون لقب αλαβαρχαι لابد أنهم كانوا من الشخصيات الدينية المرموقة من رجال الدين اليهود من أبناء الجالية اليهودية السكندرية ولا علاقة لهم بتاتاً بالـ αραβαρχαι ۰ وهذا

يؤكد أنه فى حالة العثور على شخص يحمل لقب αλαβαρχηs خارج نطاق اليهود [٢٨] (فى مصر فى تلك الفترة بطبيعة الحال ، ولا سيما فى الاسكندرية حيث أكبر جالية يهودية بمصر) فإن الكلمة تكون حينئذ تحريفاً لكلمة αραβαρχηs وتكون هذه الأخيرة هى المقصودة ، وفى هذه الحالة فقط يمكن الاعتداد برأى ليسكييه .

وعلى الرغم من أننا لم نصادف كلمة αραβαρχηs إلا فى وثائق من فترة الحكم (الإمبراطورى) الرومانى فى مصر فإن من المرجح أن الرومان قد ورثوا وعرفوا هذا اللقب فى مصر من فترة الحكلم البطلمى[٢٩] . ووظيفة أو لقب αραβαρχηs استخدمت عند شيشرون [٣٠] فى إشارته إلى القائد الرومانى بومبى فى معرض السخرية منه عندما غزا بلاد السوريين العرب [٣١] . إن هذا الاستخدام للفظ عند شيشرون هو استخدام عام يشير إلى مشايخ القبائل العربية وهو المعنى العام لكلمة αραβαρχηs . وهكذا يبدو أن شيشرون لم يكن يعنى هذا الموظف أو اللقب الوظيفى فى مصر خصوصاً بل كان يعنيه فى معناه العام فى القبائل العربية كـ " شيخ عرب " ، فى حين يبدو ان الكاتب الرومانى الساخر واللاذع جوفينال كان يعنى هذا اللفظ كلقب وظيفى مستخدم فى مصر حين عبر عن حنقه من إقامة تماثيل نصر تكريما ـ حسب قوله ـ لشخص " لست أدرى إن كان مصرياً أو شيخ عرب Arabarches " [٣٢] فى إشارة إلى عدوه اللدود المصرى كريسبينوس الذى كان صاحب نفوذ تحت حكم الإمبراطور دميتيان [٣٣] والذى من المرجح أنه تقلد وظيفة αραβαρχηs كما قد يفهم من إشارة جوفينال .

ولكن ما هو اصل لفظة αραβαρχs وهل اشتُقت من Αραβια (التى تعنى هنا الصحراء الشرقية المصرية) أم من Αραψ التى تعنى "عربى" ؟ [٣٤] يبدو أنها مشتقة من الكلمتين معاً فى وقت واحد لأن مجال

نفوذ هذا الموظف هو المنطقة العربية (صحراء مصر الشرقية) التى رأيناه مقترناً بها فى النقوش وهو ما سوف نناقشه بعد قليل ، هذا من ناحية ومن جهة أخرى فيبدو أن هذا الموظف αραβαρχης كان يختار من قبل الإدارة المصرية (سواء كانت بطلمية أو رومانية) من بين السكان ذوى الأصول العربية القاطنين فى الصحراء الشرقية أو على السواحل المصرية للبحر الأحمر ٠ ولابد أن الشخص المعين فى مثل هذا المنصب كان (على الأقل فى عصر البطالمة) ممن يتمتعون بالقوة والنفوذ والثراء إذ كان الهدف من تعيينه فى المقام الأول ــ على الأرجح ــ هو حماية الحدود الشرقية المصرية ضد جيرانهم من الانباط العرب كما قد يتضح من تعاملات الأنباط الأقوياء مع مصر فى عهد قيصر وكليوباترا ٠ إن نفس هذه السياسة وهى تجنيد بعض العرب ضد بعض من بنى جلدتهم طبقتها واتبعتها روما لاحقاً فى تعاملها مع القوط [٣٥] ٠ ولكن بعد الحكم الرومانى لمصر أصبح التوتر مع الأنباط أقل من ذى قبل ثم أختفى نهائياً بعد أن ضمّ تراجان مملكة الأنباط للإمبراطورية الرومانية تحت اسم " الولاية العربية " سنة١٠٦ [٣٦] فإن مهام الـαραβαρχης ربما تمثلت فى الإشراف والسيطرة على تجارة القوافل وتحصيل رسوم الجمارك عند موانئ البحر الأحمر المصرية وكذلك الضرائب المفروضة على المرور (بالأحرى رسوم المرور) فى طرق الصحراء الشرقية كما يتضح من النقش الشهير الخاص بتعريفة المرور للبضائع والأشخاص ووسائل النقل فى الصحراء الشرقية[٣٧]٠ هذا النقش عبارة عن لوح منقوش عليه مقننة (تعريفة) γνϖμϖν برسوم خدمة المرور αποατολιον فى " قفط" التى كانت ضمن منطقة نفوذ الـ αραβσρχης ٠ إن هذا الجدول بالرسوم صدر بأمر لوكيوس انتيستيوس آسياتيكوس المشرف على جبل بيرنيكى على أن تجبى هذه الرسوم على يد الجباة المختصين [٣٨] ٠

ونجد فى هذا الجدول رسوماً مفروضة على الأشخاص القادمين للتجارة من موانئ البحر الأحمر عبر الصحراء الشرقية المصرية إلى قفط وعلى البحارة ومرافقى السفن وعلى العاهرات والنسوة المسافرات وزوجات الجند • كما نجد فيها رسوماً على خدمات الطريق كدواب الجمل والعربات والجنازات بالإضافة إلى بعض سلع البيع مثل صوارى السفن وعارضات أشرعتها • ولم يرد بالنقش ذكر لجمارك تفرض على السلع الواردة عند موانئ البحر الأحمر والتى تدخل إلى الصحراء الشرقية • إن تفسير ذلك يمكن أن يكون كالتالى : أن الرسوم الجمركية على السلع الواردة كانت تجبى من التجار بمجرد قدوم هذه السلع إلى مصر أى عند موانئ البحر الأحمر المصرية ، أما رسوم المرور والعبور وتسهيلاتها للأشخاص والدواب والعربات فى دروب الصحراء الشرقية المؤدية إلى قفط على النيل فكانت تحصّل فى قفط • وكانت رسوم المرور المدوّنة فى هذه " التعريفة" تستغل فى الحفاظ على تلك الطرق الصحراوية وصيانتها (٣٩) •

أما عن مسئول جبل بيرنيكى الذى أصدر هذه التعريفة فأنه كان أحد مرؤوسى " حاكم العربية αραβαρχης " الذى كان مسئولاً عن كافة الأنشطة ــ ولا سيما التجارية ــ فى منطقة " العربية " التى تعنى الصحراء الشرقية المصرية وموانئ البحر الأحمر • لقد أصبح المسئول عن هذه المنطقة الحيوية (حاكم العربية) فى العصر الرومانى موظفاً " رومانياً " كبيراً نظراً لمدى أهمية وحيوية التجارة الشرقية بالنسبة للرومان فى ولاية مصر خصوصاً وفى الإمبراطورية عموماً كما سنرى بعد قليل فى بقية فصول هذا الكتاب • لذلك ليس غريباً أن نرى هذا الموظف الرومانى الكبير يجمع بين يديه ــ فى بعض الوثائق ــ مسئولية حكم " العربية " وكذلك الإقليم الطيبى فى جنوب مصر كـ " ابيستراتيجوس " فى آن واحد(٤٠) • وقد استمر منصب " حاكم العربية " فى الظهور فى الوثائق حتى أواخر العصر

البيزنطى كما يتضح من وثيقة بردية مؤرخة بأواخر القرن السادس الميلادى سنة٥٨٦ يذكر فيها موظف فى مكتب " حاكم العربية " فى أنطينوبوليس أنه قد ردّ ديناً كان عليه لأحد الأشخاص (٤١) .

وقد اعتبر ليسكييه ـ وسار على خطاه علماء آخرون (٤٢) ـ أن شيخ العرب " أو " حاكم العرب " αραβαρχης كان الرئيس الأعلى للحراس العرب الذين يعملون فى نقاط الجمارك المنتشرة فى مصر ويظهرون فى الوثائق البردية باسم " الرماة العرب αραβοτοξοται " . أعتقد أن الربط بين " حاكم العرب " و " الرماة أو الحراس العرب " بمسمياتها الاصطلاحية المذكورة أعلاه أمر غير صحيح كما سأشرح من خلال مناقشة المعلومات الواردة فى الوثائق المتاحة عن هؤلاء " الحراس العرب " . ولكن يجب التنويه أولاً إلى أن استخدام المرتزقة الأجانب للقيام بمهام الشرطة لم يكن أمراً غريباً أو جديداً بل كان له سوابق تاريخية سواء فى مصر أو فى بلاد اليونان . لقد كان ذلك أمراً معتاداً فى مصر الفرعونية(٤٣) وكذلك الحال فى أثنيا فى الفترة الكلاسيكية حيث كان الأثينيون يستخدمون العبيد السكوثيين من المناطق الواقعة إلى الشمال الشرقى من بلاد اليونان حول سواحل البحر الأسود للقيام بمهام وأعمال الشرطة حتى أن كلمة " السكوثيين " Σκυθαι كانت مرادفة فى أثنيا لكلمة " الشرطة " أو οι τοξοται . ومن الطريف فى هذا المقام أن نجد فى المصادر عن تاريخ أثينا فى الفترة الكلاسيكية اللفظ المُركّب " حارس أو شرطى سكوثى Σκυθοτοξοτης (٤٤) " على غرار " حارس عربى Αραβοτοξοτης " فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى .

أما عن بداية استخدام هؤلاء " الحراس العرب " فى أعمال الشرطة فى مصر فى العصر البطلمى فإن المتاح من وثائق تلك الفترة يشير إلى حدوث ذلك الأمر منذ العصر البطلمى المبكر فى عصر " فيلادلفوس " ثانى

ملوك البطالمة فى مصر (٢٨٥ ــ ٢٤٦ ق٠م٠) ٠ ففى وثيقة بردية هى عبارة عن كشف حساب بمدفوعات من قرية فيلادلفيا بالفيوم مؤرخ بعام ٢٥٠ ق٠م٠ نجد فيه ذكر رواتب عشرة من حراس القرية وعشرة حراس من العرب بمعدل ست دراخمات لكل منهم شهرياً مما يجعل مجموع رواتب هؤلاء الحراس العشرين ١٤٤٠ دراخمة فى السنة كما ورد بالوثيقة (٤٥) ٠ كما كان راتب حراس السجن ٦ دراخمات للفرد شهرياً فى حين كان حراس القنوات يتقاضون دراخمتين ونصف دراخمة للحارس شهرياً (٤٦) ٠ إن هذا يعنى أن العرب كانوا من بين الحراس المميزين ممن يتقاضون رواتب مرتفعة نسبياً ٠ إن ذكر هؤلاء العرب فى هذه الوثيقة لا ينص صراحة وبوضوح على أنهم عُينوا حراساً ـ ربما لحراسة الطرق الصحراوية (٤٧) القريبة من الفيوم ـ ولكن هذا الأمر يتضح ضمناً من سياق الوثيقة ٠ لقد ذكر هؤلاء العرب العشرة معطوفين فى نص الوثيقة على " حراس فيلادلفيا" بعد حرف العطف και (أنظر هامش رقم ٤٥) ٠ إن ذكر هؤلاء (الحراس) العرب بهذه الطريقة يوحى بأنهم ربما كانوا قد بدأوا يُجرّبون فى القيام بمثل هذه المهمة منذ فترة وجيزة فى ذلك الحين وأن الإدارة البطلمية ربما أرادت أن تتأكد من كفاءتهم فى هذا المجال قبل أن تمنحهم رسمياً لقب " حراس φυλακιται ٠ وهناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة فى هذه الوثيقة وهى أن وجود عشرة من العرب من بين ٣١ حارساً مذكورين فى الوثيقة يعد مؤشراً على أن العرب فى قرية فيلادلفيا بالفيوم ربما كانوا يشكلون نسبة لا بأس بها من سكان القرية المزدهرة فى ذلك الحين (التى كان بها ضيعة لأبو للونيوس وزير المالية البطلمى الشهير كان يديرها وكيل أعماله الشهير زينون الذى وصلتنا المئات من مراسلاته فى وثائق البردى)٠ ويبدو أن العرب من قاطنى فيلادلفيا كانوا معروفين بالشجاعة والإقدام ومن هنا كان اختيار قدر منهم لشغل وظائف الحراس الشاغرة ٠ أما عن كيفية وصول هؤلاء العرب إلى الفيوم (وغيرها من المناطق فى مصر)

واستقرارهم بها واندماجهم فى النسيج السكانى فمن الواضح أن بعضاً من التجار العرب ومرافقيهم ممن كانوا يفدون إلى مصر عبر الصحراء الشرقية المصرية كانوا ينتشرون فى أرجاء مصر ويستقرون فى جماعات فى بعض المناطق فى الصحراء الشرقية المصرية وبعض المدن الساحلية للبحر الأحمر كما طرحنا من قبل ، وفى الفيوم كما رأينا فى هذه الوثيقة التى ناقشناها للتو • ويبدو أن الوجود العربى فى الفيوم كان كثيفاً فى بعض المناطق حتى أن الوثائق يرد بها أحياناً أسماء لقرى كاملة تحمل اسم العرب مثل قرية " بطلمية العرب [٤٨] " أو Πτολεμαιs Αραβϖν وكذلك أحياء أو مناطق كاملة فى حواضر الإقليم مثل الحى المسمى " حى العرب αμφοδos Αραβϖν "[٤٩] فى مدينة " أرسينوى " والذى يظهر فى قوائم احصاء من القرن الثانى الميلادى من العصر الرومانى ، وهو ما يشير إلى أن الوجود العربى فى الفيوم كان يتزايد بمرور الوقت ويمتد إلى مدن وحواضر الإقليم • ومن المنطقى أن نتصور أن الغالبية ــ إن لم يكن الجميع ــ من سكان هذه القرى أو الأحياء كانوا من العرب القادمين من شبه جزيرة العرب • كذلك من المتصور ومن المحتمل جداً أن يكون العرب قد استقروا فى جماعات فى أماكن أخرى [٥٠] من مصر ــ لا سيما فى مناطق ومقاطعات مصر العليا وشرق الدلتا حيث المقاطعة العربية السابق الإشارة اليها ــ ولكن قلة الوثائق البردية من خارج الفيوم (خصوصاً من العصر البطلمى) لا تمكننا من تقديم قدر معقول من القرائن الإيجابية حول هذه النقطة •

نعود الآن من جديد لموضوع " الحراس العرب Αραβοτοξοται" كما نجدهم فى الوثائق من الفترة الرومانية فى الفيوم [٥١] كذلك • فى هذه الوثائق نجد هؤلاء الحراس العرب يعملون حراساً لمناطق الجمارك فى الفيوم مثل جمرك " سكنوبايو نيسوس " • وكان من بين مهامهم الإشراف

والرقابة على عوائد ودخل هذه الجمارك ولفت انتباه رؤسائهم إلى أية محاولة للغش والاحتيال وسوء السلوك من جانب موظفى الجمارك [٥٢] ، ومن مهامم كذلك تسليم مبالغ دخل الجمارك بصورة شهرية من الدوائر الجمركية إلى المقر الرئيسى للجمرك [٥٣] . ويمكن للمرء كذلك أن يفترض أن من بين مسئولياتهم تأمين القوافل التجارية والأفراد القادمين أو المغادرين لهذه النقطة الجمركيــة أو تلك ضد اللصوص أو قطاع الطرق فى دروب الصحراء المحيطة . وكانت رواتب هؤلاء " الحراس العرب " تُخصم من العوائد الشهرية لنقاط الجمارك التابعين لها ، ونعرف من احدى وثائق القرن الثانى الميلادى أن مرتب أحد هؤلاء الحراس فى الفيوم كان بمعدل ١٦ دراخمة شهرياً [٥٤] . هؤلاء " الحراس العرب " الذين رأيناهم كانوا ممن يعملون فى جمارك الفيوم ، مما يعنى أن رئيسهم الأعلى لم يكن " حاكم العربية Αραβαρχης " الذى كان نطاق عمله هو " المنطقة العربية " التى تضم ــ فى معناها الأوسع ــ الصحــراء الشرقية المصريــة والسواحل المصريــة للبحر الأحمر . هذا الموظف الكبير لابد أنه كان بالضرورة الرئيسى الأعلى للحراس العرب الذين كانوا يعملون فى منطقة " العربيـة " رغم عدم العثور ــ حتى الآن ــ على أدلة وثائقية " عنهم . ومما يثبت أن " حاكم العربية " لم يكن الرئيس الأعلى " للحراس العرب " العاملين فى الفيوم أنه عندما اكتشف أحد هؤلاء الحراس العرب من جمرك " سكنوبايونيسوس " فى الفيوم احتيالاً من جانب اثنين من موظفى الجمرك أثار انتباه مشرفى الإقليم ، وحينما تعرض هذا الحارس للاعتداء والضرب من جانب أولئك الموظفين اشتكى للابيستراتيجوس المختص بالمنطقة وليس لحاكم العربيـة . (أنظر هامش ٥٢) .

أما عن الحياة الجديدة للعرب فى المجتمع المصرى فإننا نراهم فى بادئ الأمر وهم يتعاملون مع بعضهم البعض فى مناطق استقرارهم التى

كانت تضم فى معظمها العرب كأغلبية سكانية كما يتضح من مسمياتها مثل قرية " بطلمية العرب " بالفيوم • ففى وثيقة من تلك القرية [٥٥] يظهر اثنان من العرب أحدهما حلاق κουρευς وكان يقوم بالحلاقة لأحد رفاقه من عرب تلك القرية ويُدعى ماليخوس (مالك) وكافة أفراد أسرته لأعوام عديدة فى مقابل أجر متفق عليه بين الطرفين • وتتمثل المشكلة فى تلك الوثيقة بين الطرفين فى أن العميل مالك هذا لم يؤد أجرة الحلاقة للحلاق لمدة عام ، ومن هنا اشتكى هذا الحلاق للملك البطلمى مؤملاً الحصول على حقه بعد أن أقسم أنه لم يتقاض أجره لمدة عام • وفى وثيقة أخرى [٥٦] من نفس قرية " بطلمية العرب " ـ لكنها مهَشمة لسوء الحظ ـ ندرك من بقايا كلمات الوثيقة أن نزاعاً نشب بين شخصين ـ لاتتضح أسماء كل منهما لوجود فراغات فى الوثيقة ـ حول صوف وجزات من أغنام اتفق الطرفان على جزها فى وجود الطرفين ، لكن قام أحدهما بجزّ صوف الغنم فى غيبة الطرف الآخر مخالفاً نص الاتفاق • لذلك قام الطرف الذى وقع عليه الظلم بالشكوى للملك • أغلب الظن أن الطرفين المذكورين فى الوثيقة كانا من العرب من أهل هذه القرية التى كان أغلب ـ إن لم يكن كل ـ سكانها من العرب كما يتضح من اسمها ، والذين ربما كانوا فى معظمهم من رعاة الغنم، المهنة الأكثر شيوعاً فى شبه جزيرة العرب موطنهم الاصلى •

وبمرور الوقت تكيف هؤلاء العرب مع البيئة المصرية وبدأوا يتأثرون بعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ويتسمون بالأسماء المصرية رغم إصرارهم على أن يعرِّفوا أنفسهم أو يُعرَّفوا على أنهم " عرب " كما سنلاحظ فى تعاملاتهم • ففى وثيقة من مقاطعة " لاتوبوليس " (إسنا فى صعيد مصر) فى الإقليم الطيبى [٥٧] من أواخر القرن الثانى ق•م• نجد أسرة من "العرب" تتألف من باخنوبيس وإخوته باسبيس وبسنخوبيس وأخواته سنخنوبيس الكبرى وسنخنوبيس الصغرى وتابسايس ـ هذه الأسرة من الإخوة والأخوات

تقوم ببيع 1/4 ١ أرورة من أرضهم التى تزرع قمحاً لشخص يُدعى بايسيس بن بيتيوريس بمبلغ ٢٨٠٠ دراخمة نحاسية • وفى عقد بيع آخر لأرض حبوب فى نفس الوثيقة نجد سيدة عربيةً تدعى تامنوبيس ابنة فيليب ومعها أحد أقاربها من العرب ويُدعى آرسيسيس كوصى عليها تبيع نصف أرورة من أرض الحبوب المملوكة إلى نفس المشترى فى العقد السابق بايسيس بن بيتيوريس نظير ٢٨٠٠ دراخمة نحاسية • إن هؤلاء العرب الذين قاموا بعملية البيع فى هذه العقود يعّرفون أنفسهم قرين اسم كل واحد أو واحدة منهم مستخدمين اختصاراً هو .αρ وهو اختصار لم يتمكن ناشر الوثيقة جرنفل من فهمه [٥٨] ولكن برايسكه فى معجمه Worterbuch فسّره بأنه اختصار لكلمة Αραψ بمعنى عربى[٥٩] • إن هؤلاء العرب المذكورين فى هذه العقود يصفون ملامحهم ـ باعتبار ذلك من الأمور المؤكدة لهوية أطراف العقود فى بعض الأحيان ـ على أنهم ذوى وجوه طويلة وأنوف مستقيمة μακροπρ (οσωπον) και ευθυρ (ιvos) وهى صفات مشتركة بين هؤلاء العرب (فى العقدين المذكورين) جميعاً • كما يظهر العرب فى مصر فى وثائق أخرى وهم يقدمون إقرارات متصلة بالإحصاء وتضم هذه الإقرارات απογραφαι أفراد تلك الأسر العربية كما يتضح من بعض إقرارات الاحصاء المؤرخة بعامى ١١٩[٦٠] و ١٤١[٦١] ميلادية من " حى العرب αμφοδos Αραβων " فى مدينة أرسينوى بالفيوم • فى هذين الإقرارين ربما نجد استكمالاً لتاريخ نفس هذة الأسرة التى وردت فى وثائق أسبق[٦٢]• وفى الإقرارات ذاتها فإن الأفراد المذكورين من العرب كانوا من الخاضعين لضريبة الرأس λαογραφια [٦٣] كما كانوا خاضعين للاختبار الذى يجرى لمن تنطبق عليه شروط الخدمة العسكرية (الاختبار επικρισιs)[٦٤] منهم • وفى وثيقة من مقاطعة هيراكليوبوليس (إهناسيا المدينة) ـ ربما ترجع إلى عصر الإمبراطور أغسطس (٢٧ق٠م٠

ــ ١٤م ٠) ــ هناك إشارة فى الوثيقة تذكر أن " كافة العرب قد تم اخضاعهم للنظام وأصبحوا يتمتعون جميعاً بسلام عظيم " [٦٥] ٠

Παντας Των Αραβων κατεσταλμενων και παντων εν τη μεγιστη [ι] ειρηνι γεγονοτων.

هذه الإشارة الغامضة إلى العرب فى مقاطعة هيراكليوبوليس ربما توحى بأن العرب فى تلك المنطقة من مصر كانوا مصدراً للقلاقل والاضطرابات لبعض الوقت إلى أن تم إلزامهم بالنظام العام وإعادة السلام والأمن لجميع العناصر السكانية فى المنطقة المذكورة ٠

أخيراً وليس آخراً فى هذا الموضوع فإن الوثائق البردية من مصر فى العصرين البطلمى والرومانى زاخرة بذكر السلالات العربية من الإبل والماشية والأغنام [٦٦] وهى سلالات متميزة بوضوح عن غيرها وتحمل دوماً صفة " عربية αραβικος " مما يؤكد امتياز هذه السلالات العربية٠

هوامش الفصل الأول

(1) W.W. Tarn, Ptolemy II and Arabia, <JEA>, 15 (1929), pp. 13 - 14.

(2) Ibid, p. 16.

(3) Cl. Préaux, Sur les communications de l'Ethiopie avec l'Egypte hellénistique, <Chron. d'Eg.>, 35 (1952), pp. 257-281, p. 278.

(4) Tarn, art. cit., 20-21, and notes.

(5) Ibid., pp. 16-17 and notes;

(6) Tarn, art. cit., pp. 21- 22 and notes.

(7) Ibid., pp. 15-16.

(8) In 218 B.C. the Arabs east of Jordan joined Antiochus III against Ptolemy Philopator. Polybius, V, 71.

(9) About the existence of the Nabateans in Egypt see: Clermont-Ganneau, les Nabatéens en Egypte, < Revue de l'Histoire des Religions>, 80 (1919), pp. 1-29. On the relations of the Arab Nabateans with Pompey, Caesar, Cleopatra and Antony see pp. 22-23.

(10) Ibid. the whole article; Tarn, loc. cit.; Cl. Préaux, art. cit., pp. 278-279.

(11) Cl. Préaux, art. cit., pp. 258, 270-278.

(12) About the Egyptian ports on the Red Sea see: G.W. Murray, The Roman Roads and Stations in the Eastern Desert of Egypt, <JEA> 11 (1925), pp. 138-150.

(13)Strabo, XVII, 815: χαι νυν ο Ινδικος φορτος απας και ο Αραβιος και του Αιθιοπιχου ο τω Αραβιω κατακομιζομενος εις Κοπτον φερεται.

(14)Cl. Préaux, art. cit., p. 269.

(15)P. Lond. II, 401, Pathyrite Nome, B.C. 116-111, ll. 10-11; P. Oxy. XII, 1415, Oxyrhynchus, late third century A.D., 1. 6. note. Strabo uses Arabia in this sense, XVII, 803: η δε μεταξυ του Νειλου και του Αραβιου κολπου Αραβια μεν εστι.

(16)P. Oxy. IV, 709, A.D. 50, 1. 5; XII, 1435, A.D. 147, 1, 8, note; P. Reinach 101, provenance unknown, A.D. 198-209, 1. 10, note.

(17)P. Lond. 401, ll. 10-11 : επιΚοχλαχος της Αραβιας του δηλουμενο[υ] Παθυριτου νομου.

(18)Ibid., introduction, and 1. 20, note.

(19)P.Oxy. 709, ll. 4-6 : εις Πηλουσιον απελθων διαλο– | [γισητ] αι Τανιτην Σεθροιτην Αραβιαν | [Αυ]ιαν, εν Μεφει γενομενος ...

(20)P. Oxy. 1435, 1. 8 : υπο του βασιλ(ικου) γραμ<μ>ατ (εως) ανα λ(ογον) Αραβιας ανω τοπ(ων).

(21)Pliny, Naturalis Historia 5. 9. 49 ; C. Ptolemy, Geogarphy 4. 5. 53. Cf. also P.Oxy. 4063 - 4067, A.D. 183/84 about the Arabian nome and the extensive commentary of those documents together with their

comprehensive introduction by G. Bastianini and R. Coles.

(22)J. Lesquier, L'armée romaine d'Egypte d'Auguste a Dioclétien, Paris 1918, pp. 419-420 quoting evidence from Pliny; Clermont-Ganneau, art. cit., p. 23.

(23)OGIS 202, 570, 674, and 685, and BGU II, 665, I A.D., II 1. 3 .

(24)Only OGIS 674 throws some light on this office and we will deal with it later.

(25)J. Lesquier, L'Arabarchés d'Egypt, <Revue Archaeologique>, 1917, pp. 95-103, pp. 96, 100-101.

(26)Josephus, Antiq. Jud., XX, 100, 147.

(27)Seeck, <Pauly-Wissowa > Alabarchs, Col. 1271.

(28)E.g. Cod. Tbeod., IV, 12, 9 = Cod. Just., IV, 61, 9, where the αλαβαρχης is mentioned as a fiscal official responsible for the farming of the taxes and particularly those imposed on the traffic of cattle in Lower-Egypt, perhaps on the eastern side of the Delta included in the Arabian district.

(29)Hogarth, in Petrie, Koptos, 1896, pp. 26-35 (Chapter 6 by Hogarth), p. 28; Lesquier, op. cit., p. 99.

(30)Cicero, ad Atticum, II, 17, 3 : velim ex Tbeophane expiscere, quonam in me animo sit Arabarches.

(31)Lesquier, op. cit., p. 97.

(32)Juvenal, I, 130 : atque triumphales, inter quas ausus habere nescio quis titulos Aegyptius atque Arabarches.

(33)Lequier, loc. cit.

(34)Ibid., pp. 98-99 where Lesquier concluded that it is derived from Αραψ to mean a chief or commander of the Arabs.

(35)Tarn, art. cit., p. 16 ; Clermont-Ganneau, art. cit., p. 24.

(36)P. Michigan 466 is a letter from an Egyptian legionnaire who participated in the organization of the province of Arabia in 107 which was recently conquered by Trajan in 106 A.D.

(37)OGIS 674, A. D. 90.

(38)Ibid., ll. 2-8 : Οσα δει τους μσθω –| τας εν Κοπτωι υποπειπτον –| τος τηι Αραβαρχιαι αποστολιου ποασ –| σειν κατα τον γνωμονα τηδε τηι | στηληι ενκεχαρακται δια Λουκιου| Αντιστιου Ασιατικου επαρχου | Ορους Βερενεικης.

(39)Dittenberger, OGIS 674, Commentary. Cf. also Lesquier, op. cit., p. 98 and note 1.

(40)OGIS 685, ll. 1-3 : Κλαυδιος Γεμνος, | Αραβαρχης και επιστρατη | γος Θηβαιδος.

(41)P. Cairo Maspero II, 67166, A.D. 586, Antinopolis. ll. 7-8.

(42)Lesquier, op. cit., p. 103 ; Clermont-Ganneau, art. cit., p. 24.

(43)Lesquier, op. cit., p. 102.

(44)Xenophon, Anabasis, 3, 4, 15.

(45)P. Cairo Zenon 59296, ll. 7-11 : εις τους εμ Φιλαδελ – | [φειαι φυ] λακιτας και Αραβας ι οψωνιον| [απο Μ] εχειρ του λε L εως Τυβι | [μηνω] ν ιβ εις [εκ] αστον του μηνος| [συν σι] τομετριαι |–5|χ|–Αυμ.

(46)Ibid., 1. 8, note.

(47)Ibid., ll. 12-18.

(48)E.g. P. Enteuxeis 3, B.C. 222, 1. 1; 47, B. C. 221, 1.1.

(49)P. Fouad 15, Arsinoe, A.D. 119, ll. 9-10; P. Grenfell II, 49, Arsinoe A.D. 141, ll. 4, 8-9 .

(50)P. Amh. 77, Soknpaiou Nesos, A.D. 139; P. Lond. III, 1169, pp. 43-47, Fayyum, 2nd century A.D.; P. Lond. V, 1652, pp. 10-11, Fayyum, 4th century A.D.

(51)E.g. P. Grenf. I, 33, Thebaid, 103-102 B.C.

(52)P. Amh. 77.

(53)P. Lond. 1169, ll., 2-3: του μηνος ∫ ρο [αι] κ, διεηεμφθη | [δ] ια Θεογιτονος Α[ραβο]τοξοτ. See also ll. 34-35, 61-62, 85, 101.

(54)Ibid, ll. 32-34: του μηνος ∫ τξα = του οψονιου Θεογι| Αραβοτοξο υπερ Θυθ Φαωφι Αθυρ ∫ μη | λοι [εις] αριθ ∫ τμγ. See also ll. 59-60, 82-84, 98-100.

(55)P. Enteux. 47, B.C. 221.

(56)P. Ent. 3, 222 B.C.

(57)P. Grenfell I, 33, Thebaid, 103-102 B.C.

(58)Ibid., ll. 6, 8, 10, 11, 12, 14, 30, 32 and note on 1. 6.

(59)F. Preisigike, Wörterbuch, Vol. 3, Ab. 14, p. 269.

(60)P. Fouad 119.

(61)P. Grenf. II. 49.

(62)P. Fouad 119, Introd.

(63)Ibid., ll. 15, 19.

(64)Ibid., l. 16; P. Grenf. II, 49, 1. 6.

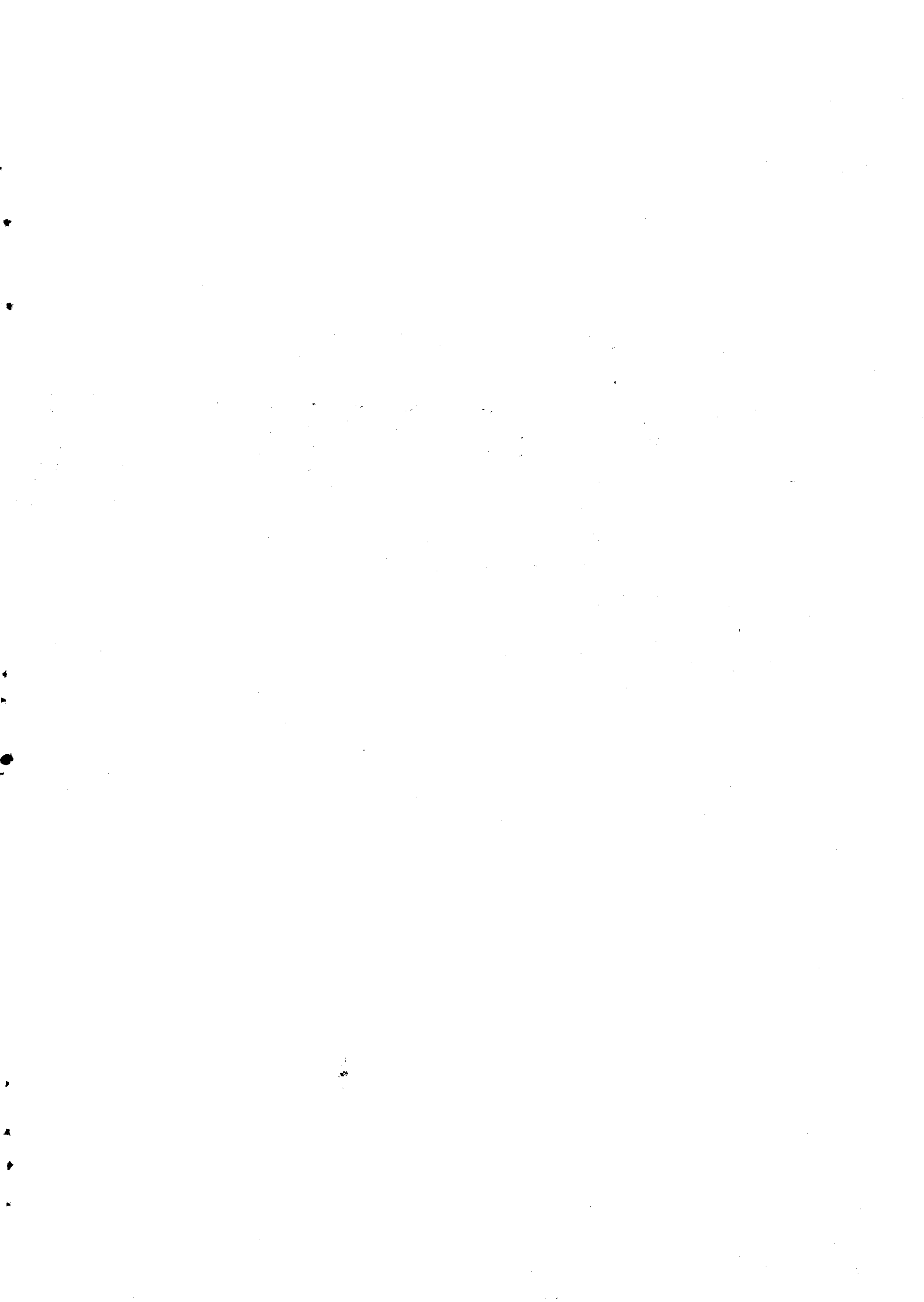
(65)BGU 1192, ll. 5-6.

(66)P. Hibeh 36, Talaë (Fayyum), B.C. 228; BGU 13, 1. 4; 453, l. 8; 1088 [P. Grenfell II, 5o (a)] 142 A.D.

الفصل الثانى

" قِفْط "

ودورها فى التجارة الشرقية للإمبراطورية الرومانية



" قِفْط " ودورها فى التجارة الشرقية للإمبراطورية الرومانية

إن الاهتمام المصرى بالتجارة مع المناطق الواقعة إلى الجنوب من مصر من الأمور المعروفة جيداً منذ عصور الفراعنة ، لا سيما الحملة الموثقة جيداً للملكة حتشبسوت إلى البلاد المعروفة بأسم " بونت " (والتى تُعرَف عموماً بأنها الصومال الحالية) [١] .

وفى أزمنة لاحقة فإن البطالمة كذلك أبدوا اهتماماً خاصاً بالتجارة مع أفريقيا وبلاد العرب وكذلك ـ بصورة غير مباشرة ـ مع الهند . وهناك قرائن وشواهد بطلمية مبكرة ولاحقة فى هذا الصدد تغطى فترات حكم بطلميوس الأول سوتير وبطلميوس الثانى فيلادلفوس وتصف بالتفصيل الكثير من النباتات والمواد العطرية النباتية (الطيوب) والواردات الآتية من هذه البلاد من سلع الرفاهية والفخامة [٢] . وهناك وثائق نقشية وبردية أخرى معاصرة من عصر فيلادلفوس تثبت كذلك واردات البطالمة من السلع العربية والافريقية مثل المر واللبان والكاسيا ... الخ [٣] . وقد أقام بطلميوس فيلادلفوس بعض الموانئ على الساحل المصرى للبحر الأحمر فى أرسينوى (السويس) وميوس هو رموس (أبو شعر قبلى) وفيلوتيرا (مرسى جاسوس) وبيرينيكى تروجوديتيكا (مدينة الحراس) [٤] . وكانت هذه الموانئ متصلة بقفط وأبو للونوبوليس ماجنا (إدفو) على النيل بطرق يقوم على حمايتها حراس لمراقبة الطرق وتأمين قوافل التجارة الشرقية ، كما كانت هذه الطرق مزودة بصهاريج المياه [٥] υδρευματα . ومن الأمور ذات الأهمية البالغة فيما يتصل بالتجارة الشرقية ـ خصوصاً تجارة

اللبان ـ ظهور موظف بطلمى فى وثائق بردى زينون (من حوالى منتصف القرن الثالث ق٠م) فى غزة يحمل لقب " المشرف على البخور ο επι της λιβανωτιχης " [٦] .

وهناك عقد لقرض بحرى ربما أُبرم فى الاسكندرية من حوالى منتصف القرن الثانى ق٠م٠ لتمويل شحنة من السلع لم تحدد من " أرض البهار " (على الأرجح الصومال) وفى هذا العقد نجد أشخاصاً من جنسيات عديدة مشتركين فى هذه الصفقة ٠ وكان العقد يتضمن إثنى عشر شخصاً (شخص المُقرض ، وخمسة مقترضين ، وخمسة ضامنين ومسئول المصرف " البنك ") يمثلون سبع جنسيات مختلفة على الأقل : إثنان من ماسيليا ، واسبرطى ورومانى وواحد من ايليا وآخر من ثيسالونيكا وآخر من قرطاجة ، بالإضافة إلى خمسة آخرين يحملون أسماء يونانية لم يمكن تحديد جنسياتهم [٧] ٠ هذه الوثيقة تثبت وجود شركات عالمية من تجار يشاركون فى التجارة الشرقية فى صورة نشاط خاص ليس فيه تدخل حكومى [٨] .

ومع ذلك يبدو أن التجارة الشرقية للبطالمة والتجار من مصر فى العصر البلطمى لم يكونوا يتجاوزون الساحل الشرقى لأفريقيا والساحل الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة العربية حتى ميناء عدن [٩] ٠ فعلى مدى فترة طويلة خلال الحكم البطلمى كانت الواردات المصرية من الهند تأتى عبر وسطاء عرب من بلاد العرب السعيدة (وعدن تحديدا) ــ وهى الملتقى المزدهر الغنى للتجار العرب والهنود والإغريق المقيمين فى مصر ٠ وقد احتفظ الوسطاء العرب عمدا بسر أخفوه عن الإغريق القادمين من مصر ألا وهو اكتشافهم (أى العرب) القديم للرياح الموسمية التى

كانت تيسر الملاحة فى عرض البحر فى المحيط الهندى ، وقد أخفوا هذا السر حتى يحافظوا على احتكارهم للسلع الهندية الذى كانوا يجنون من وراءه أرباحاً طائلة [١٠] . لكن هذا الاحتكار العربى للسلع الهندية بدأ ينكسر مع نهاية القرن الثانى ق.م. عندما أرسل الملك بطلميوس يو إرجيتيس الثانى يودوكسوس من كيزيكوس إلى الهند حوالى عام ١١٦ ق.م. وقد أُنجزت رحلته ـ حسب وصف سترابون ـ بمساعدة ملاح هندى عُثر عليه بين الحياة والموت على الساحل المصرى للبحر الأحمر [١١]. إن هذه الرحلة الرائدة " ليودوكوسوس" إلى الهند ومنها ـ والتى التزم فيها بالابحار بمحاذاة الساحل[١٢] ـ لابد أنها شجعت بحاراً آخر من رفاقه ـ أو بعده بوقت قصير ـ " أعقبه فى الاستكشاف المنظم والاستغلال المنظم للطريق الجديد " . هذا المستكشف ـ واسمه هيبالوس [١٣] ـ لم يبحر بمحاذاة الساحل بل أبحر فى عرض البحر مستفيداً من الرياح الموسمية " الصيفية " التى سميت بأسم ذلك الملاح " هيبالوس " باعتباره أول ربان سفينة يونانى يكتشف هذه الرياح [١٤].

بعد هذا الاكتشاف للرياح الموسمية إلى الهند من قبل إغريق مصر، يبدو أن هذا الاكتشاف بدأ يدخل بالفعل حيز الاستغلال على مستوى اقتصادى ورسمى خلال عصر بطلميوس الثانى عشر " الزمار " (٨٠ ـ٥١ق.م.) . ويمكن أن نستنتج هذا من نقش من قفط يحمل اسماء اثنين من حكام النومات (المقاطعات) المصرية فى الإقليم الطيبى هما استراتيجوس النوموس المسمى الديوسبوليتى الأصغر (الهِو) واستراتيجوس قفط . ويُطلق على استراتيجوس قفط فى هذا النقش لقب " المشرف على البحر الاريترى (الأحمر) والهندى " “ο επι της

" Ερυθρας και Ινδικης θαλασσησ ٠ ورغم أن الناشر الأول لهذه الوثيقة أرّخها بحوالى عام ١١٠/١٠٩ ق٠م٠ [١٥] ، فإن عالماً آخر قد أوضح ـ فى مناقشة مُبرهنة مقنعة ـ أن تاريخ هذا النقش يعود إلى وقت لاحق حوالى عام ٧٤/٧٣ ق٠م٠ [١٦] كما اقترح أن لقب " المشرف على البحر الاريترى والهندى " ربما وجد فى وثيقة أخرى مؤرخة بعام ٧٨ق٠م٠ [١٧] لكنه موجود بالقطع فى نقش آخر مؤرخ بعام ٦٢ ق٠م٠[١٨]

ومن المحتمل أن قدراً من الدخل السنوى الهائل لمصر تحت بطلميوس الزمار " أوليتيس " ـ اثنى عشر ألفاً وخمسمائة تالنت حسب تقدير شيشرون [١٩] ـ كان يُحصّل من ضرائب ومكوس التجارة الشرقية ٠ إن هذه التجارة مع الشرق حتى الهند لابد أنها استمرت وتطورت تحت حكم كليوباترا رغم أن البعض استنتجوا أن قلة من الهنود زاروا الاسكندرية تحت حكم كليوباترا [٢٠] وذلك بناءً على قرينة مفادها ان الهنود لم يكونوا ضمن الجنسيات الأخرى التى اعتادت كليوباترا اللقاء بهم والحديث معهم دون الحاجة ـ إلا فيما ندر ـ لوساطة مترجمين [٢١] ٠ هذه القرينة ربما كانت مضللة فيما يتصل بالهنود الذين ربما كانوا حديثى العهد بالقدوم الى مصر ، وعليه فإن لغتهم لم تكن معروفة لكليوباترا فى حين كان أهل الجنسيات الأخرى المذكورة فى النص (كالاثيوبيين والعبرانيين والعرب والسوريين) من أهل المناطق المجاورة والذين كانوا يرتادون مصر منذ فترة طويلة قبل كليوباترا ٠

وهكذا يمكن للمرء أن يقول ـ بشئ من التحفظ ـ أنه فى خلال العصر البطلمى المتأخر كان هناك شئ أشبه بالتجارة البحرية المنتظمة بين مصر (البطلمية) والهند [٢٢] ليس بالإمكان تقدير حجمها ٠ ولكن هذا لا

يعنى أن الوسطاء العرب من جنوب الجزيرة قد تأثروا كثيراً بذلك إذ كانوا لا يزالون يقومون بدور الوساطة فى السلع الهندية كما كانوا يتاجرون فى سلعهم التى ينتجونها كالمر واللبان على طول الطريق البرى على ساحل البحر الأحمر غرب شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال حتى مملكة الأنباط . هذا الدور المزدهر الذى كانت بلاد العرب الجنوبية السعيدة لا تزال تقوم به ظل مستمرا خلال الفترة المبكرة من عصر الإمبراطورية الرومانية تحت حكم أغسطس . لقد كان الثراء الذائع الصيت لهؤلاء العرب من تجارتهم فى الطيوب وبعض الأحجار الكريمة وتطلع الرومان إلى مشاركتهم هذه الثروات الهائلة من الدوافع القوية وراء حملة أيليوس جالوس ضد بلاد العرب [٢٣] (التى سنفصل الحديث عنها فى جزء لاحق من هذا العمل) والتى أخفقت لعدة أسباب [٢٤] . كما وردت إشارة لاحقة غامضة فى مؤلف " الطوّاف حول البحر الاريترى " عن اجتياح لعدن قام به قيصر (لم يُعرّف أكثر من ذلك) قبل وقت ليس ببعيد من زمن تأليف هذا المؤلف (من قِبل تاجر إغريقى مجهول كان مقيماً بمصر وألّف هذا الدليل للتجار والبحارة حوالى منتصف القرن الأول الميلادى) . وسواءً كان هذا الاجتياح المزعوم قد وقع بالفعل ومن هو القيصر الذى نفّذه أم لم يحدث فإن هذا موضوع جدلى دارت حوله نقاشات كثيرة [٢٥] . (وسندلى برأينا حوله فى جزء لاحق) .

ولكن مع ذلك فإن حجم التجارة المصرية مع الشرق ــ لا سيما مع الهند ــ تحت حكم البطالمة كانت متواضعة ــ حسب شهادة سترابون ــ إذا ما قيست بالتجارة الشرقية الواسعة النطاق لمصر (تحت حكم الرومان) منذ بداية عصر الإمبراطور أغسطس . ففى ذلك الوقت كانت تُرسل

أساطيل كبيرة حتى الهند وأقصى أطراف أثيوبيا حيث تُجلب أُقيم السلع إلى مصر [٢٦] . أما عن قفط فقد لعبت دوراً حيوياً فى نقل شحنات الطيوب وغيرها من السلع الشرقية عبر النيل إلى الإسكندرية وهى سلع كان يؤتى بها بالبحر بالسفن التى كانت ترسو فى ميناء ميوس هورموس قادمة من بلاد العرب الجنوبية واثيوبيا والهند ثم تحملها الجمال فى قوافل من ميوس هورموس إلى قفط [٢٧] . أما الصادرات المصرية ـ وسلع البلدان الأخرى من خارج مصر ـ التى تسلك الطريق العكسى إلى الشرق فقد كانت تبدأ رحلتها من الإسكندرية وتُحمَل بعد ذلك فى القوارب النهرية وتصعد فى النيل إلى الجنوب مُحَمّلةً ببضائع التصدير ، وتتوقف فى مناطق عديدة فى طريقها لتأخذ سلعاً أخرى للتصدير حتى تصل إلى محطتها النهائية على النيل فى قفط . وفى قفط كانت هذه السلع تُفرّغ من القوارب النيلية وتُنقل بالجمال عبر الصحراء الشرقية إلى ميوس هورموس (شمالا) أو بيرينيكى (جنوبا) على الساحل المصرى للبحر الأحمر [٢٨] . أما عن سبب اختيار قفط على وجه الخصوص لتلعب مثل هذا الدور فيمكن تعليله بكونها أقرب نقطة على النيل لساحل البحر الأحمر نظراً لوقوعها على تلك الحنية الكبرى نحو الشرق من نهر النيل فى مصر العليا [٢٩] . كما أنها تقع كذلك فى موقع وسط بين الميناءين الشهيرين لمصر على البحر الأحمر فى ذلك الوقت وهما ميوس هورموس إلى الشمال الشرقى وبيرينيكى إلى الجنوب الشرقى عبر الصحراء الشرقية .

أما فيما يتعلق بهذين الميناءين المصريين على البحر الأحمر فقد ركّز سترابون على دور ميوس هورموس (أنظر هامشى ٢٦ ، ٢٧) كما لو كان أكثر أهمية من بيرينيكى . وفوق ذلك فإن هبوط من تبقّى من قوات

أيليوس جالوس ـ بعد حملته المشئومة ضد بلاد العرب السعيدة ـ فى ميوس هورموس [٣٠] ، إضافةً إلى وصف الميناء بأنه مدينة ذات محطة بحرية للبحارة [٣١] يعضد القول بأهمية هذا الميناء على أيام سترابون كما أشرنا أعلاه .

ولكن هل كانت ميوس هورموس فى ذلك الوقت أكثر أهميةً حقا من بيرينيكى ؟هناك أرشيف (سجل) يحوى شئونا خاصة بمجال الأعمال التجارية لعائلة شخص يُدعى نيكانور كان مقيما فى قفط ولكن له وكلاء وتجار وبحارة ممن يعملون معه فى ميوس هورموس وبيرينيكى ، هذا السجل يلقى بعض الضوء حول هذا الموضوع . يضم هذا الأرشيف حوالى ٩٠ شقفة مكتوبة من الفخار (أوستراكا) تغطى فترة زمنية تمتد بين ١٨ق.م. ، ٦٩م . وتحتوى على معلومات حول إمدادات كانت تُرسل من قفط إلى وكلاء وموظفى نيكانور فى شركات النقل التابعة له فى ميوس هورموس وبيرينيكى [٣٢] ، إن توزيع هذه الإمدادات بين المينائين يرجح أنهما كانا تقريبا يتمتعان بأهمية متساوية . ولكن قرائن هذا الأرشيف لا تكفى لإثبات هذا الوضع والبرهنة عليه لأن هذه القرائن لا تمثل إلا مجال الأعمال التجارية لعائلة واحدة ، رغم أنها تلقى بعض الضوء على أشخاص أو جماعات أخرى من جنسيات مختلفة شاركت فى هذه الأنشطة التجارية[٣٣] . ورغم ذلك يبدو أنه فى خلال التسعة عقود التى يغطيها هذا الأرشيف من الأوستراكا كانت بيرينيكى تزداد أهمية أكثر فأكثر لدرجة أن ليونيل كاسون ـــ فى مقدمته وتعليقه على مؤلَّف " الطوّاف حول البحر الاريترى " والذى يؤرخه بحوالى منتصف القرن الأول الميلادى ـ افترض أن بيرينيكى " تبوأت مكان الصدارة بوضوح " على ميوس هورموس وأن

"الميزان كان يميل لصالح بيرينيكي "(٣٤) . إن افتراضه هذا يرتكز على حقيقة أن مؤلف " الطواف " يبدأ حديثه عن الطرق التجارية إلى أفريقيا والهند من بيرينيكي كما أنه يحسب طول الرحلة في البحر الأحمر شمالا إلى البتراء عاصمة مملكة الأنباط (٣٥) - من برينيكي . لكن هذه المعلومات المذكورة في "الطواف " لا تعني بالضرورة أن بيرينيكي كانت أكثر أهمية من ميوس هورموس ، ولنحاول أن نفهم هذه المعلومات ببساطة في سياقها الطبيعي الجغرافي . إن بيرينيكي تقع في أقصى الجنوب من الساحل المصري على البحر الأحمر ، ولذلك كانت هي الأقرب إلى موانئ جنوب بلاد العرب أو أفريقيا والهند . أما بالنسبة لحساب طول الرحلة في البحر الأحمر شمالاً من بيرينيكي فربما كان السبب وراء ذلك هو رغبة الكاتب في تحديد نقطة قياسية على الساحل المصري يحسب منها المسافات مع الموانئ الأخرى المختلفة . ومن الجدير بالذكر أن مؤلف "الطواف " غالباً ما يقرن بين ميوس هورموس وبيرينيكي وأنه بدأ الفقرة الافتتاحية لمؤلفه بذكر ميوس هورموس وبيرينيكي بالترتيب باعتبارهما الميناءين الرئيسيين لمصر على البحر الأحمر (٣٦) .

لكن من النقاط الأخرى التي أبرزها كلسون - لمزيد من التعزيز لافتراضه السابق بتفوق بيرينيكي على ميوس هورموس - أن بيرينيكي كانت تتمتع بـ "ميزة أكبر " عن ميوس هورموس ألا وهي أنها كانت توفر على التجار القادمين من الجنوب والجنوب الشرقي رحلة تقدر بمائتين وثلاثين ميلاً بحرياً إلى الشمال في البحر الأحمر (وهي رحلة عسيرة) حتى ميوس هورموس . ولكن يبدو أن صعوبة الملاحة في ذلك الجزء من البحر الأحمر (من بيرينيكي إلى ميوس هورموس) أمر مبالغ فيه بعض

الشئ ولا يؤخذ مأخذ الجد إذا ما وضعنا فى اعتبارنا وذهننا عبارة سترابون (٢ ـ ٥ ـ ١٢ ـ) من أن مائة وعشرين سفينة اعتادت أن تبحر من ميوس هورموس إلى الهند فى زمنه ـ وفى ذلك دليل لا يرقى إليه الشك فى أن ربابنة السفن فى بداية عصر الإمبراطورية الرومانية كانوا قد اعتادوا الإبحار من ميوس هورموس إلى الجنوب والشرق حتى الهند والعكس أى من الهند وجنوب الجزيرة العربية إلى ميوس هورموس (أنظر هامش ٢٧/ سترابون ١٦ ـ ٤ـ ٢٤) ٠ وبالاضافة إلى ذلك فإن نقل البضائع بالطريق البرى من ميوس هورموس حتى قفط (أو العكس) سوف يوفّر على أصحاب هذه البضائع ستة أو سبعة أيام عمّا لو نقلوها من بيرينيكى إلى قفط (أو العكس) [٣٧] ٠

باختصار يبدو أنه حتى زمن كتابة مؤلَّف " الطواف " (حوالى منتصف القرن الأول الميلادى) كانت ميوس هورموس وبيرينيكى تلعبان دوراً متساوياً تقريباً فى التجارة الشرقية لمصر (الرومانية) وإن كانت ميوس هورموس لا تزال ـ حتى ذلك الحين ـ تتبوأ مكان الصدارة إلى حد ما ٠ وهذا ينطوى فى حد ذاته على أن بيرينيكى كانت تزداد أهميتها بشكل تدريجى بطئ ٠ ويبدو أن هذا النمو لبيرينيكى كان قد بدأ منذ حكم الامبراطور تيبريوس حين بدأ توجيه الاهتمام لإصلاح وبناء بيرينيكى كما يتبين من الشواهد الأثرية فى معبد " خِم " فى مركز المدينة حيث تظهر خرطوشات تحمل أسماء تيبريوس ودوميتيان وتراجان وهادريان وماركوس أوريليوس [٣٨] ٠ وفى الوقت الذى كتب فيه بلينى الأكبر مؤلفه " التاريخ الطبيعى " (الذى أهداه إلى تيتوس عام ٧٧م ٠ ونُشر بعد وفاته) يبدو ان بيرينيكى قد اكتسبت أهمية أكبر وتفوقت على ميوس هورموس ٠ إذ يركّز

بلينى عليها (على بيرينيكى) باعتبارها الميناء التجارى مع بلاد العرب والهند ويحصى المسافات بين صهاريج المياه على الطريق المؤدى من قفط إلى بيرينيكى [٣٩] . ومن جهة أخرى فإنه (بلينى) يذكر ميوس هورموس بصورة عارضة بين الموانئ الأخرى (الأصغر) على الساحل المصرى للبحر الأحمر [٤٠] .

والآن لنعد إلى قفط ودورها المزدهر المتميز كمركز تجارى كبير معروف جيداً للتجار المصريين والإغريق والعرب والإثيوبيين والهنود[٤١]، ولنحاول إبراز هذا الدور والقاء مزيد من الضوء عليه فى عصر الإمبراطورية الرومانية المبكر من خلال الوثائق والشواهد المتاحة . لقد سبق أن رأينا كيف أن أرشيف نيكانور لا يكفى أبدا للتعبير عن التجارة الشرقية لقفط لأن قطع الأوستراكا التى يتضمنها هذا الأرشيف تسجل فقط المؤن المحلية المرسلة من قفط إلى التجار والبحارة والوكلاء لنيكانور والمقيمين فى مينائىّ ميوس هورموس وبيرينيكى ، وذلك واضح من ضآلة كميات الطعام والشراب المرسلة والتى لم تنقطع على مدار العام ، هذه الكميات الصغيرة لا يمكن ان تكون للتصدير [٤٢] . ورغم هذا فإن ذلك الأرشيف يزودنا بقرائن ضمنية عن ارتباط عائلات معينة من قفط بأنشطة تجارية مع بلدان الجنوب والشرق . فبالإضافة للمراكز الرئيسية لهذه المؤسسات فى قفط كانت لها توكيلاتها أو فروعها فى الموانئ المتصلة بها على ساحل البحر الأحمر مثل ميوس هورموس وبيرينيكى والتى كانت على اتصال وثيق بمركزها الرئيسى فى قفط .

وهناك مصدر هام آخر من مصادر المعلومات حول التجارة الشرقية لمصر (الرومانية) فى القرن الأول الميلادى وهو كتاب " الطوّاف حول

البحر الإريترى " • إذ يضم هذا المؤلف معلومات قيمة عن الموانئ الرئيسية وطرق التجارة والتجار والحكام والسلع العديدة للبلدان التى يتناولها• ومن الأمور ذات الأهمية الخاصة فى هذا المقام وضع قائمة بالسلع والمنتجات العديدة المتضمنة فى هذا المؤلّف سواء تلك التى تصدرها أو تستوردها مصر (الرومانية) والتى تمر فى الاتجاهين عبر قفط إلى الشرق ومنه • إن صادرات مصر (سواءً تلك المنتجة محليا أو سلع الترانزيت من الموانئ الأخرى للبحر المتوسط) إلى بلاد الشرق المقصودة (بلاد العرب واثيوبيا والهند) كانت تتضمن المواد الغذائية والمشروبات مثل الزيتون وزيت الزيتون والقمح والنبيذ [٤٣] ، والمنسوجات والأقمشة العادية منها (بل وحتى المستعملة) والمتميزة ذات الأثمان المرتفعة [٤٤] ، والأدوات المنزلية وآلات الحرف اليدوية سواءً كانت هذه السلع عادية كالمصنوعات الزجاجية والنحاسية مثل أوانى الشرب النحاسية والمصنوعات الحديدية كالفئوس والمدى والمثاقب ، أو سلع ذات نوعية متميزة كالمصنوعات (المشغولات) الفضية والذهبية والعبيد والخيول والبغال (وهى سلع كانت تُباع للقصور) [٤٥] • كما كان من بين صادرات مصر المواد الخام كالحديد والقصدير والرصاص والنحاس وخام الزجاج[٤٦] ، والأحجار الكريمة والمرجان [٤٧] ، والعقاقير الطبية والأصباغ مثل الزعفران والمراهم والميعة ورهج الغار والرهج الأصفر [٤٨] .

أما عن واردات مصر من المناطق الجنوبية والشرقية فيمكن إدراجها أساسا ـ حسبما وردت فى " الطوّاف " ـ على النحو التالى :

(أ) من الساحل الإفريقى :

من " بطلمية الوحوش " وأدوليس على البحر الأحمر إلى الجنوب من

مصر وحتى رافتا (دار السلام الحالية) [٤٩] ـ كانت أهم واردات مصر هى البهارات والطيوب كالمر واللبان والكاسيا (القصيعة) ، هذا بالإضافة إلى سلع غالية الثمن كالعاج وهياكل السلاحف وقرون الخرتيت والعبيد[٥٠].

(ب) من ساحل جنوب الجزيرة العربية :

من مضيق باب المندب (موزا) حتى كانى (قَنا) على الساحل الجنوبى ـ كانت أهم الواردات هى المر واللبان ، بالإضافة إلى العقاقير المستخرجة من الصبار والأصباغ كاللون الأحمر الزاهى (كبريتيد الزئبق)[٥١] .

(جـ) من شبه القارة الهندية :

والتى كانت أهم موانيها التجارية هى باربارِيكون وباريجازا فى الشمال الغربى ، وموزيريس ونيلكيندا وأرجارو فى الجنوب الغربى والجنوب ، وماساليا وديسارينى والجانج فى الشمال الشرقى ـ كانت أهم الواردات منها هى السلع غالية الثمن والمجوهرات مثل العاج وعظام السلاحف والفيروز واللازورد والجزع واللؤلؤ والأحجار الكريمة الشفافة والماس والصفّير ، ويستورد منها كذلك الملابس الثمينة والأردية القطينة **والأقمشة الحريرية وخيوط الحر ير التى كانت تأتى أصلاً من الصين إلى الهند براً عبر باكتريا إلى باريجازا وعبر نهر الجانج إلى ليميريكى [٥٢].**
كما يستورد منها بعض البهارات والطيوب كالفلفل والمُقل βδελλα ، وبعض العقاقير الطبية والأصباغ مثل الكوستوس Κοστος والناردين (مرهم) ναρδος والليكون وصبغة النيلة الهندية [٥٣] المسماة بالـ indigo المأخوذة عن Ινδικων μελαν (أى الصبغة الهندية السوداء)٠

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر تتعلق بصادرات وواردات مصر (الرومانية) مع هذه المناطق الجنوبية والشرقية . ولعل هذه الملحوظة الرئيسية التى تسترعى الانتباه فيما يتعلق بالصادرات المصرية هى أن قدراً كبيراً منها كان يباع خصيصاً لملوك وحكام تلك الأماكن فى قصورهم (τω δε βασιλει انظر الفقرات ٦ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٩ من مؤلف الطوّاف) حيث كانت تباع لهم المشغولات الفضية والذهبية والخيول والبغال والملابس الباهظة الثمن المقصبة بالذهب والعبيد من عازفى الموسيقى والفتيات الجميلات اللاتى كن يُتخذن محظيات وأنواع راقية من المراهم وأفخر أنواع النبيذ . ورغم أن هؤلاء التجار المصريين كانوا يبيعون كذلك سلعاً أخرى عادية (كالملابس العادية بل والمستعملة والمواد الغذائية والنبيذ العادى وبعض الأدوات المنزلية والآلات الحِرَفية والمشغولات الزجاجية والنحاسية والأغطية الصوفية وأوانى الشرب والمصنوعات الحديدية كالفئوس والمِدَى والمثاقب ، وبعض العقاقير والأصباغ) إلى سكان تلك المناطق الشرقية من متوسطى الحال والمتيسرين إلى حد ما ، فإنه يبدو أن ما كان يشغل هؤلاء التجار من مصر فى المقام الأول هو بيع سلع الرفاهية الفخمة للصفوة من عِلية القوم من حكام وملوك وأمراء تلك المناطق . وفيما يبدو فربما كان هدف التجار من شحن سفنهم المبحرة إلى الشرق ببعض السلع العادية بجانب سلع الفخامة والرفاهية هو أن يملأوا فراغات سفنهم لا سيما وان معظم سلع الرفاهية كانت مما خف وزنه وصغر حجمه وغلا ثمنه . وربما كان القصد هو إخفاء سلع الرفاهية تلك فى ثنايا الكميات الكبيرة من السلع العادية خشية القراصنة واللصوص وقطاع الطرق . وفى رحلة عودة هؤلاء التجار والبحارة إلى مصر من أقطار ومناطق الشرق والجنوب فإنهم غالباً ما كانوا يجلبون معهم كذلك سلعاً للفخامة والرفاهية

مثيرة للعجب والإعجاب مما ذكرناه أعلاه . وهكذا يمكن القول بأن التجارة الشرقية كانت أساساً تجارة فى سلع الرفاهية خصوصاً واردات مصر من الشرق التى كانت كذلك فى الأغلب الأعم (٥٤) .

فى هذه التجارة الشرقية القائمة ـ أساساً ـ على سلع الرفاهية حافظت قفط على دورها كسوق لتجارة الترانزيت بين سلع الشرق والغرب التى تمر بها فى الاتجاهين وذلك خلال القرنين الأول (كما رأينا فى " الطوّاف " وعند بلينى الأكبر) والثانى الميلادى كما سنرى فى المثال الوثائقى التالى . هذه الوثيقة هى عبارة عن خطاب شخصى موجّه ـ فيما يبدو ـ من تاجر فى قفط يتعامل فى سلع الرفاهية يبعث به إلى الاستراتيجوس أبوللونيوس (من المرجح أن يكون هو الاستراتيجوس المشهور لإقليم الهيبتاكوميا فى مصر العليا من عصر هادريان) (٥٥) . ويخبر هذا التاجر عميله الموقر أنه يحمل أنباء سارة مفادها أنه انتقى له تحفا من سلع الرفاهية الأصلية القيّمة التى حازت إعجاب كل من رآها ، وهى تحف كان أبوللونيوس قد أوصاه عليها من قبل (٥٦) . والأكثر من ذلك أنه اشتراها لعميله بأسعار معقولة تقل ـ حسب قول التاجر ـ عن تلك الأسعار التى كان يتوقعها ويقدّرها الاستراتيجوس نفسه (٥٧) . وكانت هذه القائمة من السلع النفيسة الموصّى عليها تتضمن درعاً لحماية الصدر مصنوع من النحاس الدقيق الرائع ومشغول بنسيج رقيق ممتاز وخفيف الوزن ، ونوعاً من الحبال الإيطالية (ربما) ، وصبغة أرجوانية وبهارات ومتبلات وخنجراً يوضع فى نطاق حول الوسط وتمثالا نحاسياً صغيراً لحمار (٥٨) . كما يشير إلى تماثيل صغيرة منحوتة سبق أن بعث بها هذا التاجر إلى أبوللونيوس فى صندوق خشبى (٥٩) . ويختتم التاجر خطابه بعبارة ذات دلالة هامة

وملحوظة أوردها كالآتى : " فأنتم تعلمون أن الأسعار فى قفط تتغير من يوم إلى آخر " [٦٠] . إن هذه العبارة تبرز بوضوح شديد الحركة التجارية النشطة الحيوية للسوق فى قفط وكيف كان التجار والمتعاملون مع هذه السوق حريصين على اقتناص الفرص المتاحة أمامهم فى الوقت الملائم . إن هذا الخطاب يلقى ضوءاً طريفاً كذلك على وجود صنّاع مهرة لنحت وصياغة المجوهرات متخصصين فى أنواع عديدة من تماثيل وتحف الزينة[٦١] .

وهناك وثيقة أخرى من منتصف القرن الثانى الميلادى (عقد حول سلع وبضائع هندية استوردها تاجر مقيم بمصر ، سنتناوله بالتفصيل فيما بعد) والمنتجات الهندية المذكورة فيها ــ والتى مرت بقفط فى طريقها للإسكندرية ــ هى مرهم الناردين العطرى والعاج والمنسوجات (٦٢) من بين بقية السلع التى تصدرها الهند والتى جاء ذكرها فى " الطواف " .

هذه التجارة فى سلع الرفاهية الشرقية مع الإمبراطورية الرومانية كانت عادة ما تكلف الخزانة الرومانية مبالغ طائلة من المال لدرجة أن الإمبراطور تيبريوس أبدى تذمره من أن ثروات الرومان كانت تنتقل إلى أمم غريبة أو معادية من خلال الملابس والمجوهرات الرجالية والنسائية الباهظة الثمن ــ خاصة من جانب النساء [٦٣] . وفى فترة لاحقة من القرن الأول الميلادى يشير بلينى الأكبر أن السلع الهندية كانت تباع للرومان بمائة ضعف سعرها أو تكلفتها الاصلية وأن الرومان ينفقون مبلغاً إجمالياً ضخماً يقدر بخمسين مليون سيستركيس رومانى على الأقل [٦٤] . وفى فقرة أخرى عند بلينى يذكر أن التجارة الشرقية للإمبراطورية الرومانية مع الهند والصين والجزيرة العربية كانت تكلف الخزانة الإمبراطورية مائة مليون

سبستركيس رومانى على الأقل كل عام كانت تنفق على سلع الرفاهية وعلى نساء الرومان (٦٥) .

إن سلع الرفاهيــة الشــرقية الباهظــة التكــاليف هــذه كــانت تتطلــب بالضرورة حماية وحراسة على ظهر السفن التى كانت تنقلها من مناطق إنتاجها الشرقية أو عبر طرق الصحراء الشرقية المتجهة إلى قفط على النيل من موانئ البحر الأحمر ٠ لقد كانت السفن التى تمخر عباب البحر من تلك البلدان الشرقية إلى مصر والعكس مزودة بجماعات من رماة السهام على متنها لأن البحار الشرقية كانت تغص بالقراصنة (٦٦) ٠ كما كانت الطرق الصحراوية الموصلة بين موانئ البحر الأحمر وقفط مجهزة بمحطات ونقاط لتأمين التجار والجمّالين منذ عهد بطلميوس الثانى فيلادلفوس (هامش رقم٥) ٠ وفى الفترة المتأخرة من العصر البطلمى فى أواخر القرن الثانى ق٠م٠ تحت حكم بطلميوس يو إرجيتيس الثانى زوّدت هذه الطرق بقوات عُهد إليها بمهام محددة مثل تأمين تعدين الأحجار الكريمة وضمان سلامة البحارة والتجار الذين يجلبون المنتجات الشرقية إلى قفط ٠ وتبرز هذه الإجراءات جلياً من خلال نقش تكريسى من منطقة قفط مقدم من رئيس الحراس ويُسمى سوتيريخوس إلى الإله بان ــ رب المراعى والمناطق النائية المنعزلة عند الإغريق ــ والذى أُرسل (كبير الحراس) إلى قفط والصحراء الشرقية من قبل استراتيجوس إقليم طيبة للقيام بالمهام المذكورة أعلاه كما ورد فى النقش (٦٧) .

أما تحت الحكم الرومانى ومع ازدياد حجم وتنوع وقيمة التجارة الشرقية ــ خاصة مع الهند ــ فمن الطبيعى والمتوقع أن تزوّد الإدارة الرومانية لمصر طرق القوافل فى صحراء مصر الشرقية المؤدية إلى قفط

والبادئة منها بالمزيد من القوات وإجراءات الأمن • وهناك بعض الوثائق البردية من قفط ـ حيث المقر الرئيسى لقيادة القوات الرومانية فى الصحراء الشرقية ـ والتى تبرهن على وجود بعض المعاملات الخاصة لقوات الحامية الرومانية هناك • من بين هذه المعاملات لجنود الحامية الرومانية منح إجازات لبعضهم لزيارة ممتلكاتهم فى نومات (مقاطعات) أخرى [٦٨] ، وقضايا (دعاوى قضائية) بخصوص مشاكل تتعلق بودائع ومهور وممتلكات ومواريث وديون ورهون ووصاية على أطفال الجند ، وهى مشاكل كانت تنجم عن الزيجات غير الشرعية للجند [٦٩] • وعلى الرغم من أن هذه الوثائق والدعاوى القضائية قد دوّنت أو أُقيمت فى قفط حيث كان يتمركز هؤلاء الجند إلا أن أماكن إقامتهم وأملاكهم كانت فى نومات أخرى فى مصر كما يتضح من محتويات الوثائق المذكورة [٧٠] • وفى بعض شقف اوستراكا وادى الفواخير ـ على الطريق من قفط إلى ليوكوس ليمين (ميناء القُصير القديم) ـ نجد الجند فى إحدى الوحدات الرومانية هناك يطلبون بعض الأشياء من قفط ويشيرون إلى صفقات خاصة تتعلق بأعمال تجارية [٧١] • وفى بعض الأحيان نرى الوحدات العسكرية الرومانية فى الصحراء الشرقية تنجز بعض الصفقات التجارية مع التجار العابرين لتلك الصحراء من قفط أو إليها كما ينعكس فى بعض الأوستراكا من أرشيف نيكانور [٧٢] • أما المهام الرسمية المنوطة بالقوات الرومانية فى الصحراء الشرقية فتتضمن الحفاظ على الأمن الداخلى ضد قبائل بدو الصحراء ، وحماية المحاجر ومناجم الذهب وغيره من الأحجار الكريمة ، وتأمين الطرق التجارية هناك [٧٣] •إن مثل هذه الواجبات المتصلة بالرقابة والسيطرة العامة على المنطقة الواقعة بين وادى النيل والبحر الأحمر كانت منوطة خلال العصر الإمبراطورى المبكر بضابط عسكرى مُلقب بـ "

المشرف على جبل بيرينيكى – επαρχos opovs Βερενικηs " وهو منصب يبدو أنه قد حلّ محله فى أوائل القرن الثانى الميلادى منصب استراتيجوس النوموس البيرينيكى [٧٤] .

أما عن الرسوم والضرائب التى تُفرض على التجارة الشرقية وكيفية إدارتها وجبايتها فى مصر بشكل عام وفى قفط بشكل خاص فإن لدينا وثيقة كاشفة غزيرة المعلومات عن الرسوم التى كانت تُجبى فى قفط نظير استخدام الطرق المؤدية من قفط إلى البحر الأحمر ٠ هذه الوثيقة هى نقش قفط المشهور المؤرخ بعام ٩٠م والمعروف بـ " تعريفة رسوم قفط " التى أصدرها " قائد جبل بيرينيكى " أو فى عبارة أخرى γνωμων "المشرف على جبل بيرينيكى " [٧٥] ٠ إن الرسوم المذكورة فى هذه " التعريفة " هى رسوم مرور αποστολιον للأفراد وما معهم من بضائع على النحو الآتى :

عن ربان سفينة فى البحر الأحمر ٨ دراخمات ، عن ربان سفينة نيلية ٦ دراخمات ، عن موجّه الدفة ١٠ دراخمات ، عن الحارس ١٠ دراخمات [٧٦] ، عن البحّار ٥ دراخمات ، عن المرافق من بنائى السفن ٥ دراخمات ، عن الحِرفى ٨ دراخمات ، عن العاهرات (سيدات للرفقة أو الصحبة) ١٠٨ دراخمة ، عن زوجات البحارة ٢٠ دراخمة ، عن زوجات الجند ٢٠ دراخمة ، عن (استخراج) تصريح للجمال ١ أوبول ، عن ختم التصريح ٢ أوبول ، عن كل تصريح لشخص سيركب السفينة فى نهاية رحلته ١ دراخمة ، وعن كل أمرأة ستصعد السفينة ٤ دراخمات ، وعن كل حمار ٢ أوبول ، وعن كل عربة ذات غطاء مربع ٤ دراخمات ، وعن صارى السفينة ٢٠ دراخمة ، وعن البوق (نفير)، وعن جنازة محمولة

صاعداً أو هابطاً (ربما المقصود شرقاً أو غرباً) ١ دراخمة و ٤ أوبولات[٧٧] .

إن هذه التعريفة " بمحتوياتها تلقى ضوءاً إيجابياً على حركة التجارة والانتقال التى تتسم بالحيوية للأفراد والبضائع عبر الصحراء الشرقية بين قفط والبحر الأحمر . كما أنها تظهر بجلاء أن الإدارة فى قفط وموانئ البحر الأحمر كانت تُحصّل مبالغ كبيرة من المال كرسوم [٧٨] ، حتى إذا نحّينا الضرائب جانباً . ربما كان هذا المال المتحصل من الرسوم كان يُستغل فى صيانة الطرق والمنشآت فى المنطقة [٧٩] .

أما عن الضرائب المفروضة على السلع الشرقية المستوردة إلى مصر والمجلوبة عبر موانئ البحر الأحمر فإن أطراف أحد عقود التجارة فى السلع الهندية المستوردة إلى مصر من حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى (P . Vindob. G. 40822 وسوف نناقش طبيعة هذا العقد بالتفصيل فيما بعد) يحددون فى العقد أن المكوس على هذه البضائع سوف تُدفع فى مستودعين : الأول على النيل فى قفط (حيث لم تُحدد نسبة هذه المكوس) والثانى عندما تبحر القوارب النيلية المحملة بهذه البضائع إلى أقصى الشمال فى مصر حيث ستُدفع على هذه البضائع فى الإسكندرية جمارك قدرها ربع (٢٥٪) من قيمة البضائع [٨٠] . إن هذا يعنى ضمناً أن المكوس التى كانت تُدفع فى قفط كانت ـ كتلك الموجودة فى تعريفة قفط أعلاه ـ مجرد رسوم انتقال داخلية تُجبى فى جمارك قفط ، فى حين كانت الـ ٢٥٪ التى تُجبى فى الإسكندرية على السلع المستوردة ضرائب (جمارك) فعلية . ومما يُدعِّم هذا الترجيح بند آخر فى العقد المشار إليه أعلاه يتعهد فيه المدين بـ " التكفل بكافة النفقات المستقبلية من الآن (وقت إبرام العقد)

حتى يتم سداد الربع (الـ ٢٥٪) " [٨١] . هذا التباين يشير بوضوح إلى أن " كافة النفقات " المشار إليها قبل دفع الضريبة الأساسية (ضريبة الربع) في الإسكندرية تشمل الرسوم المحدودة للنقل والترانزيت [٨٢] .

نفس هذا المعدل الضريبي على سلع الرفاهية الشرقية نجد شاهداً عليه في كتاب " الطوّاف " في ليوكي كومي " في مملكة الأنباط قبل حوالي قرن من تاريخ العقد المذكور أعلاه [٨٣] . وسواء كانت هذه النسبة الضريبية (٢٥٪) عند الأنباط قد فرضها الأنباط أنفسهم أم أنها فُرضت من جانب الرومان – باعتبار أن مملكة الأنباط صارت من الممالك العميلة للرومان منذ عام ٦٣ق.م. وكما قد يُستشف من تشابه الألقاب التي يحملها ضباط أو موظفي الجمارك الأنباط مع نظرائهم الرومان [٨٤] – فيبدو أن نسبة الربع هذه كانت شائعة ومقبولة كضريبة على سلع الرفاهية الشرقية واستمر هذا الوضع ما يزيد على قرن كما رأينا . وهناك شواهد كذلك على ضريبة الربع هذه في نقشين من تدمر (بالميرا) من النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي حيث حُصّلت هذه الضريبة على بضائع كانت تمر بين سوريا (الرومانية) وبلاد البارثيين [٨٥] .

وفيما يتصل بجباية الرسوم والمكوس على الأشخاص والعربات والحيوانات والبضائع التي تعبر الصحراء الشرقية إلى قفط أو منها فإن لدينا وثيقة هامة تشير إلى هذا الموضوع والصعوبات التي تكتنف عملية الجباية. هذه الوثيقة هي شكوى مقدمة من استراتيجوس قفط عام ١٣٩م. إلى أفيديوس هليودوروس – والي مصر – ضد شاغلي المناصب العامة في مقاطعة (نوموس) قفط من بين الرومان والسكندريين والمحاربين القدماء[٨٦] . لقد كان هؤلاء – حسب قول الاستراتيجوس – أناس عُصاة

اعتادوا مقاومة أوامره ، وبعد أن أسدى النصح إليهم لكى يمتثلوا لتعليماته فإنه لا يزال يعتقد بأنهم يعملون ضده ولذلك أبلغ الوالى عن تصرفاتهم(٨٧).

فى هذه الشكوى إلى والى مصر يثير استراتيجوس النوموس القفطى مسألة يعتبرها ذات أهمية وأولوية قصوى ألا وهى جباية الرسوم للخزانة الإمبراطورية لذلك فإنه يولى أهمية بالغة لمسألة جباية هذه العوائد شهرياً تحت إشرافه ويطالب جباة الضرائب بأن يميّزوا بين تحصيل الرسوم الخاصة وجباية العوائد العامة على أكمل وجه حسبما يُطلب منهم (٨٩) . لكن الموظفين الرومان والسكندريين بين صفوف موظفيه يرفضون الانصياع لأوامر الاستراتيجوس كما يرفضون أن يُعاملوا على قدم المساواة مع جباة الضرائب المحليين من المصريين ، وهكذا يعوقون جباية العوائد والرسوم ويعرّضون مصالح الإمبراطور لمخاطر كبيرة (٩٠) . وعلى ظهر الوثيقة يبدو أن الوالى قد أصدر أوامره وتعليماته إلى الابيستراتيجوس من أجل إجبار هؤلاء الموظفين الجامحين على الاضطلاع بواجباتهم (٩١).

يتضح من هذه الوثيقة أن شكوى حاكم مقاطعة قفط كانت فى الأساس من جباة الضرائب المتغطرسين من الرومان والسكندريين الذين كان من بينهم بطبيعة الحالة موظفون كبار من جمارك قفط . كما أن هناك شواهد مبكرة توضح وجود بعض الرومان يتولون جباية ضرائب البحر الأحمر والتى كان يُسند إليهم التزامها من قِبل الخزانة الإمبراطورية ومن الأمثلة على هؤلاء الإداريين الرومان الذين كانوا يقومون على جباية هذه العوائد والرسوم أنيوس بلوكاموس العبد المعتق الذى ورد ذكره عند بلينى (٩٢) .

أما عن جنسيات التجار المشاركين فى التجارة الشرقية ممن كانوا يقيمون فى قفط أو كان لهم وكلاء فيها أو فى إحدى موانئ البحر الأحمر

وكذلك إجراءات التجارة والتعاقد فسنتحدث عنها بقدر القرائن المتاحة . بالإضافة إلى المعلومات المتاحة المستقاة من أرشيف نيكانور (هامش رقم٣٢) هنالك شواهد أخرى تؤيد وجود أنباط فى الصحراء الشرقية المصرية كجمّالين على طريق النيل ـ الصحراء الشرقية ـ البحر الأحمر ، هذا إضافةً إلى تدمريين وعرب وهنود [٩٣] .

أما بخصوص إجراءات التعاقد بالنسبة للصفقات التجارية بين التجار المصريين (أو المقيمين فى مصر) والتجار الشرقيين فهناك ذلك العقد الهام للسلع المستوردة من الهند إلى مصر من حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى والذى سبقت الإشارة إليه (الهوامش أرقام ٦٢ ، ٨٠) . أُبرم هذا العقد P . Vindob. 40822 G. بين طرفين أولهما (أ) يبدو أنه كان تاجراً مصرياً أو مقيماً بمصر يُحضر سلعاً من الهند إلى مصر ويتعهد بتنفيذ بنود اتفق عليها مع الطرق الآخر فى التعاقد أو (ب) الذى كان مقيماً فى " موزيريس " ، الميناء الرئيسى على ساحل " ملابار " فى جنوب غرب الهند . هذا الطرف الثانى فى التعاقد (ب) ربما كان تاجراً يونانياً أو رومانياً مقيماً فى موزيريس أو ربما كان هندياً من أهل البلاد لكنه يعرف اللغة اليونانية المكتوب بها العقد . يتعهد (أ) باختصار بنقل بضائع من أحد موانئ البحر الأحمر إلى الاسكندرية عبر الصحراء الشرقية وقفط ثم فى النيل شمالاً على متن القوارب النهرية إلى الاسكندرية ويضمن سلامة هذه البضائع طيلة تلك الرحلة الطويلة ، كما يتعهد بدفع كافة نفقات ورسوم المرور وضريبة الربع (٢٥٪) على هذه البضائع فى الاسكندرية . وهناك أخيراً فقرة جزائية فى حالة أخفاق (أ) فى الوفاء بالتزاماته ، أى أنه إذا لم يتمكن (أ) من سداد قرض معين بين طرفى العقد فى حينه ـ حسب اتفاق

سابق أُبرم بين الطرفين فى موزيريس ـ يكون لـ (ب) أو من ينوب عنه كامل حق التنفيذ على البضائع المعنية فى الاسكندرية ودفع ضريبة الربع (٢٥٪) ونقل بقية البضائع حيث يريد(ون) والتصرف فيها بالبيع أو الرهن أو خلافه (٩٤) .

إن أول من تصدّى لتفسير طبيعة هذا العقد هما العالمان H. Harrauer ، P. Sijpesteijn فى نشرهما الأول للوثيقة (٩٥) حيث اقترحا أن هذا العقد هو عقد قرض بحرى أبرم فى الهند وان المقترِض (الممثّل أعلاه بـ " أ ") كان مالكاً لسفينة ، وأن المُقرِض (ب) تاجر ، وأن الأول ربما رهن سفينته كضمان للقرض (٩٦) .

لكن ليونيل كاسون رفض التفسير السابق عند إعادة نشره لجزء من هذه الوثيقة (R. Col. II) واعتبر اقتراح الناشرَين أمرا افتراضيا بحتا لا تدعمه أية قرائن ويتناقض مع محتوى العقد ، وكان اقتراحه البديل هو أن طرفىّ العقد كانا تجارا ، وأن (أ) كان تاجرا من المقيمين فى مصر قام برحلة إلى الهند ، وأن (ب) كان مقيما فى مدينة موزيريس حيث أبرم عقد القرض ، ثم يتفق مع الناشرَين الأوّلين فى أن (أ) قد اقترض مالا من (ب) ليشترى بضائع هندية يعود بها إلى موطنه (مصر) ولكنه يقترح ان ضمان القرض كان السلع المشتراه نفسها وليس سفينة كما افترض الناشران الأوّلان ، ثم يستمر كاسون فى التعليق على محتويات العقد كالآتى :

" أما بالنسبة للخدمات المدونة فى بداية النص فنظراً لأنه كان على (أ) ـ عند وصوله إلى أى من موانئ البحر الأحمر ترسو فيه السفينة ــ أن ينقل بضاعته من هناك إلى الاسكندرية يبدو أنه كان عليه كذلك بذل بعض الجهد الإضافى فى الاهتمام ببضائع الطرف الآخر (ب) ، ولعل الإقامة

الدائمة لـ (ب) فى موزيريس تفسر حاجته لمثل هذه الخدمات من جانب (أ) • ومن المؤكد أن أحد وكلاء أو ممثلى (ب) الذين ذُكروا مراراً فى العقد كان بإمكانه الاهتمام بأداء مثل هذه الخدمات ، ولكن بوسعنا أن نجد بسهولة أسبابا مقنعة (مقبولة) تبرر عدم قيامهم بذلك • ربما كان لدى هؤلاء الوكلاء أوامر صارمة من (ب) تأمرهم بإنفاق وقتهم فى السعى وراء شحنة للعودة (إلى الهند) ، أو ربما وجدوا فى الميناء سفينة تعرض شحنة ملائمة بصورة لا تقاوم فى العودة إلى الهند ، وهكذا " •

ثم يمضى فى تفسيره محاولا حل غموض البند الموجود فى العقد والذى ينص على أنه فى حالة عجز المقترض (أ) عن أداء دينه للمُقرض (ب) بافتراض أن المقترض قد جعل من السلع التى اشتراها فى موزيريس هى وعوائدها ضمانا للدّين الذى أبرم عقده هناك ، بمعنى أنه فى حالة عجز المقترض عن الوفاء بدينه يصبح من حق المقرض (ب) أو من ينوب عنه الاستيلاء على البضائع ودفع ضريبة الـ ٢٥٪ عليها ثم التصرف فى البضاعة لسداد الدين • وأخيراً توصل إلى استنتاج مفاده أن العقد الذى بين أيدينا ليس نسخةً من العقد المبرم فى موزيريس وإنما هو بالأحرى عقد جديد فى ظروف جديدة : فبعد الوصول الفعلى للبضائع إلى ميناء مصرى على البحر الأحمر وغياب عنصر المخاطر البحرية أُبرم العقد الجديد فى ذلك الميناء على البحر الأحمر بين التاجر المقيم بمصر وأحد وكلاء التاجر المقيم فى موزيريس باسم الأخير [٩٧] .

أن رأى كاسون يمكن أن يكون مقبولاً فيما يتعلق بتحديد هوية طرفى العقد ومكان التعاقد للعقد الذى بين أيدينا فى الظروف الجديدة بعد الوصول الفعلى للبضائع فى ميناء مصرى على البحر الأحمر • أما النقاط الأخرى

فى تفسيره فهى – من وجهة نظر الباحث – غير مقبولة وهناك فهم مختلف للصفقة بأسرها سيعرضه الباحث بعد قليل . ونقاط الاختلاف عن تفسير كاسون هى تحديدا ما يلى : (١) أن العقد – سواء العقد الأصلى المُبرم فى موزيريس أو العقد الجديد الذى بين أيدينا بعد وصول الشحنة إلى أحد موانئ البحر الأحمر – لم يكن عقدا " حقيقيا " وإنما كان عقدا " صوريا " على الأرجح (وهو ما سأفسره فيما بعد) . (٢) أن كاسون افترض أن المقترض – التاجر المقيم بمصر – قد أحضر معه شحنة أخرى متعلقة (خاصة) بالمُقرِض وهو التاجر المقيم بـ " موزيريس " بالإضافة إلى بضاعته هو . وبناء على هذا الافتراض سعى لإيجاد مبررات وتعليلات عن سبب قيام هذا التاجر المصرى – وليس وكلاء تاجر موزيريس ومندبوه فى مصر – بالاهتمام بشحنة تاجر موزيريس وتخليصها وبذل جهدا اضافيا فى هذا الصدد . وهذا – فيما أعتقد – فهم خاطئ للعقد الذى لم يُشِر إلى شحنتين من قريب أو بعيد بل تحدث عن شحنة واحدة لا غير .

ولكى أفسر وجهة نظرى أعرض فهمى للنص على الوجه الآتى :
عندما وصل التاجر المصرى (أو المقيم بمصر) إلى موزيريس وجد فرصة مغرية بشكل لا يقاوم يتمثل فى شحنة من البضائع الهندية خاصة بتاجر موزيريس (الطرف الثانى فى العقد) ، لكن – فيما يبدو – لم يكن التاجر المصرى يملك حينذاك المال الكافى ليسدد ثمن هذه الشحنة من البضائع . لكن يبدو كذلك أنه أقنع تاجر موزيريس بأن يقبل جزءا (بسيطا) من الثمن الإجمالى للشحنة كعربون أو مقدم ثمن ، بحيث يتم دفع بقية الثمن – على الأرجح – فى الإسكندرية بعد عودة التاجر المصرى بشحنة البضائع ، وأن يكون دفع بقية المبلغ لوكلاء أو مندوبى التاجر الهندى فى

مصر • ولضمان سداد الجزء المتبقى من ثمن البضاعة (وهو الجزء الأكبر من الثمن على الأرجح) أُبرم عقد قرض " صورى " وليس حقيقيا • إن هذا العقد لم يكن حقيقيا لأن المدين (أ) لم يتسلم نقودا سائلة من الدائن (ب) ـ إذا صحَّ فهمى للنص ـ كما أن الدائن (ب) لم يُسلِّم بضائعه بشكل نهائى للمدين (أ) وإنما أودعها أياه فى صورة أمانة • فالواضح من سياق نص العقد أن البضائع ظلت مملوكة لصاحبها الأصلى (ب) ومختومة بخاتمه (هو أو من ينوب عنه من وكلاء فى مصر) إلى أن يقوم الطرف الأول (التاجر المصرى " أ ") بسداد قيمة ثمن البضاعة فى الإسكندرية[٩٨].

وفى خلال الفترة الزمنية من إرسال البضائع الهندية من موزيريس مع التاجر المصرى وحتى السداد الكامل لبقية ثمن البضاعة كان لِزاماً على هذا التاجر أن يقوم بكل ما من شأنه أن يجعل شحنة البضائع تصل الاسكندرية سالمة من غير سوء • وهكذا كان على التاجر المصرى شحن البضاعة ودفع رسوم المرور والانتقال وغيره بصفته المالك المستقبلى للشحنة بعد دفع ما تبقى من ثمنها • وفى الوقت ذاته فإن الملكية الفعلية للبضاعة كانت لا تزال ـ طيلة تلك الفترة ـ باقية باسم مالكها الأصلى (ب) أو مندوبيه فى مصر • لقد كان هؤلاء الوكلاء أو المندوبون ـ كما هو واضح فى العقد ـ مُمثلين في كل العبارات الخاصة بنقل البضاعة من الميناء الواقع على البحر الأحمر عبر الصحراء الشرقية إلى قفط وكذلك أثناء شحن البضاعة على السفن النهرية فى قفط وأخيراً فى الاسكندرية[٩٩]. فإن أفلح التاجر المصرى (أ) فى أن يدفع لوكيل التاجر الهندى (ب) بقية ثمن البضاعة فى الإسكندرية ـ من الواضع أن هذا السداد

يجب أن يتم قبل دفع ضريبة الربع (٢٥٪) ـ تـؤول البضاعـة إليـه وتصبـح مملوكة له وتحمل اسـمه (اسم التـاجر المصـرى " أ ") ويصبـح مـن حقـه حينئذ أن يدفع ضريبة الربع عن بضاعته • أما فى حالة عجزه عـن السـداد فإن الشحنة تظـل مملوكـة لصاحبهـا الأصلـى التـاجر الهنـدى ومندوبيـه فـى مصر الذين يكون من حقهم التصرف فى الشحنة حسب رغبتهم سواء بالبيع أو الرهن (١٠٠) وخلافه بعد دفعهـم لضريبـة الربـع علـى البضاعـة • وفـى الحالة الأخيرة يفقد (يخسـر) التـاجر المصـرى (أ) العربـون الـذى دفعـه مقدماً فى الهند (الضمان (١٠١) المذكور فى العقد) ، كما سيخسـر ايضـاً ــ فـى تصـورى ــ نفقـات النقـل والمـرور والشـحن والتفريــغ للبضاعــة مـن موزيريس إلى الاسكندرية ؛ إذ ربما كان الثمن المتفق عليه بين طرفى العقد فى موزيريس صافيا (أى بخلاف رسوم شحن ونقل البضاعة التى يتحملهـا المشترى) •

إن هذا العقد يُظهر بجلاء مدى ما وصلت إليه العلاقات التجارية بيـن مصر (الرومانية) والهند التى وصلت لدرجة العلاقات المألوفة المستقرة•

من كل القرائن والوثائق يتبين بجلاء ووضوح الدور المحورى البـالغ الأهمية لقفط فى التجارة الشرقية للإمبراطورية الرومانية بشكل عام ولولاية مصر عل وجه الخصوص حتى نهاية القرن الثانى الميلادى •

هوامش الفصل

(قِفط)

1) E. Strouhal, Life of the Ancient Egyptians, University of Oklahoma Press, 1992, pp. 87, 104.

2) Theophrastus, Enquiry into Plants (Leob) 4.4.8; 4.4.10; 4.4. 14; 9. 20. 1; Athenaeus, Deipnosophistae 5. 201. See : E. E. Rice, The Grand Procession of Ptolemy Philadelphus, Oxford University Press, 1983.

3) Ch. Clermont - Ganneau, " Inscription bilingue minéo - grecque découvert a Délos, " Comptes - rendus de l'Acadmie des inscriptions et bells - lettres, 1908, pp. 557 - 58; M.Rostovtzeff, " Foreign Commerce of Ptolemaic Egypt, " Journal of Economic and Business History 4, 1932, p. 743; and SEHHW, p. 307; P. Cairo-Zenon, Vol. IV. 59536, ll . 11 - 16 :

λιβανου Μιναιου τα (λαντα) δ | και Γερραιου τα (λαντα) ε| ζμυρνης α | [και] κασιας κο [| [κινν] αμωμου κο (τυλαι) ιε ; vol, I 59009 (b) :

εν Γ αζη [| λιβανου [| ζμυρνης [

PSI 328, 628.

4) W.W. " Ptolemy II and Arabia, " JEA 15, 1929, pp. 22, 25 - 26 ; H. Kortenbeutel , Der ägyptische Süd - und Osthandel in der Politik der Ptolemäer und römischen

Kaiser, Berlin - Charlottenburg, 1931, pp. 25 - 26; M. Rostovtzeff, " Foreign Commerce...." , p. 742 ; Cl. Préaux, " Sur les communications de l'Ethiopie avec l'Egypte hellenistique, " Chronique d'Egypte 27, 1952, pp. 270 - 271 ; D. Meredith, " Berenice Troglodytica, JEA 43, 1957, pp. 56 - 70 .

Strabo (Loeb) 16. 4. 5 ; 17. 1. 45 ; Pliny, Naturalis Historia 6. 33. 168.

For the modern names of the ports see : J. Ball, Egypt in the Classical Geographers, Cairo, 1942.

5) R. S. Bagnall, The Flordia Ostraca, Duke University, 1976, p. 35, note 94.

Strabo 17. 1. 45 :

λεγεται δ ο Φιλαδελφος πρωτος στρατοπεδω τεμειν την οδον ταυτην (from Coptos to Berenice) , ανυδρον ουσαν, και, καταбκευασαι σταθμους ωσπερ τοις εμποριοις οδευμασι και δια των καμηλων.

6) P. Cairo - Zenon 59009 inteoduciton and PSI 628 where there is a mention of a certain Διοδωρου του επι της λιβανωτικης.

7) U. Wilcken, " Punt - Fahrten in der Ptolemäerzeit, " Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde 60, 1925, SS. 86 - 102 = S.B. 7169.

8) Wilcken, Art. cit., pp. 92 - 94 ; Cl. Préaux, Le Monde Hellenistique, La Grèce et l'Orient (323 - 146 av. J.C.), Paris, 1978, pp. 377 - 78 ; M.A.H. el-Abbadi, The life and fate of the ancient Library of Alexandria, UNESCO, 1990, p. 45.

9) Periplus Maris Erythraei 26. 26 - 29 :

Ευδαιμων Αραβια ευδαιμων δε επεκληθη , προτερον ουσα πολις , οτε, μηπω απο της Ινδικης εις την Αιγυπτον ερχομενων μηδε απο Αιγυπτου τολμωντων εις τους εσω τοπους διαιρειν αλλ αχρι ταυτης παραγινομενων , τους παρα αμφοτερων φορτους απεδεχετο.

10) W.W Tarn, Hellenistic Civilization, 3rd revised edition (Meridian Books) New York, 1964, p. 247; E.H. Warmington, The Commerce between the Roman Empire and India, London- Curzon Press, 1974, p.9 ; L. Casson, Periplus Maris Erythraei, Princeton, 1989, pp. 11-12.

11) The previous note, and Strabo 2. 3. 4-5 derived from Poseidonius and criticised by Strabo in his text.

12) W. Tarn, loc. cit.

13) M. Rostovtzeff, SEHHW II, p. 929 " Hippalos was apparently his (Eudoxus') contemporary, perhaps the naval chief of his expeditions, or one of those who

succeeded him in the systematic exploration and exploitation of the new route, and who first supplied copious and trustworthy information about it, oral or literary " .

14) PME 57. 2 - 7 :

πρωτος δε Ιππαλος κυβερνητης , κατανοησας την θεσιν των εμποριων και το σχημα τη θαλασσης , τον δια πελαγους εξευρε πλουν .... < ιππαλος > προσονομαζεται δε απο της προσηγοριας του πρωτως εξευρηκοτος τον διαπλουν.

15) W. Otto und H. Bengtson, " Zur Geschichte des Niedergangs des Ptolemäerreiches. Ein Beitrage zur Regierungszeit des 8. und des 9. Ptolemäers " (Abhandlungen der Bayerischen Akademie der Wissenschaften. Philosophisch - historische Abteilung. Neue Folge 17) Munich, 1938, pp. 1 - 22 = S.B. 8036.

16) L. Mooren, " The Date of S.B. 8036 and the Development of the Ptolemaic Maritime Trade with India" , Ancient Society 3, 1972, pp. 127 - 33.

17) S.B.I. 2264.

18) A. Bernand, Inscriptiones Philae I. 52.

19) Strabo 17. 1. 13 :

της Αιγυπτου δε τας προσοδους εν τινι λογω Κικερων φραζει, φησασς κατα ενιαυτον τω της

Κλεοπατρας πατρι τω Αυλητη προσφερεσθαι φορον ταλαντων μυριων δισχιλιων πεντακοσιων.

20) Warmington , Op. Cit. , p. 10 .

21) Plutarch's Lives, Antony, 27. 3:

ολιγοις πανταπασι δι ερμηνεως ενετυγχανε βαρβαροις, τοις δε πλειστοις αυτη δι αυτης απεδιδου τας αποκρισεις, οιον Αιθιοψι, Τρωγλοδυταις , Εβραιοις , Αραψι, Συροις , Μηδοις , Παρθυαιοις .

22) R.S. Bagnall, Op. Cit., p. 34.

23) Strabo, 16. 4. 22 :

ην δε τι και το πολυχρηματους ακουειν εκ παντος χρονου, προς αργυρον και χρυσον τα αρωματα διατιθεμενους και την πολυτελεστατην λιθλιαν, αναλισκοντας των λαμβανομενων τοις εξω μηδεν. η γαρ φιλιος ηλπιζε πλουσιοις χρησεσθαι η εχθρων κρατησειν πλουσιων.

24) Ibid. 16. 4. 23 - 25 .

25) L. Casson, PME 26. 8. 31 - 32 :

Νυν δε ου προ πολλου των ημετερων χρονων Καισαρ αυτην (i . e. Ευδαιμων Αραβια) κατεστρεψατο.

and the commentary on this passage p. 160.

See: K. Wellesly, " The Fable of a Roman Attack on Aden" , La Parola del Passato 9, 1954, pp. 401 - 5; M. Raschke, " New Studies in Roman Commerce with the East, " ANRW II. 9. 2, 1978, p. 872, nn. 909 - 912.

26) Strabo 17. 1. 13 :

προτερον μεν γε ουδ εικοσι πλοια εθαρρει τον Αραβιον κολπον διαπεραν, ωστε εξω των στενων υπερκυπτειν, νυν δε και στολοι μεγαλοι στελλονται μεχρι της Ινδικης και των ακρων των Αιθιοπικων εξ ων ο πολυτιμοτατος κομιζεται φορτοσ εις την Αιγυπτον. and 2. 5. 12 where he demonstrates that the volume of Egyptian commerce with India multiplied about six times from the late Ptolemaic to the early Roman period (from 20 ships under the Ptolemies, as shown above, to 120 ships under the Romans)

εκατον και εικοσι νηες πλεοιεν εκ Μυος ορμου προς την Ινδικην, προτερον επι των Πτολεμαικων βασιλεων ολιγων πανταπασι θαρροντων πλειν και τον Ινδικον εμπορευεσθαι φορτον.

27) Strabo, 16 . 4. 24 :

νυνι δε το πλεον εις την Αλεξανδρειαν τω Νειλω. καταγεται δ εκ της Αραβιας και της Ινδικης εις Μυος ορμον. ειθ υπερθεσις εις Κοπτον της Θηβαιδος εν διωρυγι του Νειλου κειμενην.

17 . 1. 44 :

και η εις Κοπτον διωρυξ, πολιν κοινην Αιγυπτιων τε και Αραβων.

17. 1. 45 :

και νυν ο Ινδικος φορτος απας και ο Αραβιος και του Αιθιοπικου ο τω Αραβιω κολπω κατακομιζομενος εις Κοπτον φερεται, και τουτ εστιν εμποριον των τοιουτων φορτιων.

28) L. Casson, Op. Cit., p. 13.

29) Ibid.

30) Strabo 16. 4. 24 :

εντευθεν (from Egra) δ επεραιωσε την στρατιαν ενδεκαταιος εις Μυος ορμον, ειθ υπερθεις εις Κοπτον μετα των ονηθηναι δυναμενων κατηρεν εις Αλεξανδρειαν.

31) Ibid. 17. 1. 45 :

ουκ απωθεν δε της Βερενικης εστι Μυος ορμος. πολις εχουσα το ναυσταθμον των πλοιζομενων.

32) About the Nicanor Archive see:

J. Tait and others, Greek Ostraca in the Bodleian Library of Oxford and Various Other Collections, vol. 1. London, 1930 ; M. Rostovtzeff, " Review of Greek Ostraca in the Bodleian ....", Gnomon 7, 1931, pp. 21-

26 A. Fuks, " Notes on the Archive of Nicanor ", JJP 5, 1951, pp. 207 - 216 ; D. Meredith, " The Myos Hormos Road : Inscriptions and Ostraca", Chronique d'Egypte 31, 1956, pp. 356-62 ; R. Bagnall, Op. Cit., pp. 34-35; S. Sidebotham, Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa. 30 B.C. - A.D. 217, Leiden, 1986, pp. 83-92; L. Casson, Op. Cit., pp. 13 - 14, n . 11 .

33) Egyptians, Greeks, Hellenized Egyptians, Romans, and Alexandrian Jews. See for examples of these ethnics in J. Tait. Op. Cit., nos. 228, 229, 231, , 244, 252, 257, 266, 267, 271, 275, 282, 291.

34) L. Casson, Op. Cit. pp. 14, 96-97.

35) L. Casson. PME, 19 : 26 ; 21 : 19 - 20 .

36) Ibid. and 1 : 2 - 3 :

των αποδεδειγμενων ορμων της Ερυθρας θαλασσης και των περι αυτην εμποριων πρωτος εστιν λιμηγ της Αιγυπτου Μυος ορμος, μετα δε αυτον εισπλεοντων απο χιλιων οκτακοσιων σταδιων εν δεξια η Βερνικη.

37) R. Bagnall, Op. Cit. , p. 37; L. Casson, Op. Cit., pp. 13, 97.

38) S. Sidebotham, Op. Cit., p. 52 : D. Meredith, Art. Cit., pp. 59 - 70 .

39) Pliny, Naturalis Historia, 6. 26. 102 - 103 .

40) Ibid., 6. 33 - 168 .

41) See note 27 above and Pliny NH. 5 . 11. 60 :

Coptos Indicarum Arabicarumque mercium Nilo proximum emporium.

42) L. Casson, Op. Cit., pp. 13 - 14 , n 11. Cf. S. Sidebotham, Op. Cit., p. 86 and Fuks, Art. Cit., PP. 212 - 213 .

43) L. Casson, PME (The English translations in the notes below are cited from L. Casson) :

<u>Foodstuffs and drinks</u> : olive-oil ελαιον 6 ; unripe olives ομφαξ, η 7 ; wine οινος 6 (Λαοδικηνοσ και Ιταλικος) 7, 17, 24, 28, 49, (οινοσ προηγουμενως Ιταλικος και Λαοδικηνος και Αραβικος) to Ozene in India, and for the king ...... fine wine, also 49 (τω δε βασιλει...., διαφοροσ οινος) ; grain σιτος 7, 17, 24, πυροσ 28, 56 : σιτος οσος αρκεσει τοισ περι το ναυκληριον, i.e., sufficient for the sailors (as the local merchants of India do not use it, according to the text).

44) Ibid. : <u>ordinary clothes</u> ιματια 6, 7 ; Arab - styled clothing (imported from Egypt) 24 : και ιματισμος Αραβικος χειριδωτος, ο τε απλους και κοινος και σκοτουλατος, i.e., " and Arab sleeved clothing either with no adornment or with common adornment or with checks " , 28 Πολυμιτα (multicolured Arab clothes)

and other clothes ιματισμος 39, 49, 56 ; cloaks (αβολλι και γαυνακαι) 6 , cloaks from Arsinoe, cleaned and dyed, i. e., used (second - hand) : 8 σαγοι Αρσινοιτικοι γεψναμμενοι και βεβαμμενοι ; giradles ζωναι 24, 49.

- Expensive and high quality clothes:

purple cloth of fine quality 24 : πορφυρα διαφορος ; Arab clothing interwoven with gold 24 : και ιματισμος Αραβικος .... και διαχρυσος ; such high quality clothing was usually sold to kings or governors in south Arabia : τω τε βασιλει και τω τυραννω διδονται.... και ιματισμος πολυτελης ; also in 28 and 49 to the king of Ozêne in India.

45) Ibid.: Ordinary household items and tools:

glassware : 6 ; numerous types of glass stones και λιθιας υ<α>λης πλειονα γενη ; 7 : υαλη λιθια συμμικτος ; 17, 39: υαλα σκευη ; drinking vessels of copper 6 , 8 : ποτηρια χαλκα ; 6 , 17 : axes πελευκια, adzes σκεπαρνα, knives μαχαιραι, awls απητια; iron σιδηρος 6 " expended on spears for elephants and other wild animals as well as for war " : ο δαπανωμενοσ εις τε λογχασ προς τους ελεφαντας και τα αλλα θηρια και τους πολεμους , 10 σιδηρα ; blankets 24 λωδικες.

Expensive household items and tools :

silver and goldwares of the kings and rulers of the various eastern regions 6 , 24 , 28 , 49 : τω δε βασιλει αργυρωματα και χρυσωματα ; statuary 28 ανδριαντες ; horses and pack mules 24, 28 (for the courts also) : ιπποι και ημιονοι νωτιγοι ; slave musicians and beautiful girls for concubinage in the courts 49 : μουσικα και παρθενοι ευειδεις παλλακειαν.

46) Ibid., iron σιδηρος 6 ; tin κασσιτερος 7, 28, 49, 56; lead μολυβος 49, 56, copper χαλκος 28, 49, 56 ; raw glass υελος αγρη 49, 56.

47) Ibid., precious stones λιθια 10 (see Casson's commentaries pp. 128 and 250) ; coral κοραλλιον 28, 39, 49, 56.

48) Ibid., saffron κροκοσ 24 ; storax στυραξ 28, 39 ; realgar σανδαρακη (bright-red mineral), orpiment αρσενικον 49, 56, unguent or perfume μυρον 24 ; μυρον εξοχον or choice unguent (for the courts) 49.

49) Ibid. 16 : 6. 4 (and commentary ad loc., p. 141).

50) Ibid., spices and aromatics:

αρωματα aromatics 7, 10 ; σμυρνα myrh 7, 8, 10; λιβανος frankincense 8, 10, 11, 12; κασσια 8, 10 , 12, 13. costly materials : χελωνη tortoise shell, ελεφας ivory, ρινοκερως rhinocerus horn : 3 , 6, 10, 13, 17.

slaves : (from the port of Opone - in what is called the far side Barbaria - near Ras Hafun in Somalia : see 13 : 5 . 3 and the commentary ad loc., p. 132) :

δουλικα κρεισσονα , α εις Αιγυπτον προχωρειν μαλ " and better-quality slaves, the greater number of which go to Egypt".

51) Ibid.,

σμυρνα εκλεκτη select grade myrrh 24, λιβανοσ frankincense 28 ; αλοη aloe 28; κινναβρι cinnabar (from the island of Discouridês which was subject to the rfankincense - bearing land in South Arabia) 30 : 10. 17 and the commentary ad loc. pp. 168 - 69.

52) Ibid. 64 : 21 . 11 - 15 :

Μετα δε ταυτην την χωραν υπ αυτον βορεαν, εξωθεν τινα τοπον αποληγουσης της θαλασσης, παρακειται [δε] εν αυτη πολις μεσογειος μεγιστη, λεγομενη Θινα, αφ ης το τε εριον και το νημα και το οθονιον το Σηρικον εις την Βαρυγαξαν δια Βακτρων πεξη φερεται και εις την Λιμυρικην παλιν δια του Γαγγου ποταμου.

53) <u>Costly Materials and gems :</u>

costly materials like tortoise shell, ivory and rhinocerus horn 49, 56, 63 ; gems like καλλεανος λιθος turquoise and σαπφειρος lapis lazuli 39 ; ονυχινη λιθια 48, 49,

51 ; μαργαριτης (ικανος και διαφοπος) pearls (good supplies and of fine quality) 56, 63 ; λιθια διαφανης παντοια transparent gems, αδαμας diamond and υακινθος sapphires 56.

Textiles and Clothing :

σινδονεσ Ινδικαι και μολοχιναι Indian cotton garments 48, 51 ; σιδονων παντοια all sotrs of cotton clothes 59; σινδονες αι διαφορωταται!αι Γαγγιτικαι λεγομεναι cotton garments of the finest quality, the so-called Gangetic 63 ; Σιρικα δερματα και οθονιον και νημα Σιρικον Chinese pelts, (silk) clothes and (silk) yarn 39, 40, 56.

Spices and aromatics : βδελλα bdellium 39, 49 ; πεπερ<ι> (μακρον) 49, 56.

Drugs and dyes : κοστος costus 39, 49 ; ναρδος nard 39, 49 ; 56, 63 ; λυκιον lykion 39, 49 ; μαλαβαθρον malabathron 56, 63 ; Ινδικον μελαν indigo 39.

54) Louis C. West, " Phases of Commercial Life in Roman Egypt ", Journal of Roman Studies 7. 1917, pp. 45-58, p. 48.

55) P. Giessen I. 47, Coptos, Hadrian's reign, introduction.

56) Ibid., 11. 2-5 :

Ερμιας αγορασας | [.] ..... [..] δι αυτου ηδομενος επι τωι κατα τας | [ε]υχασ γνησια και λειαν αξια

ευρηεθαι ως και | [υ]πο παντων των ιδοντων θαυμασθηναι.

57) Ibid., l. 10 : αργ(υριου) (δραχμων) τξ αντι πλειονος ως και σοι | [φ]ανησεται ; l. 12 : ομοιως αντι πλειονος (δραχμων) π ; l. 13 : αντι (δραχμων) σξδ σνβ.

58) Ibid., l. 6 : θωραξ εκ καλου ωροχαλκου ...... etc. ; l. 11 : σαμσειρα Ιταλικη καλουμενη (and note ad loc.) ; 13 : πορφυρα ; 14 – 15 : αρτυματα, παραζωνιον ; 17 : οναριον το χαλκουν.

59) Ibid. , ll. 23-24 : ...... της πεμφ θει – | σης σοι υπο τα ξωδια ξυλινης θηκης.

60) Ibid., l . 29 : ως γαρ οιδας, εν Κοπτω καθ ημεραν διαφοροι γεινονται τιμαι.

61) Ibid., l. 19 : τεχνειτησ , 21 : αργυροκοπος.

62) L. Casson, " P. Vindob. G 40822 and the shipping of Goods from India, " BASP 23. 3 - 4 (1986) , pp. 73 - 79, p. 73 .

63) Tacitus , Annales 3. 53 : Quid enim primum prohibere et priscum ad morem recidere adgrediar ?....... promiscas viris et feminis vestis atque illa feminarum propria, quis lapidum causa pecuniae nostrae ad externas aut hostilis gentis transferuntur ?

64) Pliny, Naturalis Historia 6. 26. 101 : digna res, nullo anno minus Hs | D | imperii nostri exhauriente. India et merces remittente quae apud nos centiplicato veneant.

65) Ibid., 12 . 41. 84 : minimaque computatione miliens centena milia sestertium annis omnibus India et Seres et paeninsula illa imperio nostro adimunt tanti nobis deliciae et feminae constant.

66) Ibid., 6 - 101 : quippe o mnibus annis navigatur sagittariorum cohortibus inpositis ; etenim piratae maxime infestabant.

67) E.Breccia, Inscriptiones Graecae Aegypti (Inscriptiones nunc Alexandriae in Museo) 1911 (re-edition of 1978 by Ares Publishers, Chicago, vol. II) no. 37 : εκ βασιλεωs Πτολεμαιου κα[ι] βασιλισσηs Κλεοπατραs τηs γυνα [ικοs] θεων Ευεργετων και των τεκνων α[υτων| Σωτηριχοs Ικαδιωνοs Γορτυνιοs τ [ων|| αρχισωματοφυλακων ο απεσταλ | μενοs υπο Παωτοs του συνγενουs κα[ι | στρατηγου τησ Θηβαιδοs επι την συνα [γω] γην τηs πολυτ[ε] λουs λιθειασ και επι των | πλων και παρεξομενοs την ασφαλειαν το[ιs || κατακομιζουσι απο του κατα Κοπτον ορου [s] τα λιβανωτικα φορτια και ταλλα ξενι <κ> α | Πανι Ευοδωι και τοιs αλλοιs Θεοιs | πασι και πασαιs. L μα , Θωθ ι .

68)P. Wisconsin (by P. Sijpesteijn) 70 , Coptos, early 2nd century A.D., 11. 3 - 6 : [.......] stermus. strategus. Coptitu. peti - | [vit a me u] t tibi. commeátum. darem | [dierum] xxx. ad. intervisendás. possessió - | [nes tuas] quas. habés. nomo. Arsinoté.

69)BGU 114, A.D. 134 ; P. London II 196, A.D. 138 - 61 (both from Coptos). For the garrison at Coptos see: J. Lesquier, L'armée romaine d'Egypte d'Auguste à Dioclétien, Le Caire, 1918, pp. 408 - 9 ; A. J. Reinach, " Rapports sur les fouilles de Koptos ". Bulletin de la Société Français des fouilles archaeologiques 3, 1911, pp. 14 - 69.

70)P. Wisconsin 70 and P. London 169.

71)O. Guéraud, " Ostraca grecs et latins de l'wadi Fawokhir", BIFAO 41, 141 - 196 apud Sidebotham, Op. Cit., p. 60.

72)Ibid., pp. 91 - 92 .

73)R. Bagnall, The Florida Ostraca, pp. 27 - 34.

74)Ibid., p. 33 ; S. Sidebotham , Op. Cit, p. 53.

75)E. Breccia, Op. Cit., no. 61 = OGIS 674, 11. 1 - 9 : εξ επιταγης [[Μ[ετ]τιου Ρου | φ [ου] επαρ | χου Αιγυπτου ?]] οσα δει τους μισθω | τας του εν Κοπτωι υποπειτον| τος τηι Αραβαρχια αποστολιου πρας | σειν κατα τον γνωμονα, τηδε τηι στηληι |

ενκεχαρακται δια Λουκιου | Αντιστιου Ασιατικου επαρχου | ορους Βερενεικης

76) الحـراس المذكـورون فـى هـذا السـياق لابـد أنهـم كـانوا حراساً خصوصيين أستأجرهم التجـار لمرافقتهـم مـن أجـل حراسـة البضـائع غاليـة الثمـن التـى يحملونهـا معهـم فـى البحـر أو الـبر ٠ فمـن غـير المنطقى أن نفترض أن الحراس العموميين من المجندين فى وحـدات الجيش الرومـانى فـى الصحـراء الشـرقية المصريـة كـان عليهـم أن يدفعوا رسوم انتقال على تحركاتهم فى مجال عملهم ٠

77) E. Breccia, Op. Cit., no. 61 = OGIS 674, 11. 10 - 34.

78) Another such example which attests such passage - fees across the Eastern Desert - this time from the Red Sea to Coptos - is to be found in P. Vindob . G 40822 as republished by L. Casson (note 62 above) 11. 2-3: αλλα (ταλαντα) ρο (δραχμας) ν προς επιθεσιν της εις Κοπτον [ανοδο] υ, i. e., an additiona 170 talents, 50 dr. for the use of the road inland to Coptos (tr. Casson).

79) S . Sidebotham, Op. cit., p. 81.

80) L. Casson, P. Vindob. G 40822, 11. 3 - 4 : και ανοισω δια του ορους μετα παραφυλακης και ασφαλειας | [εις τα]s επι Κοπτου δημοσιας παραλημπτικας αποθηκασ ; 11. 7 – 8 : Και κατοισω εις την | [εν Αλεξ] ανδρεια της τεταρτης παραλημπτικην αποθηκην.

81)Ibid., l. 10 : ταις | [του λοι] που απο του νυν μεχρι τεταρτολογιας δαπαναις πασαις.

82)Cf. P. J. Sijpesteijn, Customs Duties in Graeco-Roman Egypt, Zutphen, 1987, p. 25.

83)PME 19 : ορμος εστιν ετερος και φρουριον, ο λεγεται Λευκη Κωμη, δι ης οδος εστιν εις Πετραν προς Μαλιχαν, βασιλεα Ναβαταιων. Εχει δε εμποριου τινα και αυτη ταξιν τοις απο της Αραβιας εξαρτιζομενος εις αυτην πλοιοις ου μεγαλοις. Διο και εισ αυτην και παραληπτης της τεταρτης των εισφερομενων Φορτιων και παραφυλακης χαριν εκατονταρχης μετα στρατευματος αποστελλεται.

84)Ibid., Sidebotham. Op. Cit., pp. 106 - 7 ; Sijpesteijn, Op. Cit., pp. 4-5 .

85)Sidebotham, Op. Cit., p. 110 .

86)L. Mitteis und U. Wilcken, Chrestomathie I 35 = BGU III 747, Coptos, A.D. 139, col. I, 11. 6 - 9 : αλλα και απιθηνιων μαλιστα αν–| θρωπων , [ου] διελιπον, κυριε, τοις εν ταις δμημοσιαις | Χρειαις το [υ ν]ομου ουσι Ρωμαιοις και Αλε[ξα]νδρευσι | κα[ι] παλ[α]ι σταρατιωταις αντιστατουσι τοις πραγ[μ]ασι.

87)Ibid., 11. 10 - 12 : παραινων πειθε[σθ]αι τοις κελευομενοις, και οι– | ο[μ]ενος με[τ]ανοη[σι]ν ημειν επιχο[ν] σοι τω κυ– | ριω δηλωσαι.

88)Ibid., 11. 13 - 17 : των γαρ πραγματων το μεγι[σ]τον εστιν και γνη–| σ[ι] ωτερον [π]ολλης τε προε[δ] ριας δεομενων | [αι α]ναιτη[σε]ις των οφιλομε[ν]ων τω κυριακω |λ[ο]γω.

89)Ibid., 11. 17 - 23 : Δι ο[π]ερ επα[γ]ρυπνω προσφ[ε] ρομενος | τη εκπραξει και [υ] πο χερα και πρ[ο]s το[ν..].ι |.[..].ισμ[ο]ν κα[τα] μηνα μετα[π]εμπομ [εν]os | [τ]ους πρακτορασ δ[ι]ακρεινω π[ρ]os τον ε[ι] σ[ι]ον – |[τ]α υπερ [τ] ηs ιδι[α]s πρακτωρι[α]s λογο[ν] α[ι] – | [τ]ουμ[ε]να π[λ]η –| [ρ] οφορε[ι]ν επ[.]κ..[..] υτ.[.].os | [ο]φειλω το [...ε] ξ αυτων.

90)Ibid., col.II, 11. 3 - 9 : χαιρησαμενοι | εαυτο[υ]s μη ειναι υπο την στρατηγιαν | μηδε[π]ω κατα το ισα τοις ενχωριοις | πρακτωρσιν οφειλειν ιστασθαι καν επιτιμητοι αυτοι ειναι λεγοντες | το οσον οτι αυτοις τας εκπραξεις εν – | ποδιζουσιν ; 11. 14 – 18 : Επι ουν | ουτως τα κυριακα πραγματα ενπο–| διζεται , δεομαι , κυριε , ουχ ολιγων | εκ τουτου κινδυνευομενων , εαν | σοι δοξη , διαλαβειν περι αυτων ..... etc.

91)Ibid., verso, 11 . 4 - 6 : τω κρατιστω επιστρατηγω , os επ[α]ναγκασι | αυτους τα προσηκοντα αυτοις εκτελειν. | (ετους) β Φαρμουθι δ.

92)Pliny NH 6. 24. 84 : " Anni Plocami, qui Maris Rubri vectigal a fisco remederat, libertus " apud Sidebotham, p. 103 where the commercial and political activities of the Anni in Puteoli and Pompeii from at least 70 A.D. are referred to in n. 122.

93)S. Sidebotham, Op. Cit., pp. 93 - 102 .

94)L. Casson, P. Vindob. G 40822, BASP 23, 1986, pp. 74 - 76 (the Recto col. II, 11. 1 - 19 of the text and Casson's translation, the beginning and end of the contract are missing) .

95)H. Harrauer und P. J. Sijpesteijn, " Ein neues Dokument zu Roms Indienhandel , P. Vindob. G 40822, " Anzeiger der Osterreichen Akademie der Wissenschaften. phil. - hist. k1. 122 (1985) pp. 124-55.

96)Ibid., pp. 124 and 145 apud Casson, P. Vindob. G 40822 , p. 76.

97)Ibid., pp. 76 - 78 .

98)Ibid., R. col. II, 11 . 4 - 6 (after the payment of fees at Coptos) : και ποι – | [ησω υ] πο την σην η των επιτροπων η του παροντος αυτων | [εξουσια]ν

και σφραγειδα μεχρι ποταμου επιβολης. 11. 7 – 9 (in Alexandria) και κατοισω εις την [εν αλεξ] ανδρεια της τεταρτης παραλημπτικην αποθηκην και ο–| [μοιω]s ποιησω υπο την σην η των σων εξουσιαν και σφραγειδα.

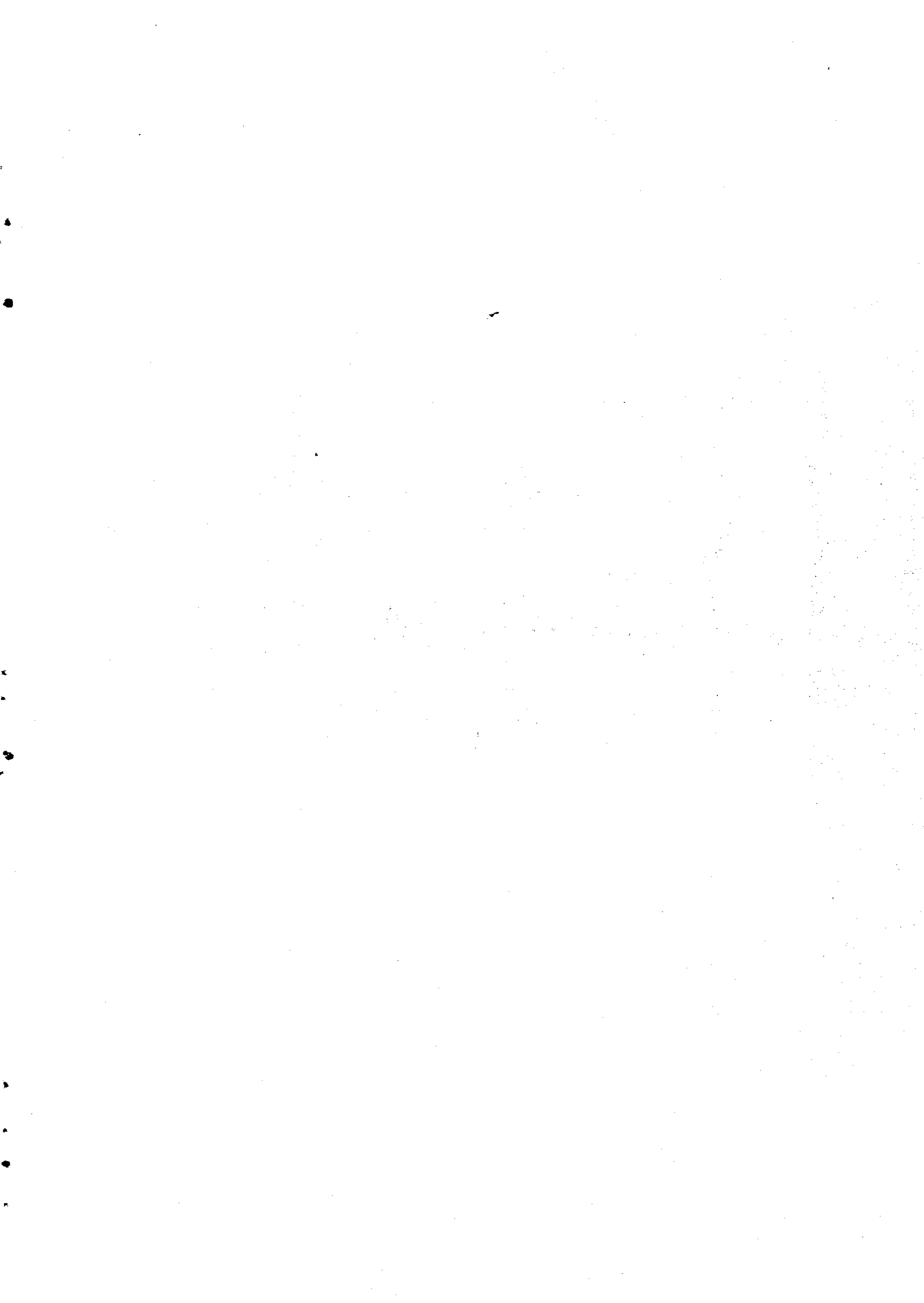
99)Ibid., and 11. 1 - 2 , 15.

100)Ibid., ll . 13 - 17 : εαν μη δικαι–| [ωs τοτ]ε χρεολυτω το προκειμενον εν εμοι δανειον – τοτε ειναι | [προs σ]ε και τουs σουs επιτροπουs η φροντισταs την εγλογην και ολο–| [σχερη] εξουσιαν ωs εαν αιρησθι ποιησασθαι τα τηs πραξεωs χωριs | [προσβ] ολης και προσκρισεωs.

101)Ibid., ll . 17 - 18 . κρατειν τε και κυριευειν την προκ[ει–] | μενη] ν υποθηκην .

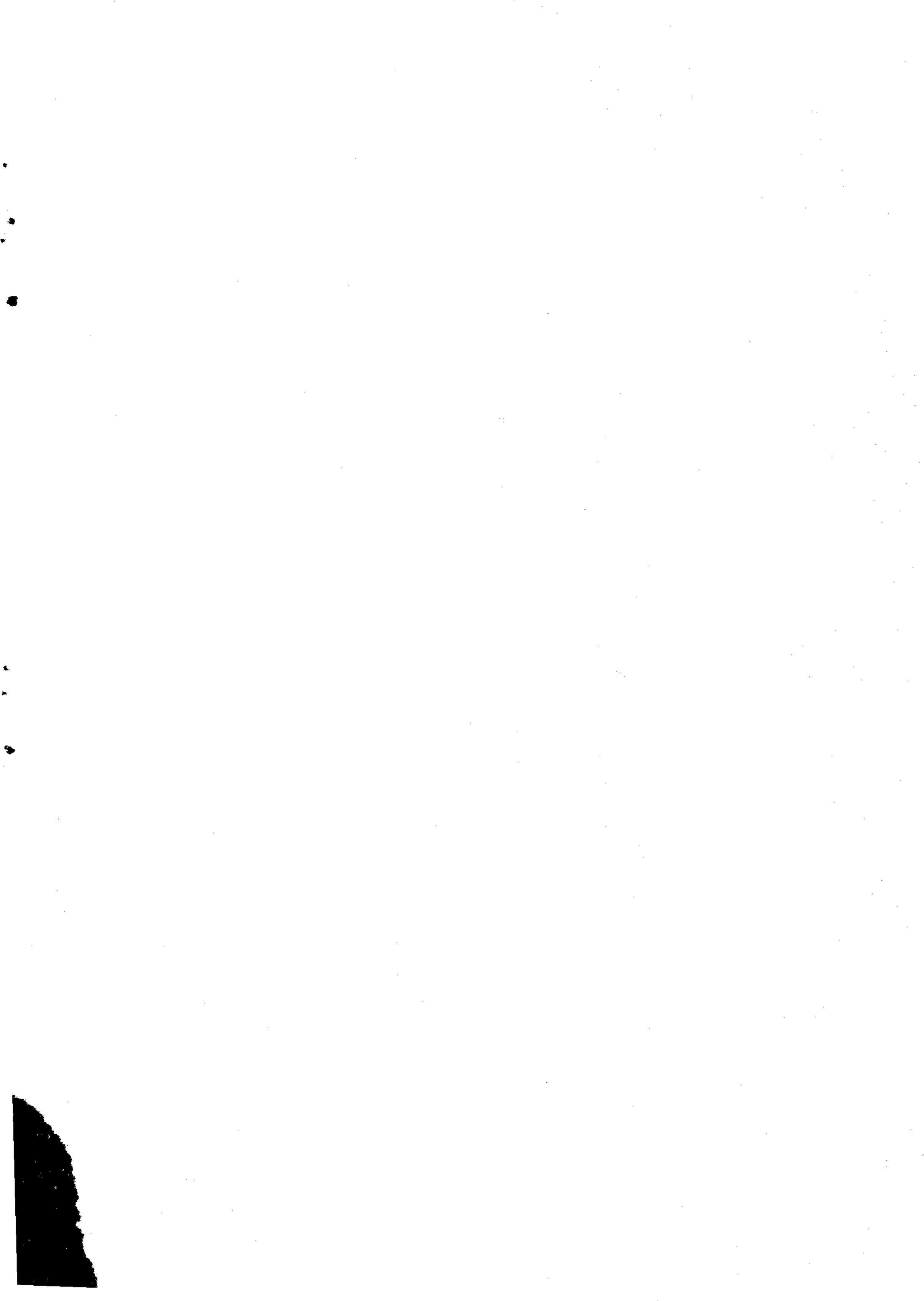
الباب الثانى

" مراكز التجارة العربية القديمة وأهم سلعها "



الفصل الأول

" الجرهاء " ودروها فى التجارة العربية القديمة



الجرهاء ودورها فى التجارة العربية القديمة

تعد الجرهاء أهم مركز تجارى فى الجزء الشمالى الشرقى من شبه الجزيرة العربية خلال الفترة السليوقية [١] . وقد ظلّ أصل الجرهاء وموقعها الدقيق على الساحل الخليج العربى فى المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية (حاليا) موضوعاً للجدل والنقاش منذ ما يزيد على قرنين من الزمان[٢] . وقد تفاوتت الآراء حول التحديد الدقيق لموقع الجرهاء القديم والمكان الذى يمثله حالياً : فمن تلك الآراء من حدد موقعها على ساحل الخليج مباشرة فى القطيف[٣] ، ومنهم من قال بأنها فى العقير[٤] ، ومنهم من ذكر أنها سلوى[٥] (من الشمال إلى الجنوب بالترتيب على الساحل السعودى للخليج العربى) ، ومنهم من جعل موقعها فى هذه المنطقة ولكن إلى الداخل إما فى الهفوف[٦] إلى الجنوب الغربى من العقير ، أو فى ثاج[٧] إلى الشمال الغربى من القطيف .

لكن هذا التحديد أو الاقتراح بتحديد موقع ما على الخليج أو فى الداخل ليكون موقعاً للجرهاء القديمة لا ينسجم بدقة مع وصف كل من سترابون وبلينى الجغرافى لموقع الجرهاء . إن الوصف الجغرافى لسترابون لهذه المدينة هو كالتالى :

" وبعد الإبحار بمحاذاة ساحل (الجزيرة) العربية لمسافة ألفين وأربعمائة ستاديون يصل المرء إلى الجرهاء وهى مدينة تقع على خليج عميق ... " ثم يذكر بعد ذلك :

" وتقع المدينة على بعد مائتى ستاديون من البحر (يقصد الخليج)"[٨]

أما بلينى الأصغر : فيتحدث عن " خليج الجرهاء ومدينة الجرهاء التى يبلغ محيطها خمسة أميال " ثم يذكر منطقة إلى الداخل فى شبه الجزيرة قبالة الجرهاء تسمى " أتينى " تبعد خمسين ميلاً عن الساحل ، وعلى الجانب الآخر فإن جزيرة تيروس (البحرين) تبعد عن الساحل (ساحل الجرهاء) بنفس المسافة "[٩] .

هذا الوصف من قبل سترابون وبلينى يشير إلى أن مدينة الجرهاء لم تكن تقع على الساحل مباشرة بل تقع إلى الداخل قبالة ميناءها الواقع على خليج الجرهاء . وربما كان أول من تنبه لهذا الوضع وحاول أن يحدد موقع مدينة الجرهاء الداخلية وميناءها الساحلى هو شبرنجر الذى حدد موقع الجرهاء فى الداخل بأنها منطقة " الجرعاء " فى تميم وميناءها بأنه " العقير " على الخليج[١٠] ، وحذا حذوه فى ذلك العالم " تكاك "[١١] ثم أعقبهم بعد ذلك بمدة طويلة فون فيتسمان بأن رجح الموقعين بأنهما جبل القرين فى الداخل والقطيف على الخليج[١٢] ، وأخيراً يأتى العالم بوتس الذى رجح بأن يكون موقع مدينة الجرهاء الداخلية القديمة هو موقع ثاج وأن يكون ميناؤها على الخليج هو مدينة الجبيل[١٣] .

ولنبدأ بترجيح العالم بوتس لموقع الجرهاء بأنه مدينة ثاج الداخلية وميناءها على الخليج وهو " الجبيل " باعتبار الأخيرة هى منفذ ثاج على الخليج حيث تقع قبالتها . لقد بنى بوتس هذا الترجيح على أساسيين يمكن إثارة الشك حولهما : الأول هو أنه رجح أن يكون الميناء البحرى للجرهاء القديمة على الخليج هو " الجبيل " على أساس المسافة التى ذكرها سترابون من رأس الخليج من شماله الغربى (الساحل العربى) حتى موقع الجرهاء وحددها بألفين وأربعمائة ستاديون (ما يعادل ٣٨٤كم) وقد افترض ان هذه

المسافة تبدأ من منطقة تسمى " تيريدون" (رجّح أن تكون هى البصرة الحالية) حتى الموقع المفترض لميناء الجرهاء على البحر ، وبقياس هذه المسافة من البصرة إلى الجنوب وصل إلى أنها منطقة " جبيل" • ولكن إذا عدنا إلى نص سترابون ورأينا الفقرة السابقة مباشرة على الفقرة التى ذكرت بها الجرهاء نجده يذكر ـ نقلاً عن اراتو ستنيس ـ " أن أندرو سثنيس الذى أبحر بأسطوله حول الخليج قد ذكر بأنه عند الرحلة بمحاذاة الساحل ـ واليابسة عن يميننا ـ من تيريدون (أى فى الخليج العربى من الشمال إلى الجنوب وشبه الجزيرة إلى اليمن) يرى المرء جزيرة إيكاروس (فيلكا الحالية شرق الكويت) ومعبدا مقدسا لأبوللو فى الجزيرة ومحرابا لأرتميس تاوربولوس"[١٤] ، ثم تبدأ بعد ذلك الفقرة الخاصة بالجرهاء • أى أن المسافة المذكورة عند سترابون ٢٤٠٠ ستاديون (٣٨٤كم) لا تبدأ من تيريدون (البصرة) بل من جنوب الكويت حالياً ، ومعنى ذلك أن الموقع المفترض للجرهاء ينتقل بالتعبية جنوباً إلى ابعد من جبيل بمسافة تساوى طول الساحل الكويتى تقريباً • أما عن " ثاج " كموقع مقترح لمدينة الجرهاء الداخلية فإن سند بوتس فى ذلك هو ما ورد عند سترابون من أن " سكان الجرهاء يعيشون على أرض ملحية ولديهم منازل من الملح " وما ورد عند بلينى الأكبر من أن " مدينة الجرهاء يبلغ محيطها خمسة أميال وأبراجها بنيت بقوالب مربعة من الملح " [١٥] • وقد ربط بوتس بين هذه القرائن عند سترابون وبلينى وبين أسوار من الحجر الجيرى الأبيض عثر عليها حول ثاج ذكرته بمنازل وابراج الملح فى الجرهاء القديمة • ويبدو تفسير العالم "جواد على " حول بناء منازل الجرهاء من حجر الملح مقنعاً إذ يقول تعليقاً على وصف سترابون وبلينى ـ " يتبين من ذلك أنها بنيت فى أرض سبخة

وأن هذا السبخ هو الذى أوحى لمخيلة (الكلاسيكيين) ابتداع قصة حجر الملح الذى بنيت به دور المدينة وسورها "[١٦] .

ولكن سترابون وبلينى تحدثا عن منازل وأبراج من حجر الملح (الحجر الجيرى) ولم يتحدثا عن أسوار ، فى حين تحدث بوتس فى معرض الحديث عن الأدلة الأثرية فى ثاج عن سور حول المدينة فى شكل متوازى أضلاع غير منتظم يبلغ محيطه ٢٥٣٥ متر (الضلع الشمالى ٧٢٥م ، الجنوبى ٦٨٥م ، والشرقى ٥٣٥م ، الغربى ٥٩٠م) وفى كل جنب من الأجناب برج ألماسى الشكل • Potts II, pp. 44-45) ويؤرّخ هذا السور بالفترة السليوقية فى حوالى القرن الثالث ق٠م٠ بسبب وجود شقف سوداء مصقولة ذات نمط إغريقى Greek black-glazed sherds (p.47) • إن صح تأريخ بوتس لهذا السور فربما شابه ما جاء عند سترابون وبلينى من استخدام أهل الجرهاء لحجر الملح (ربما الحجر الجيرى الأبيض) ولكن رغم ذلك يبقى السؤال : ألم تتبقى ولو بضعة منازل من هذه المدينة القديمة؟ ثم أن المحيط الذى ذكره بوتس لأسوار ثاج (٢٥٣٥ متراً) يقل كثيراً عن محيط الجرهاء كما ورد عند بلينى (خمسة أميال) •

على ضوء تلك الشكوك فى نظرية بوتس ، أتصور أن ما ذهب إليه سبرنجر ومن بعده تكاك من أن مدينة الجرهاء القديمة كانت تقع فى موضع " الجرعاء " وأن ميناءها على الخليج كان " العقير " هو الترجيح الصحيح• ومما يدعم هذا الافتراض بالنسبة للموقعين هو أننا إذا قسنا مسافة (٣٨٤كم) الألفين وأربعمائة ستاديون التى وردت عند سترابون من جنوب جزيرة إيكاروس (فيلكا الحالية) ـــ وليس من حدود تيريدون أو البصرة كما افترض بوتس ـــ فربما نصل على ساحل الخليج العربى إلى منطقة "

العقير"٠ أما فيما يتصل بالجرعاء وكونها هى مدينة الجرهاء القديمة التى وردت فى المصادر الكلاسيكية فيرجح ذلك أولا تشابه الاسمين إلى درجة كبيرة ربما توحى بأن التسمية اليونانية واللاتينية ربما كانت نطقاً يونانياً ولاتينياً (حيث لا يوجد حرف العين فى هذه اللغات) للاسم العربى ٠ ومن ناحية ثانية فإن الجرهاء قد وردت عند بطليموس الجغرافى مع اسم منطقة أخرى هى Thaemae [١٧] التى هى على الأرجح " تميم " ، وفى المصادر العربية ـ مثل الهمدانى ـ اقترن اسم الجرعاء بتميم إذ يقول " ثم ترجع إلى البحرين فالإحساء منازل ودور لبنى تميم ثم لسعد من بنى تميم وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتبايع عليه العرب " [١٨] ٠ كما أن المنطقة المقابلة ـ فى هذا الوصف الجغرافى ـ لمنطقة تميم والجرعاء من ناحية ساحل الخليج هى البحرين ، وبالتالى فالأقرب منطقياً أن تكون العقير هى الميناء والمخرج للجرهاء على ساحل الخليج العربى باعتبارها أقرب موانئ تلك المنطقة لجزيرة البحرين ٠ كما أن الملك السليوقى أنطيوخوس الثالث بعد حملته على الجرهاء سنة ٢٠٥ق٠م٠ ـ كما يحدثنا عنها بوليبيوس وكما سنتناولها فيما بعد ـ انطلق نحو البحرين (جزيرة تيلوس) ومنها إلى سليوقية[١٩] ، وكذلك قرأنا فى نص بلينى الأكبر (ملحوظة رقم ٩ أعلاه) أن جزيرة تيلوس كانت تبعد نحو خمسين ميلاً عن ساحل الجرهاء على الخليج العربى ٠ كل هذه القرائن القوية تؤكد بما لايدع مجالاً للشك أن مدينة الجرهاء التجارية القديمة كانت هى الجرعاء التى ورد ذكرها عند الهمدانى والتى ظلت سوقاً تجارياً لقرون عديدة بعد هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين من إغريق ورومان وإن تفاوتت حظوظها التجارية خلال تلك القرون ، كما تكاد تقطع بأن منفذ هذه المنطقة على الخليج وميناءها كان العقير قبالة جزيرة البحرين (تيلوس القديمة) ٠

ومما هو جدير بالإضافة أن منطقة الجرهاء فى الشمال الشرقى من شبه الجزيرة العربية لم تكن ــ فيما يبدو ــ قاصرة على مدينة الجرهاء التجارية (أو الجرعاء كما نطلق عليها فى العربية) وميناؤها على الخليج الذى ربما كان العقير ، بل شملت قدراً لا بأس به من الأراضى المجاورة ٠ والدليل على ذلك ان بوليبيوس حين تحدث عن حملة أنطيوخوس الثالث على أرض الجرهائيين ذكر أن منطقة تدعى Χαττηνια هى ثالث منطقة فى أرض الجرهائيين وتحدث عن قرى وأبراج فيها شيدت لصالح الجرهائيين الذين يقومون على زراعة هذه المنطقة رغم افتقار هذه المنطقة إلى موارد أخرى"[٢٠] ، كما أن بلينى فى حديثه عن أرض الجرهائيين ذكر منطقة أتنه Attene التابعة لأرض الجرهاء والتى ربما كانت أقصى حدودها الداخلية على مسافة خمسين ميلاً إلى الداخل من الخليج[٢١] ٠ أقصد من ذلك أن الجرهائيين كانوا يسيطرون على بقعة كبيرة فى منطقة الأحساء الحالية فى شمال شرق شبه الجزيرة العربية[٢٢] ، هذه البقعة الكبيرة كانت عاصمتها وأهم مدنها ــ فى تقديرى ــ هى مدينة الجرهاء (الجرعاء) وكان أهم موانيها أو منافذها على الخليج هو موقع العقير الحالى ٠

أما عن الدور التجارى الهام الذى لعبته الجرهاء فيتجلى فى المصادر الكلاسيكية منذ وقت مبكر فى بداية العصر الهيللينيستى إذ يذكر أريستوبولوس الذى كان معاصراً للإسكندر من أواخر القرن الرابع ق٠م٠ ــ كما ورد عند سترابون ــ أن " الجرهائيين ينقلون الكثير من بضائعهم بالقوارب إلى بابل ، ومن هناك يصعدون بها الفرات إلى ثابساكوس حيث يحملونها براً إلى كافة الأرجاء"[٢٣] ٠ لكن اراتوستثيس من القرن الثالث

ق٠م٠ (٢٨٤ ـ٢٠٢ق٠م) كما أورده سبرابون كذلك فى نفس الفقرة السابقة ـ يذكر أن " الجرهائيين تجار يسلكون الطرق البرية فى الأغلب ويتاجرون فى السلع العربية والطيوب"(٢٤) ٠

ثم نجد أجاثار خيديس من القرن الثانى ق٠م٠ (حوالى ٢٠٠ إلى ١٣١ ق٠م٠) يذكر " ٠٠٠٠٠ البتراء وفلسطين حيث يأتى الجرهائيون والمعينيون وكافة العرب الذين يقطنون المنطقة ومعهم البخور من الأراضى المرتفعة وكذلك ـ يقال ـ " منتجات الطيوب "(٢٥) ٠ ونفس هذه العبارة نقلها ديودور الصقلى(٢٦) فى القرن الأول ق٠م٠ عن أجاثار خيديس ٠

ويذكر بلينى الأكبر فى القرن الأول الميلادى فى كتابه " التاريخ الطبيعى " : " ومن أجل هذه التجارة (تجارة ايليمايس (ربما عيلام) وكارمانيا فى بلاد البارثيين) فتحوا مدينة كاراى (هناك شبه اتفاق بين العلماء على أن المقصود بها الجرهاء)(٢٧) التى كانت سوقاً لتلك المناطق ٠ ومن هناك اعتاد الجميع من قبل على أن يذهبوا إلى " جابا " فى رحلة تستغرق عشرين يوماً ثم إلى فلسطين وسوريا ٠ ثم فى مرحلة لاحقة ـ حسب رواية جوبا (ملك موريتانيا) ـ بدأوا يسلكون طريقهم نحو خاراكس ومملكة البارثيين من أجل تجارة الطيوب ٠ ولكن ـ من وجهة نظرى ـ فإنهم اعتادوا على أن يحملوا تلك السلع إلى بلاد فارس قبل أن يذهبوا بها إلى سوريا أو مصر وذلك جسب رواية هيرودوت الذى يسجل أن العرب قد اعتادوا على تقديم هدية سنوية مقدارها ألف تالنت من البخور إلى ملوك الفرس"(٢٨) ٠

ويرجع الفضل الأكبر فى ملاحظة تلك المراحل الزمنية المتعاقبة لتجارة الجرهائيين كما وردت بالمصادر الكلاسيكية إلى العالم بوتس الذى

حاول تفسير هذه المراحل بأنها نقلات مختلفة لها مبررات وأسباب سياسية واقتصادية[٢٩] . وقد جاءت محاولته مقنعة فى بعض النقاط وأقل إقناعاً فى البعض الآخر . فمثلاً يرى بوتس أن الجرهائيين كانوا يشحنون بضائعهم إلى بابل بحراً ايام الإسكندر فى أواخر القرن الرابع ق.م. كما ورد فى رواية أريستوبولوس ، وهى رواية يرى بوتس – ويتفق فى ذلك مع سترابون فى كلمة τουναντιον – أنها تتناقض مع رواية أراتوسثنيس من القرن الثالث ق.م. والتى يصف فيها الجرهائيين بأنهم كانوا – فى الأغلب – تجاراً يسلكون الطرق البرية . هذه الرؤية من جانب بوتس تبدو غير دقيقة إذا أمعنّا النظر فى نص رواية كل من أريستوبولوس وأراتوسثنيس . فمثلاً يذكر أريستوبولوس – كما نقله سترابون – أن الجرهائيين كانوا ينقلون الكثير τα πολλα من سلعهم بالقوارب إلى بابل وهذا يعنى أنهم كانوا ينقلون بعضاً من سلعهم براً إلى طرق أخرى غير الطريق البحرى إلى بابل . ومن جهة أخرى فإنه حتى السلع التى كانت تنقل بحراً إلى بابل من الجرهاء لم تكن بابل بالنسبة لها نهاية المطاف بل كانت محطة ترنزيت بالنسبة لهؤلاء الجرهائيين الذين كانوا يصعدون بسعلهم فى الفرات حتى ثابساكوس (وهى فى تفسير جواد على الدير أو الميادين على الفرات)[٣٠] وبعد ذلك ينقلونها " بالبر إلى كافة الأرجاء " كما ورد فى النص . معنى هذا أن نصيب بابل من سلع الجرهائيين وتجارتهم كان محدوداً وأنها كانت مجرد محطة على الطريق وأن معظم السلع كانت تنقل بالنهر ثم البر إلى كافة الجهات غرب وشرق الفرات فى شمال بلاد الشام.

من خلال هذا التفسير لا يبدو أن هناك تناقض بين كلام أريستوبولوس السالف الذكر وبين عبارة اراتوسثنيس التى يقول فيها أن الجرهائيين كانوا –

فى الأغلب ـ تجاراً يسلكون الطرق البرية ٠ إذن يصبح من قبيل المبالغة القول بوجود نقلة كبيرة فى التجارة الجرهائية بين القرنين الرابع والثالث ق٠م٠ أو أنها تحولت خلال تلك المدة من تجارة بحرية مزعومة إلى تجارة برية ٠ ربما ازدادت تجارة الجرهائيين مع المناطق التى كان يسيطر عليها البطالمة فى جوف سوريا وفلسطين كما يتضح من الأدلة والوثائق البردية، بل وربما وصلت مبكراً فى القرن الثالث إلى بعض مناطق بلاد اليونان[٣١] ولكن ليس معنى ذلك ان تجارة الجرهائيين مع بلاد الرافدين وسوريا قد توقفت تحت حكم السليوقيين خلال القرن الثالث إذ ليس هناك ثمة أدلة أو قرائن على ذلك[٣٢] ٠ والأكثر منطقية أن نفترض أن هذه التجارة مع المناطق التى يسيطر عليها السليوقيون فى القرن الثالث قد تأثرت بعض الشئ من جراء الزيادة المطردة لتجارة الجرهائيين مع المناطق الواقعة تحت حكم البطالمة الأوائل الأقوياء ٠ ومن المنطقى كذلك أن يستغل الجرهائيون هذه المنافسة بين الحكام البطالمة وأقرانهم السليوقيين لجنى أكبر مكاسب اقتصادية ممكنة لأنفسهم من الطرفين المتنافسين ٠

وخلاصة القول أن شهادة أراتوسثنيس من القرن الثالث ق٠م٠ لا تعنى أن نقل سلع الجرهائيين إلى بابل بالقوارب ـ كمحطة من محطات التجارة الجرهائية ـ قد توقف وإن كانت هذه التجارة ربما تأثرت بعض الشئ من جراء توسع التجارة الجرهائية نحو الغرب مع البطالمة ٠ كما أن شهادة اراتوسثنيس لم توح بأن " بالجرهاء بدأت فى تصدير سلعها عن طريق البر "[٣٢] كما يستخلص بوتس من كلام إراتوسثنيس ، لأن تجارة الجرهائيين بالبر ثابتة فى نص ارستوبولوس بعد نقل السلع الجرهائية

بالقوارب فى الخليج والفرات كمراحل أولية تبدأ بعدها رحلة الجرهائيين مع التجارة بالبر فى كافة الأرجاء .

وفى سياق هذا الترتيب التاريخى لمراحل التجارة الجرهائية نأتى لفقرة هامة وردت عند المؤرخ بوليبيوس اختلفت حولها التفسيرات والاجتهادات ، هذه الفقرة هى : " توسل الجرهائيون إلى الملك ألا يحرمهم من النعم التى منحتهم إياهات الآلهة ألا وهى السلام الدائم والحرية . ولما ترجمت مطالبهم للملك استجاب لهذه المطالب .... وحين اطمئن الجرهائيون إلى حريتهم أصدروا مرسوماً بتكريم الملك انطيوخوس فوراً بخمسمائة تالنت من الفضة وألف تالنت من البخور ومائتى تالنت مما يسمى بالـ " ستاكتى " (زيت المرّ) .

εστεφανωσαν παραχρηπα τον Αντιοχον τον βασιλεα πεντακοσιοιs αργυριου ταλαντοιs , χιλιοιs δε λιβανωτου και διακοσιοιs τηs λεγομενηs στακτηs,

بعد ذلك أبحر إلى جزيرة تيلوس ومنها غادر إلى سيليوقية . وكانت هذه الطيوب من البحر الأحمر (الخليج الفارسى) "[٣٤] .

ومن المتفق عليه بين العلماء أن الملك انطيوخوس المذكور هنا فى نص بوليبيوس هو الملك السليوقى أنطيوخوس الثالث وأن الحادثة المذكورة وقعت حوالى عام ٢٠٥ ق.م. ولكن تباينت آراء هؤلاء العلماء حول مغزى ذهاب الملك السليوقى للجرهاء وهل كان يقصد من هذه الرحلة غزو الجرهاء أم كان ذهابه إلى هناك مجرد استعراض للقوة يقصد بها تخويف وإرهاب الجرهائيين . فمن قائل بأن رحلة الملك أنطيوخوس الثالث للجرهاء كانت محاولة منه لغزوها والاستيلاء عليها [٣٥] ، ومن قائل بأن غرضه كان

الحصول على الغنائم والأسلاب (٣٦) ، ومن مرجح بأن غرضه كان فرض إتاوة عليهم (٣٧) ، ومنهم من ذهب إلى أن ما فعله أنطيوخوس كان بمثابة "استعراض للقوة على نطاق واسع ولكنه لم يصل لمرحلة الغزو بل أصاب الجرهائيين بالهلع وجعلهم يزيدون من حجم السلع والبضائع التى يرسلونها إلى سليوقية ، ربما على حساب الأنباط والبطالمة " (٣٨) .

فى تقديرى أن مسيرة أنطيوخوس نحو الجرهاء ربما كان القصد منها أن تكون استعراضاً للقوة فعلاً ، ولكن ما الغرض من هذا الاستعراض للقوة إذا كانت سلع الجرهائيين لم تنقطع ـ كما أسلفنا ـ عن الدولة السليوقية ، وكانت العلاقات بينهما طبيعية ؟ الأرجح ـ من وجهة نظرى ـ أن تلك "الهدية" النقدية والعينية من بخور وطيوب التى قدمها الجرهائيون إلى الملك انطيوخوس الثالث لكى يبقى لهم على حريتهم وسلامهم كانت رمزاً لإظهار خشيتهم وبالتالى ولاءهم أو علاقتهم الخاصة مع الدولة السليوقية تحت حكم ذلك الملك السليوقى القوى أنطيوخوس الثالث ، أى كانت أقرب لمفهوم الإتاوة ـ وهو الأمر الذى ربما قصده أنطيوخوس بهذا الاستعراض للقوة.

مما يدفعنى إلى ذلك التفسير دفعا هو أنه ربما فكّر أنطيوخوس الثالث فى أن يرغم العرب ـ وأقربهم إليه الجرهائيون ـ على أن يعودوا إلى سالف عهدهم حين كانوا يؤدون إتاوة سنوية ـ كانت تسمى تجاوزاً " هدية " ـ إلى ملوك الفرس وكان مقدارها ألف تالنت من البخور سنوياً كما ذكر عند هيرودوت (٣٩) . يبدو أن الجرهائيين وبقية عرب الجزيرة كانوا قد اعتادوا دفع هذه الإتاوة لملوك الفرس قبل ان يطيح الإسكندر بآخر ملوكهم وهو داريوس الثالث . ولما كان الإسكندر قد انشغل بإكمال فتوحاته نحو الشرق حتى الهند فإنه بعد أن فرغ من هذه المهمة ربما فكر فى غزو بلاد العرب

وكان من بين أهدافه الحصول على بعض خيراتهم من الطيوب والبخور والثروات ولكن عاجلته المنية وحالت دون تحقيق ذلك[٤٠] . ولما انقسمت امبراطورية الاسكندر الكبيرة بين قواده الطموحين بعد صراعات مريرة بينهم ، وتمخض عن هذا الصراع قيام ممالك هلينيستية تولى الملك فيها قادة الإسكندر السابقون ، وأبرزها في الشرق مملكتى البطالمة فى مصر وفلسطين وجوف (ربما جنوب) سوريا والسليوقيين فى سوريا وبلاد الرافدين فإن التجارة العربية فى الطيوب والتوابل والبخور ـ سواء كانت من الجزيرة العربية أو من الهند ـ مع هذه الممالك ربما كان يحكمها نظام واعتبارات السوق والمنافسة التجارية أكثر من الاعتبارات السياسية . فقد تعامل تجار الجرهاء مع مملكتى السليوقيين والبطالمة المتنافستين خلال القرن الثالث ق.م. وكانوا يدفعون المكوس والضرائب التى تفرضها الإدارة المالية فى المملكتين على تجارتهم الواردة إلى حدود السليوقيين أو البطالمة.

لكن يبدو أن أنطيوخوس الثالث ـ خصوصاً بعدما تعاظم دوره التوسعى وقمع بعض حركات التمرد الخطيرة من بعض ولاته فى المناطق الشرقية من الدولة السليوقية واستيلائه على أرمينيا واستعادته لبارثيا وباكتريا كممالك موالية له وعبوره مناطق الهندوكوش حتى نهر إيندوس حيث لقب نفسه بأنطيوخوس الأكبر تشبها بالإسكندر وذلك فى الفترة من ٢١٢ إلى ٢٠٦ق.م. ـ لم يقنع بأن تكون اعتبارات وعناصر السوق هى وحدها التى تحكم علاقته بالجرهائيين فأراد إما إخضاعهم أو إجبارهم ـ من خلال استعراض قواته المنتصرة ـ إلى دفع إتاوة نقدية وعينية له على أقل تقدير . هذه الإتاوة (الهدية) التى عرضها الجرهائيون على الملك بعد توسلهم إليه ألا يطيح بأمنهم وحريتهم لاقت قبولاً فى نفس الملك لأنها حققت

عدة أغراض فى آن واحد وهى أنها رمز للولاء والخضوع للملك المظفر وفائدة مادية تنعش الخزانة الملكية المرهقة من الحروب . كما أنه بهذا المسلك جعل الجرهائيين يستمرون فى التجارة مع مملكته وتزويدها بما تحتاج إليه من سلع الجزيرة والهند ، وهو بعد نظر من جانب الملك . ربما كانت تجارة الجرهائيين قد ازدادت بعض الشئ مع مملكة السليوقيين بعد تلك الواقعة(٤١) ، ولكن مرد ذلك قد يعود إلى المعاملة الخاصة التى ربما أصبح الجرهائيون ينعمون بها من قبل الدولة السليوقية بعد أن عبّروا عن خضوعهم وولائهم للملك السليوقى بتلك الإتاوة (الهدية) التى ربما صارت أمرا منتظماً بعد ذلك .

بعد ذلك وفى خلال القرن الثانى ق.م. ـ كما يتضح من شهادة أجاثيار خيديس ـ كان جميع العرب ـ وخصوصاً الجرهائيون والمعينيون ـ يذهبون بتجارتهم من طيوب شبه جزيرة العرب وبخورها إلى البتراء وفلسطين كأحد الأسواق الهامة لهؤلاء التجار العرب . هذا الوضع كان استمرارا لوضع كان موجودا فى القرن الثالث حين كانت سلع الجرهائيين والمعينيين تصل إلى تلك المناطق كما رأينا من قبل . الجديد فى الأمر هو أن السيادة السياسية والكلمة العليا فى هذه المناطق كانت للبطالمة طيلة القرن الثالث ق.م. تقريبا ولكنها انتقلت للسليوقيين فى خلال القرن الثانى ق.م. بعد انتصار الملك السليوقى أنطيوخوس الثالث عام ٢٠٠ق.م. فى موقعة "بانيون" فى فلسطين على القوات البطلمية التابعة للملك بطليموس الخامس وطردها من جوف سوريا وفلسطين . هذه السيطرة السليوقية على هذه المناطق تحت حكم أنطيوخوس الثالث (٢٢٣ ـ ١٨٧ ق.م.) كانت أمراً مقبولاً وطيبا للجرهائيين خصوصاً بعد أن عبروا عن ولائهم للملك

أنطيوخوس الثالث بتلك الهدية من النقود والبخور والطيوب عام ٢٠٥ق٠م٠ حين هدد منطقتهم ٠ ببساطة بعد أن كانت تجارة الجرهائيين فى آسيا فى القرن الثالث موزعة بين مناطق نفوذ السليوقيين والبطالمة أصبحت فى القرن الثانى تتم فى أملاك السليوقيين ومناطق نفوذهم ٠

وقد ورد ذكر تجارة الجرهائيين مع سوريا وفلسطين كذلك فى كتاب "التاريخ الطبيعى " لبلينى الأكبر (الفقرة المقتبسة عن بلينى 12.40.80) حيث ذكر : " ومن هنا (من كارا " الجرهاء ") اعتاد الجميع قبل ذلك على المضى نحو " جابا " فى رحلة تستغرق عشرين يوماً ونحو سوريا وفلسطين"٠

ربما يقصد بلينى من هذه الجملة الإشارة إلى وضع التجارة الجرهائية البرية مع تلك المناطق الغربية والشمالية الغربية خلال الفترة السابقة على عصره (كما يشير استخدام زمن الماضى المستمر فى فعل omnes) petere <u>solebant</u> خلال الفترة بين القرن الثانى والقرن الأول ق٠م٠ لكن لابد من وقفة أمام "جابا" هذه التى كان الجرهائيون يقطعون الطريق إليها فى مسافة عشرين يوماً كما ورد فى نص بلينى ٠ أين تقع " جابا" هذه ؟ ربما كان المفتاح نحو إجابة هذا السؤال هو فقرة وردت عند سترابون يذكر فيها :

" تنتج قتبان البخور بينما تنتج حضرموت المرّ وهما يقومان بمقايضة هاتين السلعتين وغيرهما من الطيوب الأخرى مع التجار ٠ ويصل هؤلاء التجار من إيلانا إلى معين فى سبعين يوماً (تقع مدينة إيلانا " العقبة الحالية" على التجويف الآخر للخليج العربى " مقصود به هنا البحر الأحمر الحالى " وهو التجويف المسمى الإيلانيتى بالقرب من غزة " يقصد خليج العقبة

الحالى" كما سبق أن ذكرت) أما الجابايون[٤٢] (أهل " جابا " كما هو واضح من الاشتقاق) فإنهم يصلون إلى حضر موت فى أربعين يوما " .

ومن الجدير بالتنويه هنا ـ وأتفق فى ذلك مع رأى العالم بيستون[٤٣] ـ أن كل مخطوطات هذا النص ورد بها اسم Γαβαιοι ، ولكن ناشرى هذا النص بلا استثناء قد عدّلوا قراءة الكلمة وجعلوها Γερραιοι (أى الجرهائيون) بدلا من القراءة الاصلية الواردة فى المخطوطات ـ وذلك استنادا إلى ملحوظة هامشية وردت فى مخطوط واحد من هذه المخطوطات ترجح قراءة الاسم بـ Γερραιοι . وهذا التعديل كما يرى بيستون من المؤكد أنه يفتقر إلى أى مبرر but the emendation is certainly wholly unjustified ـ ولكننى أختلف مع بيستون تماما فى تحديد موقع هؤلاء الجابيين الذين ورد ذكرهم فى كل مخطوطات النص . فهو يرى أن الجابيين المقصودين هنا ربما كانوا هم الـ Gebbanites (القتبانيين) الذين وردوا فى أكثر من موضع عند بلينى الأكبر فى كتاب " التاريخ الطبيعى " ، والذين أفرد لهم بيستون مقالة عام ١٩٧١ خلاصتها أنهم كانوا شعبا ينتج المرّ وربما كان موطنهم تقريبا منطقة نصاب الحالية (فى اليمن إلى الجنوب الغربى من شبوة فى الطريق المؤدى من شبوة إلى عدن) ، ولكنهم كانوا فى الوقت ذاته يفرضون إحتكارا عبر كل المنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية فى تجارة البخور والمر والقرفة وكانوا يديرون شبكة تجارية واسعة ذات منشآت فى عدد من المدن خارج موطنهم . وتأسيسا على فرضية أن الـ Gabaioi الذين وردوا فى نص سترابون هم أنفسهم الـGebbanites عند بلينى قدم بيستون تفسيرا لعبارة سترابون ذات القراءة الأصلية فى المخطوطات وافترض تفسيرا مفتعلا لعبارة سترابون عن تجارة

أهل إيلانا مع قتبان ومعين وتجارة الجابيين مع حضرموت والمدة التى يستغرقها كل منهما فى الوصول إلى هدفه فى معين وحضرموت ٠ لقد خرج بيستون عن نص سترابون واعتبر الرحلتين اللتين ذكرهما سترابون فى واقع الأمر محطتين لرحلة واحدة ٠ هذه الرحلة يقطع تجار إيلانا المرحلة الأولى منها ٧٠ يوماً إلى أقصى مناطق انتشار المعينيين شمالاً فى تلك الفترة فى القرن الأول ق٠م٠ وهى قرب منطقة أبها ــ خميس مشيط شمال نجران ـ (بعد أن كان للمعينيين من قبل فى الفترة من القرن الرابع حتى القرن الثانى ق٠م٠ مركزاً تجارياً فى ديدان (العلا) تقلصت منطقة نفوذهم كثيراً خلال القرن الأول) وهناك كان الجابيون يقطعون الرحلة إليهم فى أبها وخميس مشيط من موطنهم فى نصاب قرب شبوة فى حوالى أربعين يوماً ليسلموهم سلع جنوب الجزيرة من البخور والمرّ وغيرها وبذلك تكون الرحلة التى قطعتها تجارة البخور من موطنه فى جنوب الجزيرة وحضرموت حتى إيلانا (العقبة) هى ١١٠ يوم على مرحلتين (٤٤).

هكذا كان تفسير بيستون للجابايين وموقعهم ودورهم وبالتالى لعبارة سترابون حول تجارتهم مع حضرموت ٠ وهذا التفسير يبتعد ـ فى نظرى ــ كثيراً عما قصده كل من سترابون ومن بعده بلينى ٠ فمن ناحية سترابون يبدو واضحاً فى نصه أنه يتحدث عن طريقين تجاريين كل منهما له خط بداية وخط نهاية وليس عن مرحلتين لطريق واحد ، فتجار إيلانا كان هدفهم هو معين ويقطعون الرحلة من أيلانا إلى معين فى سبعين يوماً والتجار الجابايون كان هدفهم وخط النهاية لرحلتهم هذه هى حضرموت ويقطعون رحلة سفرهم من موطنهم إلى حضرموت فى أربعين يوماً ٠ ويمكن القول بأن "الجابايين" كانوا يقطنون موطناً يدعى "جابا" كما يرجّح ذلك الاشتقاق

اللفظى. لا سيما وأن "جابا" هذه قد وردت فى نص بلينى حين ذكر بأن التجار إعتادوا على أن يمضوا من كارا (الجرهاء) نحو " جابا" فى رحلة تستغرق عشرين يوماً و (يمضون نحو) سوريا وفلسطين • يتضح إذن من نص بليني أن "جابا" (التى كانت على الأرجح هى موطن الجابايين) كانت تقع فى الطريق التجارى المؤدى من الجرهاء على الخليج العربى فى الطريق إلى سوريا وفلسطين وربما كانت محطة هامة على هذا الطريق حتى أن بلينى خصها بالذكر دون غيرها من محطات ذلك الطريق • معنى ذلك ان "جابا" كانت تقع ـ من حيث المبدأ ـ فى نقطة ما من شمال شبه الجزيرة العربية ولم تكن تقع على الإطلاق فى جنوب الجزيرة العربية كما افترض بيستون ، وبالتالى فإنه قد جانبه الصواب حين افترض أن الجابايين الذين أوردهم سترابون فى نصه هم أنفسهم " الجيبانيتين Gebbanites " الذين أوردهم بلينى فى مواضع عديدة • وإذا ألقينا نظرة على خريطة شبه الجزيرة العربية وطرق التجارة المعتقد استخدامها قديماً قبل الإسلام (كما ورد فى كتاب العالم عبد الرحمن الأنصارى فى كتابه عن حفائر قرية الفاو)(٤٥) نجد محطة على طريق التجارة من الجرهاء إلى وسط شبه الجزيرة العربية المتجه شمالا إلى سوريا وفلسطين ، هذه المحطة تسمى "جبة" إلى الجنوب من دومة الجندل • وعلى خريطة المملكة العربية السعودية (٤٦) نجد " جبة " هذه بالقرب من حائل (شمال غرب حائل) قرب منطقة شمر ، وبالقرب منها إلى الجنوب (جنوب غرب حائل) نجد على الخريطة منطقة باسم " شمر جابا " • الأرجح أن هذه المسميات الحديثة هى استمرار للمسمى القديم لذلك المركز التجارى القديم " جابا " الذى ورد عند بلينى وورد ذكر تجاره عند سترابون بوصفهم تجاراً يجلبون طيوب جنوب الجزيرة ـ لا سيما المرّ ـ من حضرموت (حسب زعم سترابون الخاطئ ـ

ربما نقلاً عن اراتوستثيس ـ من أن حضرموت كانت تنتج المر بينما كانت تنتج قتبان اللبان ، وهو عكس الحقيقة كما سنوضح لاحقاً) ٠

إن صحّ ما ذهبت إليه من أن الجابايين وليس الجرهائيون هم المقصودون فى نص سترابون بالتجارة مع حضرموت ومن أن " الجابايين " المذكورين يختلفون عن " الجيبانيتيين " من سكان جنوب غرب الجزيرة الذين أوردهم بلينى ومن أن الجابايين هم من سكان شمال شبه الجزيرة قرب حائل وإلى الجنوب من دومة الجندل ـ إن صحّ هذا كله فإنه سوف يؤدى إلى استنتاجات مغايرة لما جرى العرف العلمى عليه ٠ لعل أبرز هذه الاستنتاجات أن الجرهاء لم يكن لها تجارة مع مناطق جنوب غرب الجزيرة ـ على الأقل فى ضوء ما لدينا من نصوص حالية ـ أو أن هذه التجارة بين الإقليمين ـ إن وجدت ـ فإنها إما كانت غير مباشرة أى عن طريق وسيط ثالث أو كانت محدودة وذات طابع غير منتظم ٠ عموماً أجدنى أكثر ميلاً للقبول بالترجيح الثانى وهو أن طرفا ثالثاً ربما كان يزود الجرهائيين بطيوب جنوب وجنوب غرب الجزيرة ٠ هذا الطرف ربما كان على الارجح هم " الجابايون " الذين كان موطنهم " جابا " محطة على طريق القوافل الجرهائية من الجرهاء إلى سوريا وفلسطين ، والذين كانوا يجلبون سلع جنوب الجزيرة ـ لا سيما حضرموت ـ حسبما فهمت من نص سترابون ٠ وهذا فإننى أتفق مع بيستون فى القول بأنه لا يمكن أن نصدّق بأن البخور المنتج فى جنوب الجزيرة العربية كان يصل إلى فلسطين عن طريق الجرهاء أى من خلال طريق ملتو يعبر شبه الجزيرة مرتين ٠ إن " الطيوب" التى كان يجلبها الجرهائيون إلى فلسطين لابد أنها كانت منتجات هندية فى المقام الأول ـ كخشب الصندل مثلاً ـ وكانت تصل إلى ساحل

الخليج بحراً [٤٧] . ويبدو أن الجرهائيين لم يكونوا يتاجرون فقط في السلع الهندية بل كانوا يجلبون كذلك السلع الإيرانية المميزة من الطيوب والبخور منذ عصور قديمة من أيام حكم الفرس ـ كما نستشف من حديث هيرودوت عن هدايا العرب السنوية لملوك الفرس ، التي ربما كان أحد أغراضها تسهيل تجارتهم مع تلك المناطق ــ مروراً بعهد السيادة السليوقية وأخيراً حين آلت هذه المناطق إلى البارثيين [٤٨] ورثة الفرس . وعن تلك المرحلة الأخيرة ـ عصر سيادة البارثيين على إيران ــ يتحدث بليني حديثاً بالغ الدلالة عن هذه التجارة الإيرانية العربية في تلك الفترة وذلك كمقدمة للحديث عن الجرهاء كمركز لهذه التجارة ، وها هو نص حديث بليني :

" وهناك إقبال مذهل في الجزيرة العربية على العطور (النباتات العطرية) الأجنبية المستوردة من الخارج ، وهكذا شأن البشر إذ يملّون مما لديهم ويشتهون ما لدى الآخرين . لذلك فهم يرسلون إلى أهل عيلام في طلب خشب البراتوس وهي شجرة أشبه بشجرة السرو الوارفة وهي ذات أغصان ناصعة البياض وتعطي ـ عند إحراقها ـ رائحة طيبة مقبولة . وقد امتدح كلوديوس قيصر هذه الشجرة في تواريخه باعتبارها تتمتع بخاصية رائعة إذ يقرر أن البارثيين ينثرون أوراقها في مشروباتهم وأن لها رائحة أشبه ما تكون بشجر الأرزوأن دخانها شفاء ضد تأثيرات الأخشاب الأخرى. وتنمو تلك الشجرة وراء نهر كارون في حدود مدينة سوستراتا على جبل سكانخروس . كما يستوردون (العرب) من الكرمانيين شجرة الـ stobrus بغرض التبخير حيث تنقع في نبيذ البلح ثم يشعل فيه النيران ويرتد بخاره من السقف إلى الأرضية فيصدر رائحة طيبة لكنها تسبب صداعاً خفيفاً .

ومن أجل هذه السلع افتتحوا (العرب) مدينة كاراى (الجرهاء) كسوق لهذه المناطق "[٤٩] .

يبدو إذن أن الجرهاء قد " تخصصت " فى تجارة السلع الهندية والإيرانية ـ لاسيما الطيوب والبخور ـ إذ كانوا يجلبون هذه السلع من مواطنها الأصلية فى تلك البلاد الشرقية ثم يتجهون بها شمالاً وغرباً لبيعها فى أسواق سوريا وفلسطين • أما طيوب جنوب الجزيرة فكان المعينيون هم الذين ينقلونها إلى تلك الأسواق الشمالية وكانوا يسيرون فى قوافلهم بمحاذاة الساحل الشرقى للبحر الأحمر حتى يصلوا إلى مملكة الأنباط ومنها إلى سوريا وفلسطين • كما كان " الجابايون " يحصلون من حضرموت على بعض طيوب جنوب الجزيرة ، ولما كان الجرهائيون يمرون بمنطقتهم وهم فى طريقهم إلى سوريا وفلسطين فربما كانوا يتبادلون معاً بعضاً من الطيوب الهندية والإيرانية ببعض الطيوب العربية • يبدو أن هذه الطيوب العربية التى كان الجرهائيون يحصلون عليها بالمقايضة من أهل " جابا " كانوا يبيعونها بدورهم فى أسواق لهم شمال الخليج العربى قرب منطقة البصرة الحالية حيث كانت السلع الهندية والإيرانية تأتى من الشرق فى حين تأتى طيوب العرب من الغرب على يد الجرهائيين • إذ يذكر أريان فى مؤلفه عن حملة الإسكندر فيذكر " •••• عند مصب الفرات قرب قرية تابعة لأرض بابل تسمى " ديريدوتيس " وهنا يجمع التجار البخور من أرض الجرهاء وبقية البخور العطرية الأخرى التى تنتجها أرض العرب"[٥٠] .

إذن التصور العام للتجارة الجرهائية هو أن التجار الجرهائيين كانوا على درجة عالية من المهارة فى معرفة قوانين واحتياجات السوق لا سيما قانون العرض والطلب فحيثما يقل وجود سلعة فى منطقة ما ويزداد الإقبال

عليها بأثمان مرتفعة يتاجر فيها الجرهائيون : فقد كانوا يحملون الطيوب والبخور الهندية والإيرانية إلى سوريا وفلسطين حيث كان تجار جنوب الجزيرة من المعينيين والسبئيين يأتون بطيوبهم المنتجة فى مناطقهم ، ويحملون طيوب الجزيرة ـ عن طريق الجابايين ، وربما كانوا هم أنفسهم ينتجون بعض الطيوب العربية كما يتضح من عبارة أريان أعلاه ـ إلى جنوب بلاد الرافدين وشمال الخليج حيث يفترض توافر الطيوب والبخور والتوابل الهندية والإيرانية .

من خلال هذه الحركة التجارية النشطة وبصفتهم " وكلاء عن كل شئ يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوروبا " كوّن السبئيون والجرهائيون ثروات ضخمة وتسببوا فى إثراء المناطق الأخرى التى كانوا يتاجرون معها مثل البطالمة والفينيقيين . إذ يذكر أجاثارخيديس ـ أنه " لا يبدو أن ثمة شعباً أغنى من السبئيين والجرهائيين . لقد كانوا وكلاء عن كل شئ يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوروبا . وهم الذين جعلوا سوريا البطلمية غنية بالذهب، وأتاحوا للتجار الفينيقيين تجارة رابحة والآفاً من أشياء أخرى"(٥١).

وفى فقرة أخرى ينقل سترابون عن أرتيميدوروس ـ من القرن الأول ق.م. ـ ما يدل على مدى ثراء الجرهائيين إذ يذكر : " وعن طريق تجارتهم فإن هؤلاء (السبئيين) وكذلك الجرهائيين هم أغنى من جميع (العرب) ، ولديهم أثاث وأدوات كثيرة من الذهب والفضة مثل الأرائك والحوامل الثلاثية القوائم والأوعية وأوانى الشرب والمنازل الفخمة ذات الأثمان المرتفعة : فالأبواب والحوائط والأسقف مزينة بالعاج والذهب والفضة ومطعمة بالأحجار الكريمة " (٥٢) .

هوامش الفصل الأول

(الجرهاء)

1) عن المصادر الرئيسية للموضوع أنظر مقالة :

J. Tkac, Gerrha', Realencyclopaedie vii. 1912, 1270-72

2) D.T. Potts, The Arabian Gulf in Antiquity, vol. II, Oxford at Clarendon Press, 1990, pp. 86-88.

3) B.D'Anville, "Recherches geographiques sur le golfe persique, et sur les bouches de l'Euphrate et du Tigre", Memoires.......... de l'Académie royale des inscriptions et belles-lettres, 30 (1764), p. 193 ; K. Mannert, Geographie der Griechen und Romer aus ihren Schriften geschildert, Nuremberg, 1788-1802, vi/1.117; W. Vincent, The Voyage of Nearchus, London, 1809 ; A.H.L. Heeren, Ideen über die Politik, den Verkehr und den Handel der vornehmsten Volker der alten Welt, Gottingen, 1824, vol. 1/2.232, (Hofuf or Qatif) ; A.W.Stiffe, "Ancient Trading Centres of the Persian Gulf, III: Pre-Mohammedan Settlements", Geographical Journal 9, 1897, p. 311.

4) H.St.J.B. Philby, " Across Arabia: From the Persian Gulf to the Red Sea", The Geographical Journal 56, 1920, p. 447 ; R.E. Cheesman, "The Deserts of Jafura and Jabrin" Geographical Journal 65, 1925, pp. 116-17

; A. Berthelot, " L'Arabie antique d'aprés Ptolemée", in Mélanges offerts à A.M. Desrousseaux par ses amis et ses éléves, Paris, 1937, p. 4; P.B. Cornwall, " Ancient Arabia : Explorations in Hasa, 1940-41", Geographical Journal 107 (1946), p. 33; F. Altheim, Weltgeschichte Asiens im griechen Zeitalter, Halle, 1984, p. 43.

5) C. Forester, The Historical Geography of Arabia, London, 1844, p. 197; E. Durand, " Extracts from Report', 1880, p. 8; E. Glaser, Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens, Berlin, 1890, pp. 75, 226.

6) N.St.J. Groom, " Gerrha : A " Lost" Arabian City", Atlal 6, 1984, pp. 97-107 ; id., " Eastern Arabia in Ptolemy's Map ", PSAS: Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 16, 1986, 68.

7) P.V. Glob, Al-Bahrain (Copenhagen, 1968), p. 142; O. Morkholm, "En hellenistik montskat" p. 200-1; A.F.L. Beeston "Some Observations of Greek and Latin Data Relating to South Arabia" BSOAS, 62, 1979, p. 7.

8) Strabo 16.3.3 : παραπλευσαντι δε της Αραβιας εις δισχιλιους και τετρα – κοσιους σταδιους εν βαθει κολπω κειται πολις Γερρα ..... κτλ. διεχει δε της θαλαττης διακοσιους σταδιους η πολις.

9) Pliny NH 6. 32 147-48: Sinus Gerraicus, oppidum Gerra v p. amplitudine ; turres habet ex salis quadratis

molibus, a litore L regio Attene ; ex adverso Tyros insula totidem milibus a litore.

10) A. Sprenger, Die alte Geographie Arabiens, Berne, 1875, p. 135.

11) J. Tkac, Loc. cit. (1272)

12) D.T.Potts, The Arabian Gulf in Antiquity, vol. II, Oxford , the Clarendon Press, 1990, p. 87, notes 270-71

13) Ibid., pp. 88-90 ; and " Thaj and the Location of Gerrha" Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 14, 1984, pp. 87-91.

هذه الاقتراحات والترجيحات المختلفة لموقع الجرهاء القديم أوردها بوتس فى كتابه عن الخليج العربى فى الجزء الثانى فى حديثه عن الجرهاء فى الصفحات ٨٦ – ٨٨ كما أسلفت فى الملحوظة رقم ٢ أعلاه .

14) Strabo, 16.3.2 : λεγειν δε φησιν (Eratosthenes) εκεινον (Androsthenes) περιπεπλευκοτα στολω τον κολπον, οτι απο Τερηδονος εξης εν δεξια εχοντι την ηπειρον ο παραπλους εχει προκειμενην νησον Ικαρον, και ιερον Απολλωνος αγιον εν αυτη και μαντειον Ταυροπολου.

15) Strabo 16.3.3: οικουντων γην αλμυριδα και εχοντων αλινας τας οικιας " ; Pliny : see note 9 above.

16) جواد على ، المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثانى ، دار العلم للملايين ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد ، الطبعة الثالثة ، فبراير ١٩٨٠ ، ص ١٧ .

17) Ptolemy, Geography, 6.7. 16-17.

18) الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ص ١٧٣ ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ .

19) Polybius 13.9.5 : και εποιει τον πλουν επι Τυλον την νησον και εποιει τον αποπλουν επι Σελευκειας .

20) Ibid. 13.9.2-3 : Χαττηνια, Χωρα τριτη Γερραιων. Πολυβιος ιγ " εστι δ η Χαττηνια ταλλα μεν λυπρα, κωμαις δε και πυργοις διεσκευαστι δια την ευκαιριαν των Γερραιων. ουτοι γαρ αυτην νεμονται. "

أنظر كذلك : N.St. Groom, Art. Cit., p. 97.

21) انظر هامش ٩ أعلاه .

22) يتضح ذلك أيضاً فى خرائط للجزيرة العربية وردت فى أطلس : World History Atlas, Hammond Incorporated Maplewood, New Jersey, 1993, pp. H-8 (The Persian Empire and the Empire of Alexander the Great) and H-7 (Asia 250-200 B.C.)

23) Strabo, Geography, 16.3.3: Αριστοβουλος δε τουναντιον φησι τους Γερραιους τα πολλα

σχεδιαις εις την Βαβυλωνιαν εμπορευεσθαι, εκειθεν δε τω Ευφρατη τα φορτια αναπλειν εις Θαψακον, ειτα πεζη κομιζεσθαι παντη.

24) Ibid. πεζεμποροι δ ειαιν οι Γερραιοι το πλεον των Αραβιων φορτιων και αρωματων.

25) C. Müller, Geographi Graeci Minores, § 87.

26) Diodorus Siculus 3. 42. 5: ....κατα την καλουμενην Παλαιστινην. εις γαρ ταυτην τον τε λιβανον και ταλλα φορτια τα προς ευωδιαν ανηκοντα καταγουσιν, ως λογος, εκ της ανω λεγομενης Αραβιας οι τε Γερραιοι και Μιναιοι.

see also Strabo 16.4.18.

27) See for example : N. St. J. Groom, " Gerrha ...." , Atlal 6, 1982, p. 99 ; Potts, Op. Cit., Vol. 2,p. 90.

28) Pliny, NH 12.40.80.

29) Potts, Op. Cit., vol. II. , pp. 90-97.

30) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٢ (الطبعة الثالثة ١٩٨٠) ص ١٥ .

31) P. Cairo Zenon 59536, 261 B.C., ; 59009 (between 260-258 B.C.) ; Gow and Scholfield, Nicander, pp. 101, ll: 105-106.

32) Cf. W. W. Tarn ; Hellenistic Civilization, Meridian Books, New York, 3rd print, 1964, p. 240.

33) Potts, Op. Cit., p. 91.

34) Polybius, 13.9.4-5

35) W.W.Tarn, "Ptolemy II and Arabia " JEA 15 (1929), P.22

وهنا يناقض تارن نفسه إلى حد ما حيث يذكر أن الجرهاء ـ التى كانت قوة تجارية عظيمة على الخليج الفارسى ـ كانت تزود السليوقيين بالبخور ، وأنه يبدو أن السليوقيين احتفظوا بعلاقات طيبة مع الجرهائيين ، وحتى عندما شرع أنطيوخوس الثالث فى غزو الجرهاء استجاب لرجاء أهلها بأن يبقى على حريتهم " . وهذا الكلام من جانب تارن ـ إضافة إلى تناقضه ـ يفقد هذه الحملة مبرر القيام بها ، إذ ما دامت العلاقات طيبة والتجارة قائمة فما سبب قيامه بهذه الحملة .

36) A. Bouché - Lechercq, Histoire des Seleucids (323-64 av. J-C.), Paris, 1913, P. 166 : Antiochos pensa qu'il etait bon de faire sentir sa puissance aux habitants de Gerrha. Un peu de piraterie ne lui deplaisait pss."; E. Bikerman, Les Institutions des Seleucids, Paris, 1938, p. 120: " Le roi disposait de multiples recettes extraordinaires pour se procurer de l'argent en cas de besoin. Nous trouvons mentionés dans cette categorie:a) Le butin de guerre ...... Les Gerrhéens sur le Golfe Persique durent donner à Antiochos III 500 talents d'argent, mille talents d'encens et 200 talents de parfum".

37) H.H. Schmitt, Untersuchungen zur Geschichte Antiochos des Grossen und seiner Zeit (Historia Einzelschriften, 6, Wiesbaden, 1964), S. 34 n.3 : " Aus dem Bericht des Polyb. (5) über die Zahlung eines " Kranzgeldes" an Antiochos lasst sich nicht ablesen, ob es sich um eine einmalige Zahlung handelte oder die Gerrhaer einen standigen Tribut zahlen mussten, d.h. die Oberhoheit des Antiochos anerkannten "

38) M. Rostovtzeff, The Social and Economic History of the Hellenistic World, vol. I, p. 458; Potts, Op. cit. PP.94-95.

39) Herodotus III. 97.

في الفقرات السابقة على هذه الفقرة مباشرة (III.89–96) يذكر هيرودوت الولايات العشرين التى كانت تضمها الامبراطورية الفارسية تحت حكم داريوس الأول والضرائب الإلزامية التى تدفعها كل ولاية للملك الفارسى ، ولكنه يذكر فى هذه الفقرة المناطق التى لم تكن خاضعة لحكم الفرس مباشرة بل كانت موالية لملوك فارس وترسل لهم هدايا δωρα (لفظ مهذب بدلا من كلمة " إتاوات ") للتعبير عن موالاتهم للملك الفارسى وعلاقاتهم الخاصة به " أما عن أولئك الذين لم تفرض عليهم ضريبة وإنما كانوا يقدمون الهدايا .... "

οιδε δε φορον μεν ουδενα εταχθησαν φερειν, δωρα δε αγινεον .

ويذكر من بينهم ـ فى نهاية هذة القائمة ـ " العرب الذين كانوا يقدمـون ألـف تالنت من البخور سنويا " ٠

Αραβιοι δε χιλια ταλαντα αγινεον λιβαϖωτου ανα παν ετοs.

أنظر كذلك بلينى 12.40.80 الذى يستشهد بمـا أورده هيرودوت هنـا حين يقول بأنه يرى أن " العرب ــ وخصوصـاً الجرهـائيين فـى هـذه الفقـرة لبلينـى ــ كـانوا يحملـون سـلعهم إلـى الفـرس قبـل أن يأخذوهـا إلـى سـوريا ومصر، وهذا ثابت بشهادة هيرودوت الـذى يـروى بـأن العـرب قـد اعتـادوا على أن يؤدوا للملوك الفرس ألف تالنت من البخور سنوياً "

mihi ad Persas etiam prius ista portasse quam in Syriam aut Aegyptum videntur Herodoto teste, qui tradit singula milia talentum annua turis pensitasse Arabas regibus Persarum.

40) Potts, Op. Cit., pp. 4-10.

أنظر كذلك Pliny, NH 12,32,62 حيث يذكر :

" نظراً لأن الاسكندر الأكبر كان ينثر البخور ببذخ على مذابـح الألهـة فإن أستاذه ليونيداس قال له ذات مرة بأنه ينبغى عليه أن يقدم القرابيـن بهذه الطريقة بعد أن يغزو الشعوب التى تنتج البخـور ٠ وبعـد أن فتـح الاسكندر بلاد العرب أرسل له سفينة محملة بالبخور وأوصـاه أن يقدم منهـا القرابين السخية للآلهة " ٠

وكذلك Arrian, Anabasis 7.20.2 حين يقول :

" إن رفاهية تلك البلاد (بلاد العرب) كانت حافزاً له (للاسكندر لفتح هذه البلاد) إذ سمع بأن القرفة تنمو فى واحاتها وأن المرّ والبخور تأتى من

أشجارها وتجمع القرفة من أغصانها ، كما تنمو فى مروجها طيوب الناردين العطرية " .

41) Potts, Op. Cit., p. 95.

42) Strabo, 16.4.4.

43) A.F. Beeston, " Some Observations on Greek and Latin Data Relating to South Arabia", Bulletin of the School of Oriental and African Studies 42, 1979, pp. 7-12, p.8. See also N.St. Groom, Art. Cit (Gerrha),p. 99.

44) Beeston, Art. Cit. pp. 8-9. see also A.F. Beeston, " Pliny's Gebbanites", Proceedings of the 5th Seminar for Arabian Studies, 1971, London, 1972, pp. 4-8.

45) عبد الرحمن الأنصارى : قرية الفاو : صورة من حضارة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الرياض ، ١٩٨٠ ،الخريطة الافتتاحية

46) شارل جورج بدران : أطلس العالم " بيروت ، ١٩٧٨ خريطة رقم ٥، ص ٦٦ - ٦٧ .

47) Beeston, " Some Obervations......" , p. 7.

48) استولى البارثيون على بابل وسليوقية بين عامى ١٤٠ و ١٣٠ ق.م. أنظر جورج فاضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى (الترجمة العربية للدكتور السيد يعقوب بكر ـ مكتبة الأنجلو بالقاهرة ـ ١٩٥٨) ص ٤٥ .

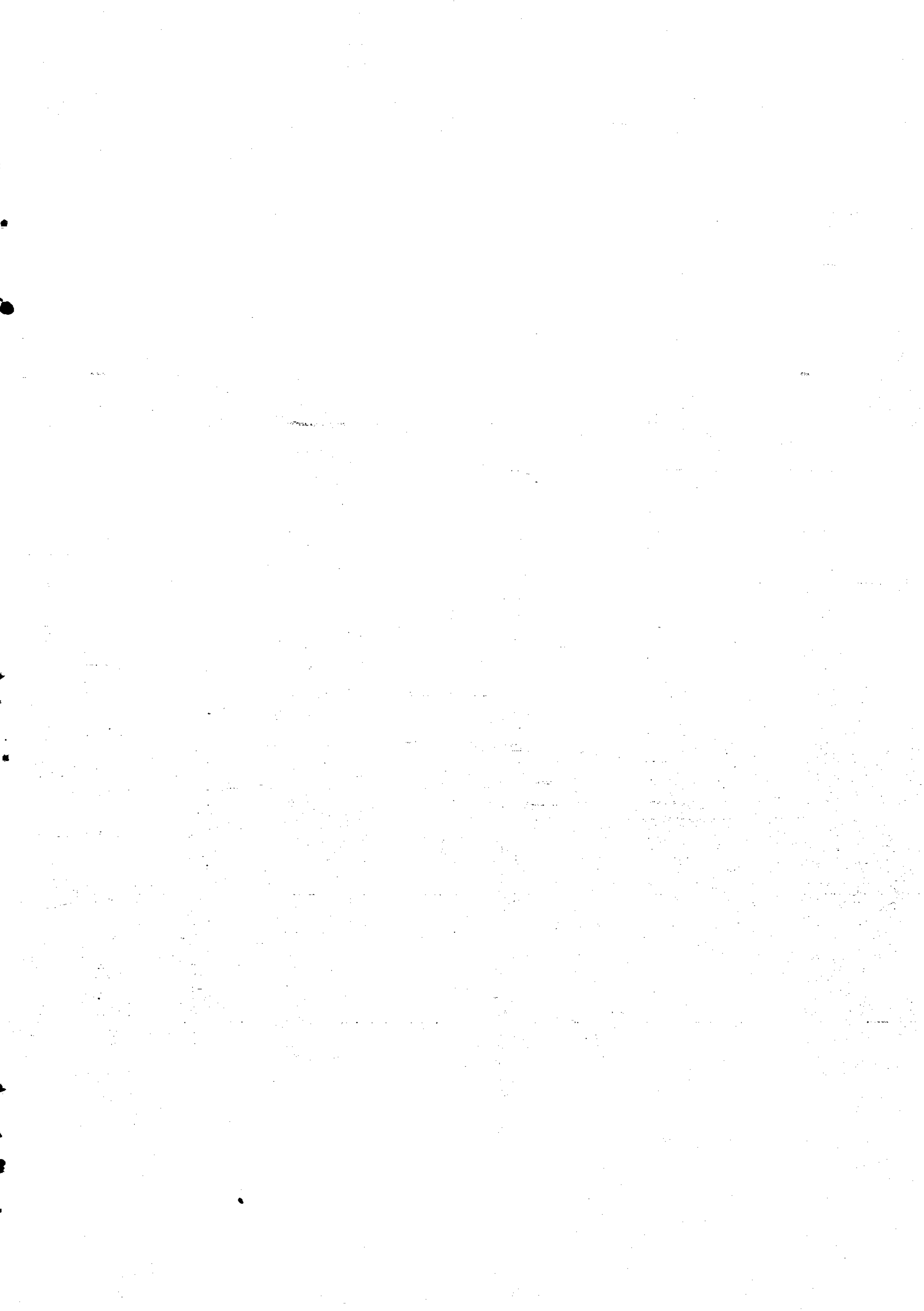
49) Pliny, NH 12.38-40, 77-80.

50) Arrian, Indica 41. 6-7 :

..... επι του στοματος του Ευφρατου προς κωυη τινι της Βαβυλωνιης χωρης – ονομα δε αυτη Διριδωτις –, ινα λιβανωτον τε απο της Γερραιης γης οι εμποροι αγινεουσι και τα αλλα οσα θυμιματα η Αραβων γη φερει.

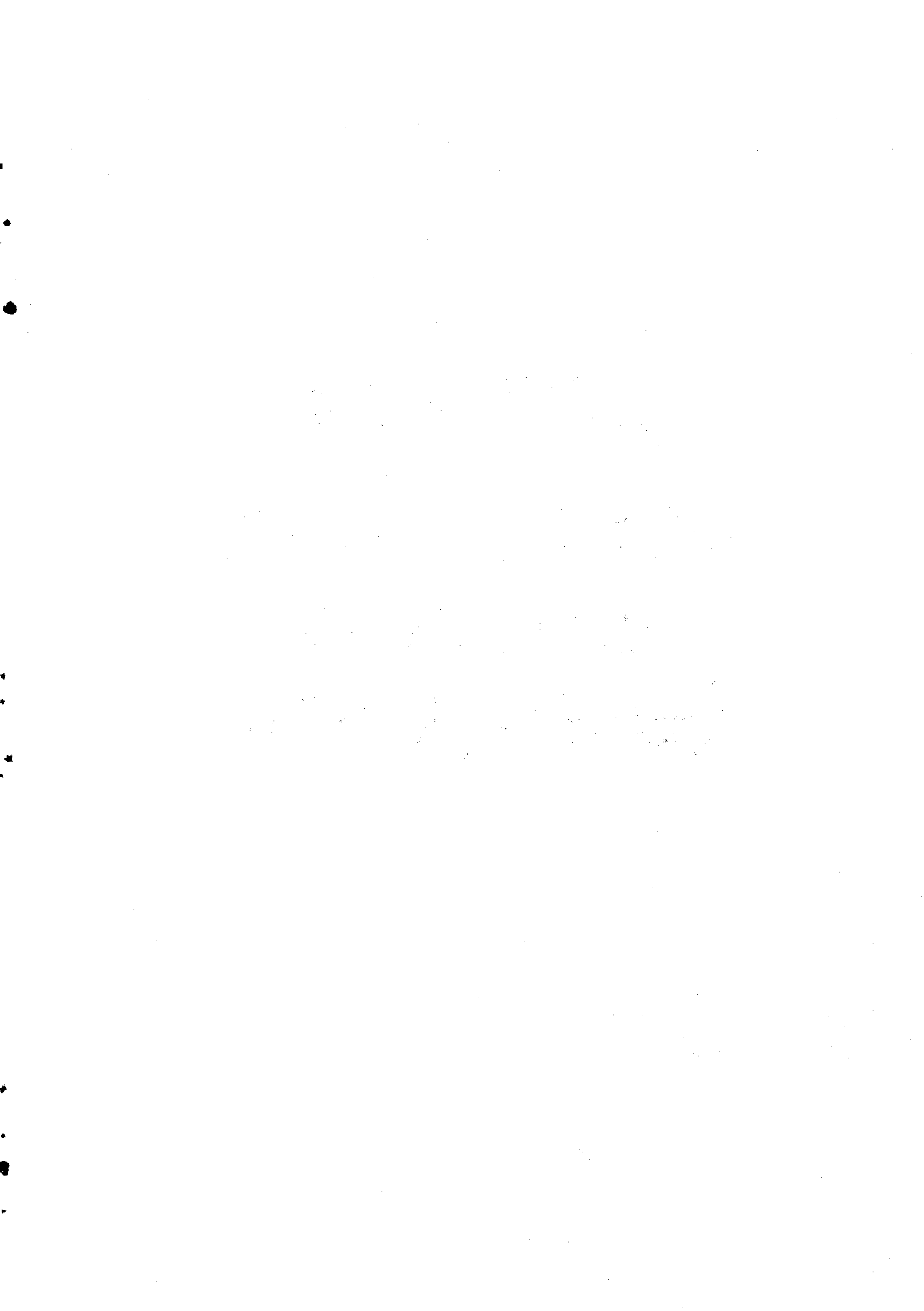
51) أنظر : جورج فاضلو حورانى : المرجع السابق ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

52) **Strabo 16.4.19 .**



الفصل الثانى

جنوب شبه الجزيرة وتجارته
إبان القرنين الأولين
من الإمبراطورية الرومانية



جنوب شبه الجزيرة العربية وتجارته
إبّان القرنين الأولّين من الإمبراطورية الرومانية

(١) جنوب شبه الجزيرة فى مصادر ما قبل الإمبراطورية الرومانية :

يعتبر هيرودوت[١] أول المصادر الكلاسيكية ـ بعيداً عن الإشارات الغامضة المبكرة لدى هوميروس وهيسيودوس وأيسخيلوس[٢] ـ التى تناولت ذكر العرب والجزيرة العربية بصورة تفصيلية مطوّلة • وكان ذلك فى إطار حديثه عن خلفيات الحروب التى دارت بين الفرس والإغريق فى أوائل القرن الخامس ق٠م٠ وذكر المناطق والأمم التى كانت تحت السيادة الفارسية أو ترتبط بعلاقات طيبة أقرب إلى الولاء للفرس كما كانت طبيعة علاقة العرب ـ مثلاً ـ بهم [٣] ، حيث كانوا يقدمون للفرس هدية من البخور مقدارها ألف تالنت سنوياً •

إن أهم ما يعنينا مما ذكره هيرودوت فى هذا المقام هو حديثه عن إنتاج العربية ـ دون تحديد لمناطق الإنتاج ـ للُبان والمرّ والقصيعة والقرفة واللادن أو المستكة • ويشير هيرودوت فى هذا السياق إلى أنه كان من الصعب على العرب الحصول على كل هذه الطيوب باستثناء المر ، إذ يذكر أنهم كانوا يجمعون اللبان من خلال إحراق الميعة أو العبهر στυραξ ـ وهى مادة صمغية تخرج عند إحراقها دخاناً نفّاذ الرائحة لذا تُستخدم كمطهر أو مبيد ـ وذلك لأن أشجار اللبان ـ كما يروى هيرودوت ـ كانت تحرسها ثعابين مجنحة لا يطردها وقت حصاد المحصول إلا رائحة العبهر هذا • كما يتحدث هيرودوت فى نفس الفقرة عن أن الفينيقيين كانوا يقومون بدور الوساطة فى نقل لُبان العرب إلى بلاد اليونان [٤] • ويستطرد هيرودوت فى

الحديث عن الثعابين المجنحة التى تحرس غابات الطيوب العربية وما تتغذى عليه من أرانب برية [٥] . كما يتحدث عن الصعوبات المماثلة التى تكتنف حصاد القصيعة والقرفة κινναμωμον التى يُلمّح هيرودوت إلى أنها تنمو فى الأماكن التى تربى فيها ديونيسوس ويقصد بها الهند[٦] . كما يتحدث عن اللادن (المستكة) ذى الرائحة الطيبة جداً حتى أنه دخل فى صناعة الكثير من الروائح العطرية ويحرقه العرب بكثرة كبخور[٧] .

وننتقل الآن من حديث التعميم الذى أورده هيرودوت فى القرن الخامس ق٠م٠ عن العرب وطيوبهم دون معلومات محددة عن الأماكن والأسواق والحكام إلى حديث التخصيص والمعرفة الدقيقة فى القرن الرابع وأوائل القرن الثالث ق٠م٠ فى كتابات ثيوفراستوس (٣٧٢ــ٢٨٧ق٠م٠) تلميذ أرسطو وخليفته فى رئاسة معهد اللوقيون ـ مدرسة أرسطو الفلسفية ــ وخصوصاً كتابه عن " تاريخ النباتات " .

فعند حديث ثيوفراستوس عن اللبان والمر يذكر أن :

" اللبان والمر والقصيعة والقرفة توجد فى شبه جزيرة العرب حول سبأ وحضرموت وقتبان ومامالى[٨] " (التى فسرها البعض بأنها قد تكون تحريفاً لمعين ، أو أن ثيوفراستوس أغفل معين وأن مامالى التى أوردها ربما كانت " قرية ماماله " الواردة عند بطليموس أو الموقع الذى يحمل الآن اسم " معمله ")[٩] . ثم يستمر ثيوفراستوس فى وصف أشجار اللبان والمر وخصائصهما ، وكيفية جمع محصولهما [١٠] .

وهناك فقرة طريفة غنية ببعض المعلومات الهامة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والعقائدية فى تلك الفترة إذ يقول :

" والجبل بأكمله (يقصد الجبال التى تنمو غابات اللبان والمر فوقها وعند سفوحها IX,4,2) من نصيب السبئيين الذين لهم السيادة (عليه) والذين يتسمون بالعدل والنزاهة فيما بينهم ، ولذلك لا يقوم أحد بحراسة (الجبل وغاباته) . ومن هنا يقوم هؤلاء (يقصد البحارة الأجانب الذين كانوا يرتادون هذه المناطق) بالاستيلاء طمعاً على بعض كميّات اللبان والمر ويأخذونها إلى سفنهم ويبحرون بعيداً مستغلين عدم وجود أحد . كما روى هؤلاء (البحارة) أمراً آخر إذ ذكروا أنهم سمعوا بأن المر واللبان كانا يُجمعان من كل مكان إلى معبد الشمس ، وأن هذا المعبد هو أقدس ما لدى السبئيين فى تلك المنطقة ويقوم على حراسته بعض العرب المسلحين. وعندما يُحضرون (المحصول) يقوم كل فرد (من الأهالى) بوضع نصيبه من اللبان وكذلك من المر فى كومات ويتركه لدى من يقومون بالحراسة ، ويضع على كل كومة لوحة كتب عليها مقدار أو كمية كيلها والسعر الذى ينبغى (يلزم) أن يُباع به كل مكيال ، وأنه حين يأتى التجار يلقون نظرة على تلك اللوحات المكتوبة ويختار كل واحد الكومة التى تروق له ويكيل المقدار (المطلوب) ويضع ثمنه فى نفس المكان الذى أخذ منه المحصول. ثم يأتى الكاهن ويأخذ ثلث الثمن للإله ويدع ما تبقى منه ، ويظل هذا المبلغ المتبقى سليماً لأصحابه حتى يأتوا ويطالبوا به " [١١] .

وفى موضع آخر يذكر يثوفراستوس أن " البعض يقولون بأن شجرة اللبان توجد بصورة أكبر فى بلاد العرب ، لكن النوعية الأفضل منها توجد فى الجزر المجاورة التى يحكمونها (أى العرب) " [١٢] .

ونأتى الآن لعالم جغرافى وفلكى يُعد مؤسس التاريخ العلمى وصاحب منهج فى قياس محيط الأرض وكان أول جغرافى كونى فى العالم القديم

وهو إراتوستثيس الذى شغل منصب أمين مكتبة الإسكندرية القديمة فى عهد بطليموس الثالث يو إرجيتيس وعاش فى القرن الثالث وأوائل الثانى ق٠م٠ (٢٧٣ ـ ١٩٢ ق٠م٠) ٠ يبدو أن إراتوستثيس قد استفاد مما كان تحت يده من سجلات المكتبة ومؤلفات من سبقوه ومن المعلومات التى أوردها البحارة والملاحون وكان هدفه رسم خريطة للعالم فى عصره تستند إلى هذه المعلومات بالإضافة لتمكنه من علم الفلك والحساب الفلكى ٠ لذلك أورد لنا إراتوستثيس مزيداً من المعلومات التفصيلية عن الجزيرة العربية بشكل عام وعن جنوب الجزيرة بشكل خاص [١٣] ٠ إنه يقسّم جزيرة العرب بين العربية الصحراوية Arabia Eremé فى الشمال والعربية السعيدة Arabia Eudaemon والتى تمتد لمسافة ١٢ر٠٠٠ ستاديون (فرسخ) من وسط الجزيرة حتى أقصى جنوبها ، ويقسم سكان العربية السعيدة حسب مهن سكانها من الشمال إلى الجنوب إلى مزارعين γεωργοι ثم البدو من سكان الخيام ورعاة الإبل : σκηνιται δ εχουσιν αυτην Αραβες και καμηλοβοσκοι الذين يقطنون المناطق الرملية القاحلة التى تنمو فيها بعض أشجار نخيل البلح وبعض النباتات الشوكية[١٤] ٠

أما أقصى جنوب الجزيرة العربية وأقصى جنوب العربية السعيدة فى آن واحد فله حديث تفصيلى نسبياً عند إراتوستثيس أورده لنا سترابون كما يلى :

" أما أقصى المناطق نحو الجنوب والواقعة قبالة إثيوبيا فترويها أمطار صيفية وتُبذر بالحبوب مرتين كما هى الحال فى الهند ، وتستخدم الأنهار هناك فى تغذية السهول والبحيرات ٠ والمنطقة خصبة بصورة عامة وتكثر فيها مناحل العسل كما تكثر بها قطعان الحيوانات المستأنسة باستثناء الخيول

والبغال والخنازير وكافة أنواع الطيور باستثناء الأوز والدجاج • ويقطن الجزء الأقصى (من هذه المناطق نحو الجنوب) القبائل الأربعة الكبرى : المعينيون جهة البحر الأحمر وأكبر مدنهم كارنا أو كارنانا ، ويلى هؤلاء السبئيون وعاصمتهم مارايابا (مأرب) ، وثالث هؤلاء الأقوام القتبانيون الذين تمتد حدودهم نحو المضايق والممر المؤدى الى الخليج العربى (ربما بحر العرب) ومقرهم الملكى يُطلق عليه تمنا (تمنع) • وإلى أقصى الشرق يوجد الحضارمة Χατραμωτιται ومدينتهم ساباتا (شبوة)• ويحكم كل هذه (المدن) ملوك (حكام ذوو سلطة أحادية) وتتمتع هذه المدن بالرفاهية ويزينها معابد جميلة وقصور ملكية • ومنازلهم أشبه بمنازل المصريين فيما يتعلق بطريقة وصل الأخشاب ببعضها " [١٥] ، ثم يذكر فى موضع آخر :

" وتنتج قتبان اللبان فى حين تنتج حضرموت المر وتتم مقايضتهما وكذلك بقية الطيوب και τα αλλα αρωματα مع التجار " [١٦].

ونأتى الآن إلى كاتب آخر من القرن الثانى ق•م• هو أجاثارخيدس الكنيدى (من مدينة كنيدوس اليونانية على ساحل كاريا فى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى) والذى كان أحد علماء مكتبة الإسكندرية البارزين وكتب مؤلفا تاريخيا عن أوروبا فى تسعة وأربعين مجلداً وآخر عن آسيا فى عشر مجلدات ، وأخيراً مؤلف له بعنوان " حول البحر الإريترى (الأحمر) " كتبه فى أواخر حياته فى الثالث الأخير من القرن الثانى ق•م• فى عهد بطليموس يوإرجيتيس الثانى الذى توفى حوالى عام ١١٦ق•م• ولم تصلنا مؤلفات أجاثارخيديس الكنيدى ، وإن كان من حسن الحظ أن وصلتنا مقتطفات جيدة من كتاباته حول الجزيرة العربية ـ ضمّنها كتابه الأخير عن

البحر الإريترى ـ فى كتابات كُتّاب قريبين من عصره استفادوا مما ذكره مثل : ارتيميدوروس (الذى اشتهر بين عامى ١٠٤ و ١٠١ ق٠م٠) وديودوروس الصقلى الذى كتب مؤلفه " المكتبة التاريخية Bibliothéké historiké " بين عامى ٦٠ و ٣٠ ق٠م٠

ويجب أن ننوه هنا أن مقتطفات ارتيميدوروس المأخوذة عن أجاثارخيديس لم تصلنا مباشرة بل عبر وسيط هو سترابون فى مؤلفه الجغرافيا (XVI, 4, 19) ٠ كما انتقلت الكثير من مقتطفات أجاثارخيديس حول الموضوع من خلال مخطوطات وتنقيحات بطريرك بيزنطى مثقف من القرن التاسع الميلادى هو فوتيوس الذى لعب دوراً فى غاية الأهمية فى بقاء وتواصل الدراسات اليونانية فى العصر اليزنطى من خلال عمله الموسوعى الكبير المكتبة Bibliothéké ٠ هذه المقتطفات من أجاثارخيديس من خلال مؤلف فوتيوس وردت فى :

(C. Mülier, Geographi Graeci Minores § 97-103) [١٧] ٠

والآن لنبدأ فى اقتباس مقتطفات من أجاثارخيديس حول جنوب الجزيرة حسبما وردت عند ديودوروس الصقلى باعتباره أقرب مَن نَقَلَ " مباشرة " عن أجاثارخيديس مما لدينا من مصادر متاحة وردت أعلاه ٠ وقد ورد فيها ما يلى :

بعد حديث ديودوروس عن قبائل الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب حتى يصل إلى السبئيين فيذكر :

" وبعد هؤلاء يوجد السبئيون وهم أكثر قبائل العرب عدداً ، وهم يسكنون المنطقة المسماة بلاد العرب السعيدة والتى تنتج معظم السلع ذات

القيمة لدينا φερουσαν τα πλειστα των παρ ημιν αγαθων وتربى قطعاناً لاحصر لها من كل أنـواع الحيوانـات • وتنتشـر فـى المنطقـة بأكملها رائحة زكية طبيعية لأن كل الحاصلات التى تمتـاز بـالروائح الطيبـة تنمـو فـى تلـك المنطقـة بـلا توقـف • فعلـى السـاحل ينمـو مـا يُسمى البلسـم والقصيعة ونبات آخر يتسم بطبيعة خصوصية • إذ عندما يكون يانعاً يُدخـل البهجة والسرور على العين أما حين يبقى مـدة فإنـه سـرعان مـا يذبـل فجـأة ويندثر • وفى المناطق الداخلية توجـد غابـات كثيفـة بهـا أشـجار كبيرة مـن أشـجار اللبـان والمـر ، بالإضافـة أشـجار النخيـل ونبـات القليمــة (قصـب الطيب)* والقرفة وما إليها من أنواع أخرى ذات روائح زكية مماثلة • فمـن غير الممكن حصر خصائص وطبائع كل نوع منهـا بسبب الكم الكبير مـن هذه الأنواع وغناها بالأريج المجتمع منها جميعاً • (ويستمر فى بقية الفقـرة فى الاسهاب فى وصف هذه الروائح الذكية من الطيوب ومدى انتشارها فـى كل تلك البقاع) "[١٨] • ثم يشير ديودوروس ـ نقلاً عن أجاثارخيديس ـ إلى بعض منغصات تلك البيئة ـ رغم كل تلك النعم التـى تنعـم بهـا ـ مثـل تلـك الثعابين القاتلة ذات اللون الأحمر الداكن والتى تكثر فى غابات الطيـوب ولا شفاء من لدغتها المهلكة ، وبعض الأمراض المنتشرة هناك [١٩] .

وبعد ذلك يسترسل ديودوروس فى الحديث عن عاصمة قبيلة السبئيين وهى سبأ وعن ملوكها وارتقائهم العرش بصورة وراثية وما يتمتعون به مـن نعيم وسعادة لا تكتمل أسبابها بسبب ـ حسب هـذه الروايـة ـ تحديـد إقـامتهم فى القصر الملكى ورجمهم فى حالة مغادرته • ثم يذكر عن ثـروة السـبئيين فقرة مطوّلة نقتبس منها ما يلى :

" إن هذه القبيلة (سبأ) تتفوق فى ثروتها وبقية جوانب بذخها ليس فقط على جيرانها من العرب بل كذلك على بقية البشر ٠ فعند تبادل وبيع سلعهم يحصلون على أعلى سعر (عن) أصغر الأوزان وذلك من بين كافة الناس الذين يقومون بالتجارة من أجل الحصول على الفضة (فى مقابل الفضة)٠ ونظراً لأنه لم يسبق لهم أن تعرضوا مطلقاً للنهب (من خلال الحرب) بسبب موقعهم القصى المنعزل ونظراً لتدفق كميات الذهب والفضة عليهم ـ لا سيما فى سبأ حيث يقع القصر الملكى ـ نجد لديهم نقوشاً بارزة من الفضة والذهب منقوشة على أقداح شرابهم من كل نوع وأرائك وموائد ذات ارجل من الفضة وبقية الرياش (الأثاث) الباهظ الثمن بدرجة لا تُصدَّق وأروقة ذات أعمدة ضخمة بعضها مُذهَّب وبعضها تحمل فوق تيجانها تماثيل من الفضة ٠٠٠٠٠٠ (إلى آخر الفقرة) " [٢٠] .

من خلال هذا التتابع التاريخى لذكر عرب شبه الجزيرة ـ لاسيما عرب الجنوب ـ فى المصادر الكلاسيكية نحاول تتبع أهم النقاط التى ذكرت عنهم فى كل مرحلة من القرن الخامس حتى القرن الثانى ق٠م٠ ففى القرن الخامس يُركِّز هيرودوت على إنتاج مناطق جنوب الجزيرة لكافة أنواع الطيوب من لبان ومر وقصيعة وقرفة ولادن وإن لمَّح إلى أن القصيعة والقرفة ربما كانتا تُنتجان فى بلاد أخرى (حيث تربى ديونيسوس) ٠ كما ركَّز على أن غابات الطيوب كانت تحرسها ثعابين مجنحة تطرد برائحة العبهر المحروق ٠ كما ذكر أن الفينيقيين كانوا يقومون بالوساطة التجارية فى نقل طيوب جنوب الجزيرة إلى بقية الشعوب ٠ وفى القرن الرابع يحدد ثيوفراستوس قبائل عرب الجنوب التى تتحكم فى إنتاج وتجارة نفس أنواع الطيوب التى ذكرها هيرودوت مع إبراز سيادة وتفوق للسبئيين على وجه

الخصوص • كما أشار إلى عدم وجود حراسة على غابات الطيوب مما حدا ببعض البحارة الأجانب الطامعين إلى سرقة كميات كبيرة منها • كما ركز على الدور الهام الذى كان يقوم به كهنة إله الشمس فى تسيير دفة تجارة الطيوب والحصول على ثلث ثمن هذه الطيوب المباعة وتخصيصها لإله الشمس ، مما يوحى بنوع من الاحتكار لهذه التجارة من قبل المعابد • كما أشار إلى حكم عرب الجنوب لبعض الجزر المجاورة ، (وربما كان يقصد المناطق الساحلية المجاورة فى شرق افريقيا) المنتجة للطيوب والتوابل •

وفى القرن الثالث ق•م• نجد إراتوستثيس يقسم قبائل العرب الرئيسية فى الجنوب وموقع كل منها وعاصمة كل إقليم (معين وعاصمتها كارنا ، وسبأ وعاصمتها مأرب ، وقتبان وعاصمتها تمنا (تمنع) ، وحضرموت وعاصمتها شبوة) ونظام الحكم الملكى فيها وما تتمتع به من رفاهية وثروات • وركز على تخصيص مناطق لإنتاج طيوب بعينها فذكر أن قتبان تنتج اللبان فى حين تنتج حضرموت المر ويقومون بمقايضة هذه الطيوب وطيوب أخرى غيرها مع التجار • أما من القرن الثانى فنجد أجاثارخيديس – كما أورده ديودوروس الصقلى – لا يذكر من قبائل عرب الجنوب سوى السبئيين دون سواهم (ربما كانوا يتمتعون فى عصره بالسيادة على بقية عرب الجنوب كما ألمح ثيوفراستوس من القرن الرابع) ويسهب فى وصف ما لديهم من غابات الطيوب من كافة الأنواع بأريجها الفواح على الساحل وفى الداخل ، ويصف الثعابين الضخمة التى تحرسها مثلما ذكر هيرودوت• كما يسهب فى وصف الثراء والبذخ الأسطورى الذى تمتعت به سبأ وتدفق كميات الذهب والفضة عليها من تجارة الطيوب واستخدام تلك المعادن النفيسة فى رياشهم وأدواتهم المنزلية •

إضافة الى كتابات هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين وما احتوته من معلومات قيّمة عن ثروات منطقة جنوب الجزيرة من البخور والطيوب وتجارتها ، فإن هناك قدراً لا بأس به من المادة الوثائقية البردية والنقشية ـ خصوصاً من مصر البطلمية وأملاكها في العصر البطلمي المبكر في فلسطين وجوف سوريا ـ وهي مادة عرضنا لها في القسم الأول من هذا البحث الخاص بقفط ودورها في التجارة الشرقية (٢١) .

ولكن يبقى في هذا المقام بعض الوثائق ذات الأهمية البارزة والمباشرة المتصلة بانتقال بعض هؤلاء العرب بأنفسهم إلى أماكن قصية حاملين معهم تجارتهم من المواد العطرية والطيوب . من الأمثلة البارزة والشهيرة على ذلك النقش المشهور بالخط المسند الذي عثر عليه في الجيزة بمصر وكتبه تاجر معيني اسمه زيد إيل بن زيد من عهد الملك بطليموس الثاني فيلادلفوس (في السنة الثانية والعشرين من حكم بطلميوس بن بطلميوس الذي هو على الأرجح بطليموس الثاني) وقد كتب بالمسند (بيومهر تلميث بن تلميث أي على أيام بطلميوس بن بطلميوس) . وقد كان زيد إيل كاهنا في معبد مصري ، واعترف بوجود دين عليه وواجب وهو تزويد (أبيتت الالت مصر) أي بيوت الآلهة في مصر أو معابد آلهة مصر بـ (أمرن وقلمن) أي بالمر والقليمة καλαμος . ويقول زيد إيل أن دينه هذا أصبح مستحقاً للسداد في شهر هاتور (ويفقر زبدال بورخ حتحر) إذ قدمت إليه أنسجة وكساء بز (كسو بوص) أخذها إلى سفينة تجارية وأخذ عليه عهد بأن عليه دين يجب عليه تسديده ـ في مقابل ما أخذ من أقشمة ـ إلى معبد الإله (أثرهب) أو (أوزيرابيس) وذلك في شهر (كيحك) من السنة (خرف) الثانية والعشرين من حكم بطليموس بن بطليموس (ربما سنة ٢٦١ق.م.) .

ويرى ناشر النص N. Rhodokanakis ـــ ويجاريه جواد على[٢٢] تفسيراً لهذه الوثيقة الهامة يتمثل فى الآتى :

يرى الناشر أن زيد إيل ربما كان كاهنا فى أحد المعابد المصرية رغم كونه من أصل غير مصرى ، إذ ربما تساهل المصريون فى هذا العهد وسمحوا للغرباء بالانخراط فى سلك الكهانة المصرى ٠ وربما كان هذا التساهل مع " زيد إيل " على سبيل تشجيعه كوسيط يضمن لهم الحصول على المر والقليمة من وطنه الأصلى وبأسعار معقولة ٠ وربما درّت هذه الوساطة التجارية أرباحاً عليه ٠ ويذكر الناشر أن الصفقة المذكورة فى الوثيقة وهى تزويد المعابد لزيد إيل بأكسية البز لينقلها بالسفينة (إلى بلاده) ويأتى فى مقابلها بالمر والقليمة ربما كانت نوعاً من التعويض له على خسارة قد مُنى بها فى شهر (حتحر) ، وأنه استطاع من خلال تدخل المعابد أن يؤدى دينه فى شهر (كيحك) فعادت الثقة به وأنقذ من ضائقته المالية ٠

وهناك نقش آخر من جزيرة ديلوس فى بحر إيجه مكتوب بالخط المسند واللغة اليونانية معاً [٢٣] ٠ فالنقش يتألف من ستة أسطر قصيرة : الأسطر الثلاثة الأولى بالخط المسند ، وبقية السطر الثالث والأسطر الثلاث الأخيرة يحتوى كل سطر منها على كلمة يونانية ٠ وترجمة النقش كالتالى :

(بالخط المسند) ٠٠ هانئ وزيد إيل وخيداب أقاموا مذبحاً لـ "ودّ" وآلهة معين فى ديلوس ٠ (باللغة اليونانية) خاص بـ " ودّ " إله المعينيين٠ إلى " ودّ " ٠

يؤرخ الناشر هذا النقش ـ حسب حروف الكتابة اليونانية فى جزئه الثانى ـ بالنصف الثانى من القرن الثانى ق٠م٠ ويشير إلى أن الكتابتين

بالمسند واليونانية متزامنتان أى مكتوبتان فى نفس الوقت [٢٤] .

ويعزو الناشر وجود هذه المجموعة من المعينيين فى جزيرة ديلوس إلى قيامهم بالتجارة هناك ، وليس بسبب شهرة الجزيرة الدينية عند الإغريق كمهد لميلاد أبوللو وأرتميس لأن المذبح لم يُقم لأى من آلهة الإغريق بل لـ "ودّ " وغيره من آلهة معين [٢٥] . هذا النقش يدل على أن التجار المعينيين كانوا يترددون كثيراً على جزيرة ديلوس بوصفها مركزاً تجارياً هاماً تحولت إليه معظم الأنشطة التجارية فى شرق البحر المتوسط فى النصف الثانى من القرن الثانى ق٠م٠ بعد أن شنت روما حرباً تجارية طويلة المدى على جزيرة رودس التجارية القوية طيلة القرن الثانى ق٠م٠ وبعد تدمير مدينة كورنثة التجارية اليونانية على يد الرومان عام ١٤٦ق٠م٠ ويبدو ان التجار الثلاثة المذكورة أسماؤهم (يصحح الناشر اسم آخرهم إلى " خِذام "[٢٦] بدلاً من خيداب) أقاموا هذا المذبح لتقديم القرابين والذبائح لـ " ودّ " وبقية آلهة معين من جانبهم ومن جانب إخوانهم من التجار المعينيين الذين يترددون على جزيرة ديلوس ٠ وكتبوا نقش هذا المذبح بالخط المسند وباللغة اليونانية كنوع من الإشهار والإعلان عن هذا المذبح للتجار المعينيين الذين يعنيهم الأمر ولبقية سكان ومرتادى الجزيرة من اليونانيين وغيرهم ٠

من المؤكد أن التجار المعينيين فى ديلوس كانوا يتاجرون فى هذه الأصقاع فى سلع بلادهم من بخور وطيوب مختلفة دون انتظار لوساطة من تجار آخرين ، مما يدل على أن تجار جنوب بلاد العرب كانوا يتاجرون ويذهبون بسلعهم إلى مناطق نائية بأنفسهم دون أن يعتمدوا على مجئ التجار والوسطاء إلى بلادهم ونقل هذه السلع منها ٠ ربما كانت هذه الرحلات

التجارية مرهقة وشاقة لهؤلاء التجار العرب ولكن لابد أنها كانت أكثر أرباحاً حيث لا يوجد وسطاء يشاركونهم الأرباح ٠

(٢) طبيعة العلاقة بين عرب الجنوب والامبراطورية الرومانية :

إن باكورة العلاقة بين عرب الجنوب والإمبراطورية الرومانية ــ فى بداياتها المبكرة ـ كانت بداية عدائية تمثلت فى حملة أيليوس جالوس الشهيرة على الجزيرة العربية حوالى عام ٢٦/٢٥ق٠م٠ والتى مُنيت بفشل ذريع من الناحية العسكرية ٠ إن تفاصيل هذه الحملة التى قام بقيادتها أيليوس جالوس ـ ثانى الولاة الرومان على مصر ـ بتكليف من الإمبراطور أغسطس وتحت إمرته عشرة آلاف جندى رومانى من الفرق الرومانية فى مصر بالإضافة إلى ألف من مملكة الأنباط (وكان مرشد الحملة الوزير النبطى سيلايوس أو صالح الذى يعزو إليه سترابون الخيانة للرومان والتسبب فى إخفاق حملتهم) بالاضافة إلى خمسمائة من اليهود ـ إن هذه التفاصيل وغيرها الكثير عن تسليح الحملة وخط سيرها وأحداثها وردت بالتفصيل عند سترابون [٢٧] وغيره من المصادر القديمة ، كما ذكرت تفاصيلها فى مراجع كثيرة[٢٨]٠

ما يعنينا من هذه الحملة ـ فى هذا السياق ــ هو الحديث عن دوافع هذه الحملة ـ خصوصاً الاقتصادية منها ـ والنتائج التى آلت إليها ٠

يذكر سترابون عن دوافع تلك الحملة ما يلى :

" لقد أرسل (أيليوس جالوس) من قبل أغسطس ليستكشف القبائل والأماكن ــ ليست فقط الواقعة فى بلاد العرب بل وكذلك الخاصة بالإثيوبيين ــ لأن قيصر رأى أن بلاد التروجولوديت المتاخمة لمصر مجاورة وقريبة من هؤلاء (العرب) وأن الخليج العربى (المقصود البحر

الأحمر) الذى يفصل التروجلوديتين عن العرب يضيق جداً (فى هذه المنطقة التى هى مضيق باب المندب) • وعليه أدرك (القيصر) أن يكسب هؤلاء (العرب) فى صفه أو أن يخضعهم بالقوة • وهنالك اعتبار آخر ألا وهو ما سمعه من تقارير على مدى كل العصور عن ثرائهم الفاحش وعن بيعهم الطيوب والأحجار الكريمة الثمينة مقابل الفضة والذهب ولا ينفقون شيئاً مما يحصلون عليه مع الغرباء • لذلك فقد كان (أغسطس) يأمل فى أن يتعامل مع أصدقاء أثرياء أو يصبح سيدا على (يحكم) أعداء أثرياء"[٢٩]•

ومن المعروف جيداً أن هذه الحملة أخفقت من الناحية العسكرية بعد أن أمضت ستة أشهر فى دروب شبه الجزيرة العربية وصل جالوس فى نهايتها إلى مارب (أو مارسيابا كما أوردها سترابون) وحاصرها ستة أيام دون جدوى واضطر جالوس لرفع الحصار بسبب نضوب المياه[٣٠] • وقبل أن يشرع سترابون فى وصف تفاصيل الحملة الفاشلة بدأ بتلمس الأعذار فى هذا الإخفاق لصديقه الوالى أيليوس جالوس وأنحى باللائمة فى فشل الحملة على مرشد الحملة الوزير النبطى سيلايوس (صالح) واتهمه بأنه قد حنث بوعده الذى قطعه على نفسه بحسن إرشاد الحملة وتلبية احتياجاتها والتعاون مع قائدها جالوس ، وأنه لم يرشد الحملة عبر طرق بحرية ولا برية آمنة بل ضللها عبر أماكن ليس بها طرق ومساراتها ملتوية وعبر مناطق خاوية من كل شئ ، أو عبر سواحل صخرية لا تحوى مرافئ أو عبر مياه ضحلة أو تكثر فى قاعها الصخور [٣١]• • • • الخ •

هذا عن النتيجة العسكرية للحملة ، فماذا عن النتائج الأخرى الدبلوماسية والاقتصادية التى أسفرت عنها هذه الحملة على المدى القريب

المنظور والمدى البعيد ؟ وهل أعقبتها حملات رومانية أخرى لتدعيم أهداف هذه الحملة ؟

نبدأ بمحاولة الإجابة على السؤال الثانى ، لا سيما وأن هناك بعض الإشارات فى المصادر الى شئ من هذا القبيل •

ففى كتاب " الطوّاف حول البحر الإريترى Periplus Maris Erythraei " – للمؤلف المجهول الذى كان على الأرجح أحد التجار الملاحين من مصر الرومانية ويؤرخ بحوالى منتصف القرن الأول الميلادى[٣٢] من عهد كلوديوس أو نيرون – يتحدث المؤلف فى إحدى فقرات كتابه عن " العربية السعيدة " (ميناء عدن) يذكر ما يلى : " •••• تقع العربية السعيدة ، وهى قرية ساحلية تابعة لنفس مملكة شرحبيل •••• وكانت من قبل مدينة بمعنى الكلمة ، فعندما لم تكن السفن تذهب من الهند إلى مصر ولم تكن السفن المصرية تجرؤ على أن تصل أبعد من هذه الأماكن بل تصل إلى هنا فقط ، كانت " العربية السعيدة " تتلقى بضائع الطرفين ، تماما كما كانت الاسكندرية تتلقى بضائع من وراء البحار ومن أرجاء مصر • أما الآن فإن قيصر قد دمرّها قبل وقت ليس ببعيد عن أيامنا هذه[٣٣] " •

هل كان هذا المؤلف – الذى ربما كان المعمرين – يشير إلى حملة أيليوس جالوس التى ربما سمع بها من الجيل السابق له فعلقت ذكرياتها بذهنه بصورة مشوشة إلى حد ما إذ خلط بين هجوم الوالى الرومانى على " بلاد العرب السعيدة " إجمالاً وتصوره هجوماً على مدينة " العرب السعيدة (عدن)" تحديدا مما نجم عنه تدمير هذه المدينة وتقلص دورها بحيث صارت مجرد قرية ؟ وهل أشاع الرومان فى مصر أن حملتهم على جنوب الجزيرة

العربية كانت ناجحة ودمرت مدنها فتأثر كاتب " الطوّاف " بهذه الدعاية وروّج لها ؟ أم كان يشير بعبارته هذه إلى حملة رومانية لاحقة لحملة جالوس دمرت المدينة ؟ أم أن ميناء عدن قد تقلص دوره التجارى فى زمن كتابة " الطوّاف " لأسباب اقتصادية بحتة ــ وهو ما نميل إلى الأخذ به وشرحه فيما بعد ؟

لكن هناك إشارة عند بلينى الأكبر إلى حملة قام بها جايوس قيصر ــ حفيد الإمبراطور أغسطس من ابنته جوليا وزوجها أجريبا ــ ضد البارثيين والعرب انطلاقاً من أرمينيا (٣٤) حوالى عام ١ للميلاد ٠ وإشارة أخرى فى موضع آخر لنفس الكاتب عن العثور على تماثيل من مقدمة السفن من حطام السفن الأسبانية (فى الخليج العربى) عندما كان جايوس قيصر ابن أغسطس يقوم بشن الحرب هناك (٣٥) .

من هذه الإشارات عند " الطوّاف " وبلينى يستنتج بعض العلماء أن عدن قد دُمرت على يد جايوس قيصر من خلال أسطول ظهر قبالة ساحل عدن ـ مثلما دمرت قرطاجة وكورنثة فى العصر الجمهورى ــ مما أتاح للتجارة الرومانية المصرية السيادة على الخليج العربى (البحر الأحمر) والميحط الهندى (٣٦) ٠ وهناك من عزا هذه الحملة إلى عصر كلوديوس (٣٧) أو عصر نيرون (٣٨) .

لكن هناك من تصدى لهذا الاستنتاج ـ تدمير عدن على يد جايوس قيصر حفيد أغسطس ـ وفنّده واعتبر ذلك الافتراض محض اختلاق ٠ إذ يرى Kenneth Wellesley (٣٩) أن تلك الحملة ــ إن كانت قد حدثت ــ لتفاخر بها أغسطس فى سجل إنجازاته Res Gestae فى نقش أنقرة ـ وهو ما لم يحدث ـ رغم أنه تفاخر بالحملتين اللتين أمر بهما على إثيوبيا (ربما

يقصد حملة بترونيوس والى مصر عليها فى عام ٢٥/٢٤ق٠م٠) والعربية[٤٠] (حملة ايليوس جالوس) رغم عدم نجاحها ٠ ويحسم هذه المسألة بالقول بأن بلينى نفسه قد أورد صراحة أن حملة ايليوس جالوس كانت هى الحملة الوحيدة ـ حتى عصره ـ التى أشهر الرومان فيها سلاحهم ضد العرب ، وأن جايوس قيصر ابن أغسطس قد أطل إطلالة سريعة على بلاد العرب [٤١] ٠ ويستبعد هذا العالم أن يكون جايوس قيصر قد أبحر حتى مياه البحر الأحمر لأن أولوياته كانت تتركز على البارثيين ، وأن ما نعرفه عن خط سيره ـ وهو قليل ـ يشير إلى أنه ذهب عبر ساموس إلى سوريا وأرمينيا وفى عودته توفى فى قلقيا ٠ ورغم أن بلينى أورد ـ فى هذا الصدد ـ حملة لجايوس قيصر على البارثيين والعرب فإن مصطلح " بلاد العرب " مصطلح واسع ومرن جغرافيًا ويمتد من جبل أرمانوس شمالاً حتى أقصى جنوب الجزيرة العربية ٠ من هنا يبدو أن جايوس قيصر ربما احتك بأقصى الأطراف الشمالية لبلاد العرب فى الصحراء الواقعة بين سوريا وما بين النهرين ٠ كما يستبعد قصة حطام السفن الأسبانية فى الخليج العربى (البحر الأحمر) التى أوردها بلينى فى سياق حديثه عن حملة جايوس قيصر، ويعتبر أن قصة حطام السفن الأسبانية قصة قديمة أوردها سترابون نقلاً عن بوسيدونيوس (من حوالى سنة ١٠٠ ق٠م٠) التى سمعها الأخير فى قادس جنوب أسبانيا ـ وذلك بعد رحلة يودوكسوس الكنيدى الثانية من الإسكندرية إلى الهند حوالى عام ١١٥ ق٠م٠[٤٢] ٠

إذن يمكن القول بأن حملة إيليوس جالوس حوالى عام ٢٦/٢٥ق٠م٠ـ والتى لم تحقق أهدافها العسكرية ـ كانت هى الحملة الرومانية الجادة الوحيدة على ممالك الجنوب العربى خلال عصر أغسطس بل وربما بعد فترة ليست

بالقصيرة كما ذكر بلينى (هامش ٤١) • لكن يبدو أنه رغم أن هذه الحملة لم تحقق أهدافها العسكرية فى البقاء طويلاً فى جنوب الجزيرة أو تحويلها منطقة عميلة للرومان إلا أنها لابد أنها تركت أثرها النفسى على عرب الجنوب • إذ يبدو أن هذه الحملة نبّهت عرب الجنوب إلى تلك القوة الجديدة الصاعدة التى حلّت محل الأنباط والبطالمة كقوة كبرى فى الطرف الشمالى من البحر الأحمر ، وهى قوة يمكن أن تكيل لهم فى المستقبل ضربات ناجحة[٤٣] • ربما كانت الصداقة التى ربطت شرحبيل الملك الشرعى للحميرين والسبئيين والأباطرة الرومان ــ كما ورد فى كتاب " الطوّاف حول البحر الإريترى " ــ من خلال مبعوثيه وسفاراته المتصلة وهداياه[٤٤] نتيجة لهذا الموقف النفسى من عرب الجنوب تجاه حملة جالوس • لعل هذه الاتصالات العربية الرومانية هدفت ــ ضمن أهدافها ــ إلى تسهيل وتنشيط التبادل التجارى بين الطرفين وفتح الأسواق العربية أمام التجار الرومان ومن ولايات الإمبراطورية الرومانية وعدم اعتراض السفن التجارية الرومانية المبحرة فى المحيط الهندى بين ولايات الإمبراطورية ــ لاسيما مصر ــ والهند وما وراءها أى سيلان والصين (اللتان كانت سلعهما تنقل إلى الغرب عبر الهند) • إذا كانت هذه هى النتائج الدبلوماسية والسياسية والتجارية التى ترتبت على حملة أيليوس جالوس فلا غرو أن يباهى بها الإمبراطور أغسطس فى نقش أنقرة ويعتبرها ضمن إنجازاته (هامش رقم٤٠) •

(٣) تجـارة جنـوب الجزيـرة العربيـة خـلال القرنيـن الأولَيـن للإمبراطورية الرومانية :

رغـم الحملـة العسـكرية الفاشـلة التـى قـام بهـا أيليـوس جـالوس عـام ٢٦/٢٥ق٠م٠ ضد جنوب الجزيـرة العربيـة إلا أن سترابون نفسـه ــ وهـو الذى أورد تفاصيل تلك الحملـة ــ قد سبق أن أورد (12 .5 .2) أن حجم التجارة الرومانية مع الشرق ــ وخصوصاً الهند ــ قد ازداد ستة أضعاف ما كان عليه من قبل (حيث كان يغادر ميناء ميوس هو رموس المصرى علـى البحر الأحمر أيام وجود سترابون فى مصر ، أى حوالى ٢٤ ــ ٢٠ ق٠م٠ حوالى مائة وعشرون سفينة فى طريقها إلى الهند مقابل عشرين سفينة فقط أيام البطالمة) ٠ لقد حدثت طفرة إذن فى التجارة الشرقية للرومان منذ وقت مبكر جداً فى أوائل عصر أغسطس أول أبـاطرة الامبراطوريـة الرومانيـة ، وكانت هذه الطفرة من خلال ولاية مصر الرومانية بأعتبارها أقرب الولايات وأقدمها اتصـالاً بأسواق التجـارة الشـرقية وسـلعها المرغوبــة فــى أيطاليـا وولايات الإمبراطورية فى الغرب ٠ من ثم قامت مصر ــ كولاية رومانية ــ بمهمة الوسيط التجارى بيـن الأطـراف بالإضافـة إلـى تجارتهـا هـى (حـول تفاصيل هـذا الموضـوع أنظـر البـاب الأول مـن هـذا العمــل عــن " قفـط " وخصوصاً الهوامش أرقام ٢٦ ، ٢٧ منه) ٠

كما أن المؤرخين ــ خصوصاً تاكيتوس (Annales 3. 53) ــ ينقلـون عن الإمبراطور تيبريوس ــ خليفة أغسطس ــ تذمره الشديد مـن تبديد ثـروة الرومان على الغرباء والأعداء من خلال بذخ الرومان ــ خصوصاً النساء ــ فى شراء الملابس والمجوهرات الباهظة التكاليف ، فى إشارة إلى تدفق سلع الرفاهية الشرقية على روما فى عصره ٠

أما عن شبه جزيرة العـرب تحديـداً فـإن مؤلِّـف كتـاب الطـوّاف يذكـر بالتفصيل السلع التى كانت تُصدّر من مصر وغيرها من الولايـات الرومانيـة (الهوامش أرقام من ٤٣ إلى ٤٨ من باب " فقط ") إلى الموانئ المختلفة فـى جنوب شبه الجزيرة العربية مثل موزا (المُخا) وكانى (قَنـا) وسياجروس (رأس فرتك) (على السـواحل الغربيـة والجنوبيـة مـن الجمهوريـة العربيـة اليمنية بالترتيب) ، وجزيرة ديوسكوريديس (سوقطرة) الواقعة إلى الجنـوب قبالة رأس فرتك تقريباً ، وميناء موسخا (خور رورى قرب صلالة بسـلطنة عمان) وهى أماكن سيرد ذكرها بالتفصيل عنـد الحديـث عـن منـاطق إنتـاج وطرق تجارة الطيوب العربية • كما يـرد فـى كتـاب " الطـوّاف " صـادرات هذه الموانئ العربية ومناطقها الداخلية من سلعها المحلية ـــ خصوصـاً المـر واللبان واللؤلؤ وعظام السلاحف ـ وكذلك بعض السلع الوسيطة التـى يـأتى بها التجار العـرب مـن الهنـد وشـرق أفريقيـا[٤٥] • هـذه الصـادرات العربيـة والوسيطة كانت تنتقل إلى الامبراطوريـة الرومانيـة ـــ فـى الأغلـب ـــ عـبر مصر •

وهناك مصدر معـاصر تقريبـاً للطـوّاف أو بعـده بقليـل وهـو مؤلَّـف " التاريخ الطبيعى " لبلينى الأكبر الذى لقى حتفه أثنـاء انـدلاع بركـان فـيزوف سنة ٧٩م• حين اقترب أكثر من اللازم من موقع البركان لكى يكتب عنه أو يدرسه • فى هـذا المؤلَّـف يتحـدث بلينـى فـى مواضـع عديـدة عـن منتجـات وطيوب الجزيرة العربية ومناطق إنتاجها وطرق انتاجها وأساليب نقلها ، كما يتحدث عن المبالغ الطائلة التى ينفقها الرومان على سلع الرفاهية الشرقية ـــ ومن بينها الطيوب واللؤلـؤ مـن بـلاد العـرب ـــ والتـى كـانت تكلـف خزانـة

الإمبراطورية الرومانية حوالى مائة مليون سيستركس رومانى سنوياً (أنظر الهوامش رقم ٦٤ ، ٦٥ من باب " قفط ") [٤٦] .

من كل ما سبق يتضح بجلاء أن التجارة الرومانية مع المناطق الشرقية قد ازدادت فى حجمها وتنوعت سلعها منذ أوائل عصر الإمبراطورية الرومانية عن ذى قبل ٠ ربما كان سبب ذلك ــ على الأرجح ـ هو أنه رغم فشل حملة أيليوس جالوس على جنوب شبه الجزيرة العربية فإنها ـ كما أسلفنا ـ قد لفتت انتباه عرب الجنوب إلى قوة كبرى صاعدة هى قوة الإمبراطورية الرومانية التى فاقت القوى السابقة ، وجعلتهم يخطبون ودها بالبعثات والسفارات والهدايا (هامش رقم ٤٤ أعلاه) وهى اتصالات لعله كان من بين أهدافها تنشيط التبادل التجارى بينهما ٠ إن هذا الموقف الجديد جعل عرب الجنوب ـ فيما يبدو ـ لا يعترضون طريق السفن التجارية من ولايات الإمبراطورية الرومانية ـ لاسيما مصر ـ سواءً السفن التى ترسو منها فى الموانئ العربية أو التى تكمل الرحلة شرقاً نحو الهند والعكس ٠

لكن هناك تفسير مغاير ــ بل ومناقض ــ ولهذا التفسير ، إذ يذكر صاحبه أن السبب فى ازدياد حجم التجارة الرومانية الشرقية ـ خصوصاً مع الهند ــ فى عصر الامبراطور أغسطس هو اكتشاف البحارة الرومان لاستخدام الرياح الموسمية التى تصل بهم إلى الهند عبر المحيط الهندى مباشرة وليس بمحاذاة السواحل وبذلك كسروا احتكار العرب للتجارة الهندية٠ ويفترض صاحب هذا الرأى أن السفن المائة والعشرين التى ذكر سترابون أنها كانت تبحر من ميوس هورموس إلى الهند أيام وجوده فى مصر حوالى سنة ٢٠ ق٠م٠ والتى يمكن أن يصل عددها ــ حسب رأى

الكاتب ـ إلى مائتى سفينة إذا ما أضفنا إليها السفن المبحرة من مينائى بيرينيكى وأرسينوى (الَّذَين يفترض الكاتب ـ بغير دليل ـ أنهما كانا أقل أهمية من ميوس هورموس) لم تكن تصل إلى الهند بل كانت تتعامل فقط مع موانئ جنوب الجزيرة العربية فى سلع العرب المحلية من الطيوب وسلع الرفاهية الهندية التى كان العرب لا يزالون يحتكرونها • ويواصل صاحب هذا الرأى قوله أن العرب ـ وقد اكتشفوا أن الرومان قد أفلحوا فى اكتشاف الرياح الموسمية وأن السفن من مصر الرومانية بدأت تشق عباب المحيط الهندى وأن احتكارهم (أى العرب) للتجارة فى السلع الهندية بات مهدداً بالخطر ـ بدأوا بالتصدى لهذه السفن ومحاربتها ومن هنا جاءت حملة جايوس قيصر لتأديب هؤلاء العرب حوالى سنة ١ م (٤٧) •

لكن ما أورده صاحب هذا الرأى (J. Thorley) كلام افتراضى بحت يفتقر إلى أية أدلة أو قرائن ملموسة لا سيما فيما يتعلق بافتراضه أن السفن المصرية لم تصل إلى الهند فى بداية عصر أغسطس ـ رغم أن سترابون أورد ذلك صراحةً فى نصه أكثر من مرة ـ وقوله بأنها لم تكن تتجاوز جنوب الجزيرة العربية ! كما أن افتراض الكاتب بأن البحارة الرومان هم الذين اكتشفوا سر استخدام الرياح الموسمية فى الوصول إلى الهند فى أواخر القرن الأول ق٠م٠ يتناقض مع القرائن القوية التى برهنت على أن يودوكسوس من كيزيكوس هو أول من وصل إلى الهند من الملاحين الإغريق بتكليف من الملك بطلميوس يو إرجيتيس الثانى فى أواخر القرن الثانى ق٠م٠ وأن ملاحا اغريقيا آخر ـ بعد يودوكسوس بقليل ربما فى أوائل القرن الأول ق٠م٠ ـ هو " هيبالوس " اكتشف الرياح الموسمية إلى الهند وكسر هذا الاحتكار العربى ، وأن البطالمة استفادوا من هذا الاكتشاف

فـى عهـد بطلميـوس الثـانى عشـر " الزمـار " (٨٠ ـ ٥١ ق٠م٠) وابنتـه كليوباترا السابعة (٥١ ـ ٣٠ ق٠م٠) وأصبح هناك من موظفيهم فـى تلـك الفترة من يحمل لقب " المشـرف علـى البحـر الاريـترى والهنـدى " (أنظـر الباب الأول عن " قفط " وخاصة الهوامش أرقـام ١٠ ـ ١٨) * ٠ كمـا أنـه سبق تفنيد الزعم الخاص بحملـة قـام بهـا جـايوس قيصـر علـى جنـوب شبه الجزيرة العربية عند الحديث عن هذه الحملة ٠

إن ازديـاد حجـم التجـارة الرومانيـة الشـرقية منـذ بدايـات العصـر الإمبراطورى ـ خصوصاً مع الهنـد ـ مقارنـة بضعـف وقلـة حجم التجـارة البطلمية هناك من قبل مرده ـ فى تقديرى ـ ليس لاكتشاف رومانى مزعـوم للرياح الموسمية لأن هذا أمـر لا دليـل عليـه إضافـة إلـى القرائـن المذكـورة أعـلاه والتـى ترجـح اكتشـافها فـى أوائـل القـرن الأول ق٠م٠ بـل إلـى القـوة السياسـية والعسـكرية للرومـان والتـى مكنـت الأسـاطيل التجاريـة الرومانيـة المزودّة بحماية عسكرية من جند ورمـاة سـهام مـن أن تمخـر عبـاب البحـار دون خوف من قرصنة أو تهديد من العرب الذين ربما كانوا يمنعون السفن البطلمية من قبل بالقوة من الإبحار فى المحيط الهندى ـ بعد اكتشاف الريـاح الموسـمية ـ بسـبب الضعـف العسـكرى للدولـة البطلميـة فـى القـرن الأول ق٠م٠(٤٨) ربما أفلتت سفن بطلمية قليلة من هذا الحصار الذى ضربه العرب عليها واستطاعت أن تصل إلى الهنـد وتـأتى مـن حيـن لآخـر ببعـض السـلع الهندية من غير وساطة العرب ، لكن من المؤكد أن هـذا الاتصـال ازدهـر

---

* بالاضافة إلى هذه الهوامش أنظر :

L. Casson, The Ancient Mariners, Princeton University Press, New Jersey, 2nd edition, 1991, pp. 168-69.

وتزايد دون عوائق من العرب في ظل حكم الإمبراطورية الرومانية ذات القوة والنفوذ .

والآن لنأتي للحديث عن بعض النقاط المتصلة بتجارة العرب في الطيوب وغيرها ومن أهم هذه النقاط مناطق إنتاج الطيوب ومراكز تصديرها ، ثم المناطق الجنوبية والشرقية التي كان للعرب بها علاقات تجارية خاصة ، ثم الطرق التي كانت تسلكنها هذه السلع العربية المصدرة ـ خصوصاً نحو الغرب إلى ولايات الإمبراطورية الرومانية .

(أ) مناطق إنتاج الطيوب العربية ومراكز تصديرها :

فيما أوردنا من كتابات المؤرخين الكلاسيكيين أعلاه في الجزء الأول من هذا الباب رأينا كيف أن هؤلاء الكُتّاب (هيرودوت وثيوفراستوس وإزاتوسثنيس وأجاثارخيديس) نسبوا إلى مناطق جنوب الجزيرة العربية بصفة عامة إنتاج كافة أنواع البخور والطيوب والتوابل مثل اللبان والمر والقرفة والقصيعة واللادن .

صحيح أن بعضهم قد مال إلى التحديد أحياناً ـ وإن كان في معظمه غير دقيق كما سنرى ـ مثل تلميح هيرودوت إلى نمو القرفة والكاسيا في المناطق التي تربى فيها ديونيسوس (ربما الهند) ومثل تركيز ثيوفراستوس وأجاثارخيديس إلى التركيز على سبأ باعتبارها أكبر منتج لهذه الطيوب ومثل تخصيص إراتوسثنيس (كما أورده سترابون لاحقاً) لقتبان في إنتاج اللبان وحضرموت في إنتاج المر ، إلا أن هذه الكتابات قد أدت إلى نوع من الخلط في المعلومات حول مناطق إنتاج الطيوب المختلفة في جنوب شبه الجزيرة .

هذا الخلط بحاجة إلى دراسة متأنية للمصادر والوثائق للوصول إلى قدر أكبر من التحديد حول هذه الجزئية • إن كتاب " الطّوّاف " للمؤلف المجهول مع ترجمة وتعليقات ليونيل كاسون القيّمة عليه وكذلك معلومات بليني الأكبر حول الموضوع تُلقى قدراً أكبر من الضوء على هذه النقطة •

ـ المُــــــرّ :

يُذكر في مؤلف " الطوّاف " أن المر الفاخر وزيت المر الكثيف stactê كانا من بين أهم صادرات ميناء " موزا " (المُخا) ويوصف المر المصدر من هناك بالمر المعيني (إذ كانت معين تتولى عملية نقل طيوب هذه المناطق من مر ولبان ولذلك كانت هذه الطيوب تعرف بأنها معينية رغم أن الكثير منها أنتج في مناطق أخرى من مناطق الجنوب العربي) ، كما كان يُصدَّر من ميناء موزا نفس هذه السلع الآتية من الساحل الإفريقي المقابل في جنوب البحر الأحمر [٤٩] • هذه المنطقة من الساحل الإفريقي المنتجة للمر في أقصى جنوب البحر الأحمر ـ كما وردت عند " الطواف " ـ ورد ذكرها من قبل عند سترابون في موضعين • إذ يذكر في الموضع الأول " وبعد الجزر (جزر جنوب البحر الأحمر) فإن الرحلة التالية بعد تخطي الخليج (أي البحر الأحمر) تكون نحو المناطق المنتجة للمر نحو الجنوب والشرق (على الساحل الإفريقي) " [٥٠] ، وهو كلام نقله سترابون عن إراتوستثيس • وفي موضع آخر يذكر " والمنطقة التالية بعد ديرى (في أقصى جنوب البحر الأحمر على الساحل الإفريقي من مضيق باب المندب) هي المناطق المنتجة للطيوب وأولها المنطقة المنتجة للمر " [٥١] • أما بليني الأكبر فيعدد أنواع المر وجودته حسب مناطق إنتاجه على النحو التالي :

" وهناك أنواع عديدة (من المر) : الأول هو النوع البرى من مناطق سكان الكهوف (تروجوديتيكا) ، ويليه المر المعينى الذى يضم الاستراميتيكى (الحضرمى) والجيبانيتيكى (القتبانى) والأوساريتى (الأوسانى) من مملكة القتبانيين ، والنوع الثالث هو الديانيتى ، والرابع المُخلّط ، والخامس السامبراكينى من دولة بحرية مجاورة لمملكة السبئيين ، والسادس هو المُسمى بـ " الدوسيريتى " (٥٢) وفى الفقرة السابقة على هذه الفقرة كان بلينى قد ذكر بأنه لم تكن تُقدم أنصبة من المر للإله ـ إذ ينمو المر فى أماكن أخرى ـ ولكن كان على المنتجين للمر رغم ذلك أن يدفعوا ربع محصولهم لملك الجيبانيتيين (القتبانيين) (٥٣) . هل معنى ذلك أن مناطق إنتاج المر فى الجنوب العربى كانت تقع ـ كلها ـ على مقربة من قتبان كما يرى البعض ؟ (٥٤) إن حديث بلينى عن أنواع المر لا يوحى بهذا، والأكثر منطقية هو أن ضريبة الربع هذه التى كانت تؤدى لملك قتبان كانت عن المر المعينى (النوع الثانى) الذى يندرج تحت نوعيته المر المنتج من حضرموت وقتبان وأوسان وهى المناطق التابعة لمملكة قتبان كما يبدو من النص ، أما الأنواع الخمسة الباقية من المر ، والتى يصعب تحديد أماكن إنتاجها (باستثناء المر الأفريقى البرى من النوع الأول ، والسامبراكينى ـ خامس الأنواع ـ ربما كان من منطقة ساحلية بأرض تهامة) فالأرجح أنها لم يكن يدفع عنها هذه الضريبة . لكن تلك الأنواع الأخرى من المر والتى تزرع فى أماكن مختلفة من شبه الجزيرة العربية تؤكد ما ذكره بلينى نفسه من أن شجرة المر كانت تنمو فى أماكن عديدة من العربية ـ إما مختلطة مع غابات اللبان أو منفصلة عنها كما يرى آخرون (٥٥). من الواضح من سياق كلام بلينى أن المناطق الرئيسية لإنتاج المر كانت تتركز حول المناطق الواقعة جنوب البحر الأحمر على الساحلين الأفريقى والأسيوى وهما

المنطقتان اللتان تنتجان أجود نوعين من المر : النوع الإفريقى البرى الأول[٥٦] من بلاد سكان الكهوف الإفريقية والنوع الثانى المعينى من مناطق إنتاجه المختلفة فى مملكة قتبان ٠ ولكن هذا لا يعنى أنه لم تكن تُزرع أنواع أخرى أقل جودة من هذين فى أماكن أخرى متفرقة ـ وبصورة أقل كثافة ـ من شبه الجزيرة العربية فى جنوبها وهى الأنواع من الثالث حتى السادس حسبما أوردها بلينى ، وكما أشارت إلى ذلك بعض الشهادات الحديثة[٥٧] ٠

وإذا كان ميناء " موزا " فى زمن " الطوّاف " هو الميناء الوحيد ـ المذكور فى ذلك المؤلّف ـ الذى كانت تُصدَّر منه منتجات كالمر المعينى الفاخر εκλεκτη وزيت المر المكثف στακτη فإن هذا يعنى أنه كان أقرب الموانئ لمناطق إنتاج تلك الأنواع الفاخرة من المر ٠ لكن ربما كان من المفهوم ضمناً ـ حسب الشواهد السابقة ـ أن المر فى أنواعه ودرجاته الأخرى الأقل ربما كان يُصدَّر كذلك ـ بكميات أقل ـ من موانئ أخرى فى جنوب بلاد العرب ، لكنه لم يكن يشكل أحد أهم صادرات تلك الموانئ ـ لا كماً ولا نوعاً ـ ولذلك لم يذكر ضمن صادراتها الرئيسية ٠ وهكذا فإن القول بأن " المصادر الكلاسيكية والبحوث الحديثة تشير إلى أن إنتاج المر كان قاصراً على الركن الجنوبى الغربى من بلاد العرب "[٥٨] قول غير صحيح على إطلاقه وغير دقيق ٠

ـ اللبـــان :

أما عن المناطق المنتجة للبان فقد ورد ذكرها فى مصادر القرن الأول الميلادى على النحو التالى :

فى مؤلف " الطوّاف " يرد ما يلى :

– أنه على بعد حوالى ألفى ستاديون إلى الشرق من ميناء العربية السعيدة (عدن) " يقع ميناء تجارى آخر على الساحل (الجنوبى للجزيرة العربية) هو كانى (قانا) وهو يتبع مملكة اليازوس الأرض المنتجة للّبان ‎..... وفيما وراء قانا تقع العاصمة ساوباثا (شبوة) فى الداخل ، وهى مقر إقامة الملك كذلك . وكل ما ينتج فى المنطقة من لبان يؤتّى به إليها حيث كانت بمثابة مستودع ، وذلك عن طريق الإبل والقوارب المحلية الصغيرة المصنوعة من الأكياس الجلدية ، والسفن [٥٩] .

ـ وبعد " كانى " تنحسر أرض الشاطئ أكثر فأكثر ويعقب ذلك خليج عميق جداً يمتد لمسافة طويلة ويُسمى خليج " ساخاليتيس " وأرض اللبان ، وهى منطقة جبلية وعرة هواؤها ثقيل وضبابية أسفل الأشجار المنتجة للبان. ولكن الأشجار المنتجة للبان هنا ليست ضخمة ولا مرتفعة وهى تفرز اللبان الذى يتجمد على لحائها كما هى الحال بالنسبة لبعض الأشجار لدينا فى مصر التى تفرز الصمغ . ويقوم على جمع وحصاد اللبان عبيد ملكيون وسجناء أُرسِلوا لقضاء فترة عقوبة [٦٠] .

ـ ويقع على هذا الخليج مرتفع هائل وجهته نحو الشرق ويُسمى سياجروس (رأس فرتك) به قلعة لحماية المنطقة وميناء ومستودع لتخزين اللبان [٦١] ..... الخ .

ـ وبعد سياجروس مباشرة يوجد خليج ممتد ينبعج بعمق نحو الساحل، وتقع عمان على مسافة ستمائة ستاديون من طرف هذا الخليج ، وبعدها جبال شاهقة صخرية شديدة الانحدار حيث يعيش أناس فى كهوف لمسافة خمسمائة ستاديون أخرى . وبعد هذه الأماكن يوجد ميناء مخصص لشحن لبان منطقة ساخاليتيس يُسمى ميناء موسخا (خور رورى / على الساحل

العُمانى) ٠٠٠٠٠ وفى مقابل الأقمشة القطنية والحبوب والزيت كان هـؤلاء التجـار يـأخذون مـن الوكـلاء الملكييـن لبانـا مـن تشـكيلة كلهـا مـن منطقـة ساخاليتيس " (٦٢) .

أما بلينى الأكبر فى مؤلفه " التاريخ الطبيعى " فيذكر أنه لم يكن هنـاك من ينتج اللبان باستثناء العربية (يقصد جنوب الجزيرة العربية) وأن اللبـان لم يكن ينمو فى كل مناطقها بل فى الجزء الأوسط من جنوب الجزيرة تقريباً حيث تقع مملكة تسمى Astramitae تابعة (لنفوذ) السبئيين، وعاصمة هذه المملكة هي سابوتا التى تقع على جبل مرتفع ؛ وعلـى بعد ثمانيـة أيـام مـن العاصمة تقع المنطقة المنتجة للبان فى هـذه المملكـة وتُسمى ساريبا ، وهـو اسم يعني بالنسبة للإغريق " السر الغامض" (٦٣) .

(واضح أن المملكة المقصودة التى تقع فيها مناطق إنتـاج اللبـان هـى "حضرموت " وأن عاصمتها سابوتا هى " شبوة " وأن المنطقة المنتجة للبـان هناك والتى يسميها ساديبا فتقع شرق حضرموت فى الأغلب) ٠

وفى فقرة أخرى يذكر بلينى أنه ليـس هنـاك مـن بين العرب بخـلاف هؤلاء (يقصد الحضارمة) من وقع بصره على شجرة اللبان ٠ ولا يسـرى هذا القول على كل (الحضارمة) بل أن عدداً لا يزيد على ثلاثة آلاف أسرة احتفظوا لأنفسهم بهذا الحق الوراثى (زراعة أشجار اللبان ورعايتها وجمـع المحصـول) ولذلـك كـان يطلـق عليهـم المبـاركون ٠ وهؤلاء لا يُسمح لهـم بتدنيس أنفسـهم بجمـاع النسـاء أو (السـير) فـى الجنـازات عندمـا يكونـون مشغولين بحز وشق تلـك الأشـجار للحصـول علـى اللبـان ، ممـا يـؤدى إلـى ارتفاع أسعار اللبان لارتباطها بمفاهيم دينية (٦٤) .

وفى موضع آخر يقول بلينى أنه بعد جمع اللبان كان ينقل بالجمال إلى سابوتا (شبوة) وتفتح لذلك إحدى بوابات المدينة • وكان الجنوح عن هذا الطريق (من قبل أصحاب الجمال المحملة باللبان) يُعدُّ جريمة كبرى فى عرف الملوك • وهناك (فى شبوة) كان الكهنة يأخذون عشوراً (ضرائب صغيرة) لإله يسمونه سابيس – وهى ضرائب تقدر بالمعيار وليس بالوزن – ولا يُسمح بعرض البخور فى السوق قبل أداء هذه الضريبة (٦٥) •

لنحاول الآن أن نستخلص من المعلومات السابقة الواردة فى المصدرين – الطوّاف وبلينى الأكبر – بعض النتائج المحققة حول مناطق إنتاج اللبان وتخزينه واحتكاره ومناطق توزيعه وتصديره •

يتضح من حديث المصدرين حول إنتاج اللبان أن المنطقة الرئيسية لإنتاج اللبان هى مملكة حضرموت التى كانت عاصمتها شبوة (سيرد الحديث عن امتداد ومناطق نفوذ هذه المملكة نحو الشرق لاحقاً فى هذا الجزء) وأن أقرب منفذ للتصدير البحرى للبان لشبوة هى كانى أو قانا ("حصن الغراب " حسب تفسير كاسون للطواف) • ويُذكر فى " الطواف " ان ملك هذه المملكة (حضرموت) يُسمى إليازوس (على الأرجح "العِّز" كما سنرى لاحقاً) • ويتفق المصدران على أن كل لبان المنطقة (المملكة الحضرمية) كان يُجمع فى منطقة معينة من المملكة بعد جمع المحصول من على أشجاره ، هذه المنطقة ذكرها بلينى صراحةً على أنها العاصمة شبوة (سابوتا) التى كان المحصول ينقل إليها بالجمال بل وزاد من درجة اليقين حول هذه النقطة حين أورد أن ملوك حضرموت كانوا يعدون أى انحراف عن هذا الطريق (المؤدى لشبوة) من جانب أصحاب الجمال المحملة باللبان جريمة كبرى • أما مؤلّف كتاب " الطوّاف " فَيُفهم من حديثه أيضاً

أن كل محصول اللبان من مملكـة إليـازوس (حضرمـوت) كـان يذهـب إلـى ساوباثا (شبوة) العاصمة ، ولكـن صياغـة العبـارة فـى " الطـوّاف " جعلـت ليونيل كاسون ـ فى ترجمته للفقرة ٢٧ من الطوّاف وتعليقه عليها ص ١٦٢ ومن قبل فان بيك يرون ــ خطـأ ــ أن منطقـة تجميـع محصـول اللبـان هـى ميناء كانى [٦٦] (حصن الغراب) .

فبالإضافة إلى وضوح ومباشرة نـص بلينـى بخصـوص شـبوة ــ كمـا أسلفنا ـ فإن الأرجح والأقرب للمنطق أن مؤلّـف " الطـوّاف " كـان يقصدهـا كذلك فى نصه ، ولنعد إلى النص لنتأكد من مدى دقـة هـذا الترجيـح . فـى هذه الفقرة ٢٧ من الطوّاف يرد الحديث عن ميناء " كانى " الذى يتبع مملكـة إليازوس (حضرموت) أرض اللبان ، ويذكر جزيرتين قاحلتين قريبتين من هذا الميناء هما جزيرة الطيور (سيخا) وترويلاس (براقـة) الواقعـة علـى بعد مائة وعشرين ستاديون من " كانى " ثم يُورِد ما يلى :

" وفيما وراءها (يقصد كـانى) تقـع العاصمـة سـاوباثا (شـبوة) فـى الداخل (أى بعيداً عن الساحل) والتى هى كذلك مقر إقامة الملك . وكل مـا يُنتج فى المنطقة (مملكة إليازوس) / (حضرمـوت) مـن اللبـان يؤتـى بـه إليها (واضح أنه يقصد ساوباثا أى شبوة) إذ كـانت بمثابـة مستودع ، عـن طريق الإبل والقوارب المحلية المصنوعة من الأكياس الجلدية وعـن طريـق السفن " [٦٧] .

إن تفسير كاسون وفـان بيـك بـأن كـل محصـول اللبـان كـل يُنقـل إلـى "كانى" غير مقبول للأسباب الآتية :

أ ـ أن نص الطواف واضح الدلالة فى إشارته إلى ساوباثا (شبوة) وليس إلى كانى (حصن الغراب) ٠

ب ـ من غير المنطقى أن يُنقل " كل ما تنتجه المنطقة (المملكة) من لبان " إلى ميناء واحد هو " كانى " دون بقية الموانئ والمستودعات الساحلية الأخرى فى مملكة حضرموت مثل سياجروس (رأس فرتك) وموسخا (خور رورى) ٠ كان يمكن أن يكون تفسير كاسون مقبولاً لو أن المحصول المنقول كان محصول المنطقة القريبة من كانى (أى محصول جزء من المملكة) ، أما حين يتعلق الأمر بمحصول المملكة كلها فالأقرب إلى المنطق أن يذهب إلى عاصمة المملكة فى شبوة حيث يقيم الملك ، لا سيما فى حالة وجود احتكار ملكى للسلعة وهو ما تشير القرائن إلى أنه كان موجوداً [٦٨] ٠

جـ ـ قد يثور اعتراض على أن مكان تجميع محصول اللبان هو شبوة من جهة أن وسيلة نقل هذا اللبان كانت الجمال والقوارب الصغيرة والسفن، وهى وسائل نقل إلى ميناء وليس إلى مكان داخلى مثل شبوة ٠

وللرد على هذا الاعتراض الأخير نقول أنه إذا صحّ كلام بلينى من أن شبوة تبعد مسافة ثمانية أيام عن (أقرب ـ فيما أتصور) مناطق إنتاج اللبان (إلى الشرق والجنوب الشرقى كما سيتضح) فمعنى هذا أن مناطق إنتاج اللبان (الممتدة لمسافة كبيرة نحو الشرق على خليج ساخاليتيس الذى سنتحدث عنه لاحقاً وعن مدى امتداده والذى ورد ذكره فى فقرات الطواف المقتبسة أعلاه) كانت تبعد مسافات كبيرة عن شبوة كان أقلها حوالى ثمانية أيام ٠ هذا ربما يعنى أن الجمال كانت تنقل اللبان من مناطق إنتاجه القريبة نسبياً بطريق البر إلى شبوة مباشرة ٠ أما مناطق الإنتاج الأبعد نسبياً فربما

كان لبانها ينقل بالبحر بالقوارب الصغيرة أو السفن (حسب المسافة) من أقرب نقطة لمناطق الإنتاج على الساحل الحضرمى (ساحل مملكة حضرموت) إلى أقرب نقطة ساحلية على هذا الشاطئ إلى العاصمة شبوة فى الداخل • هذه النقطة الساحلية الأقرب الى شبوة (فى مملكة حضرموت) هى بالتأكيد ميناء كانى (حصن الغراب) الذى كانت تنتقل إليه حمولات اللبان من مناطق الإنتاج • لكن " كانى " لم تكن – فى هذه الحالة – المحطة النهائية التى يقطعها محصول اللبان على القوارب والسفن ، بل كانت المحطة قبل الأخيرة إذ كانت الجمال تنقل اللبان الذى تم تفريغه فى " كانى" من الأخيرة إلى شبوة حيث المستودعات الملكية هناك •

هذا التفسير يتفق وما ورد عند بلينى من أن اللبان كان ينقل بالجمال إلى شبوة وأن إحدى بوابات المدينة كانت تفتح لهذا الغرض ، وكانت هذه الجمال تنقل اللبان إما من مناطق الإنتاج إلى شبوة مباشرة أو من " كانى " – حيث اللبان الذى أتى إليها بالبحر كما أوضحت – إلى شبوة • وبعد وصول المحصول كله إلى شبوة حيث المستودعات الملكية والموظفون الملكيون المنوط بهم مسألة إدارة الاحتكار الملكى يبدو أنه كان يتم حصر كميات محصول اللبان ومنح المعابد حصتها (عشورها) من اللبان التى أشار إليها بلينى ، وبعد ذلك ربما كان المحصول يوزع بطريقة مركزية ومحسوبة من المستودعات الملكية المركزية فى شبوة إلى منافذ وموانئ بيعه وتصديره البرية والبحرية •

وإذا كان بلينى قد أوجز فيما يتصل بمناطق إنتاج اللبان فذكر أنها تبعد مسافة ثمانية أيام من شبوه وأن ثلاثة آلاف عائلة قد تخصصت بصورة وراثية فى حصاد أشجار اللبان والعمل فيها وأُطلق عليهم المباركون ، فإن " الطوّاف " قد أفاض نسبياً فى الحديث عن مناطق الإنتاج وظروفه وموانئ

التخزين والتصدير كما رأينا فى الفقرات المقتبسة عنه أعلاه . فقد ذكر هذا المؤلف معلومات عن " خليج ساخاليتيس " الذى هو أرض اللبان وعن ميناء ومستودع سياجروس (رأس فرتك) حيث يُخزن لبان هذه المنطقة ، وبعدها بحوالى ألف ومائة ستاديون * (فى نهاية " خليج عُمان " كما أسماه الطواف أو " خليج القمر " الحالى شرق رأس فرتك) يوجد ميناء موسخا (خور روري قرب صلالة على ساحل ظفار غرب سلطنة عمان) حيث يتم تصدير وتجارة لبان منطقة الساخاليتيس ، بالإضافة إلى ميناء كانى (حصن الغراب) المقابل لشبوة على الساحل الحضرمى الغربى والذى سبق الحديث عنه .

ونأتى الآن للحديث عن " خليج ساخاليتيس " هذا كما ورد عند " الطوّاف " الذى حدد بدايته من جهة الغرب بأنه ذلك الخليج العميق الذى يعقب أرض الشاطئ المنحسرة بعد ميناء " كانى " (ربما بدءاً من المُكللا الحالية على الساحل فى وادى حضرموت) ، ثم يحدد مؤلِّف " الطوّاف " ـــ بصفته تاجر وملاحاً ـ أهم المعالم التجارية على ساحل هذا الخليج الطويل الممتد επι πολυ παρεκτεινων فيذكر سياجروس (رأس فرتك) بصفتها مرتفع هائل على هذا الخليج به قلعة لحماية المنطقة وميناء ومستودع لتخزين اللبان ، وبعدها يذكر خليجاً عميقاً منبعجاً فى الساحل هو خليج عُمان ـــ حسب تسمية الطواف ـ تبلغ المسافة بين طرفيه ستمائة ستاديون (خليج القمر الحالى) ومن بعده بخمسمائة ستاديون أخرى (ألف ومائة ستاديون من رأس فرتك) " يوجد ميناء مخصص لشحن لبان منقطة

---

* الـ " ستاديون " وحدة إغريقية قديمة من وحدات قياس الطول تبلغ حوالى ٦٠٧ قدماً انجليزياً أى أقل قليلاً من مائتى متر أو ثُمن ميل أو خُمس كيلومتر .

ساخاليتيس ويُطلق عليه ميناء موسخا " • وفيما وراء هذا الميناء لمسافة ألف وخمسائة ستاديون أخرى تقع (فى الداخل) سلسلة جبلية تمتد (نحو الشرق) حتى منطقة تسمى أسيخون يقابلها على الشاطئ سبع جزر يسميها جزر زنوبيوس (جزر كوريا موريا الحالية) وبعدها تمتد بلد أخرى أجنبية لا تنتمى لنفس المملكة أى مملكة إليازوس (حضرموت) بل تنتمى لبلاد الفرس[٦٩] •

معنى الكلام السابق أن أقصى الحدود الشرقية لمملكة حضرموت ــ حسب وصف الطوّاف ــ كان المنطقة الداخلية المقابلة لجزر كوريا موريا في سلطنة عمان الحالية ، وأن منطقة الساخاليتيس كانت تمتد من شرق كانى (حصن الغراب) نحو الشرق حتى ميناء موسخا ــ على الأقل ــ الذى كان لبان هذه المنطقة يشحن منه [٧٠] ، رغم تسمى المنطقة الساحلية الواقعة قبل "موسخا" بمسمى محلى هو " خليج عمان " ، بل وربما كانت منطقة الساخاليتيس تمتد أكثر من موسخا (خور رورى) نحو الشرق حتى نهاية حدود مملكة اليازوس (مملكة حضرموت) على الساحل وفى الداخل قبالة جزر كوريا موريا •

ولكن يرى بعض العلماء أن يطلميوس الجغرافى والفلكى السكندرى من القرن الثانى الميلادى قد حدد منطقة ساخاليتيس ــ أرض اللبان ــ بأنها تقع إلى الشرق من سياجروس (رأس فرتك) على العكس من جغرافى سابق له هو مارينوس الذى يرى أن هذه المنطقة تقع إلى الغرب من رأس فرتك[٧١] وعلى العكس كذلك من فهم البعض الخاطئ للتحديد الجغرافى للمنطقة من قبل مؤلف " الطوّاف " على أنها تمتد من شرق " كانى " (حصن

الغراب) حتى سياجروس (رأس فرتك) أى الى الغرب من سياجروس كما وصفها مارينوس[٧٢] .

فى الواقع ان بطلميوس الجغرافى لم يحدد منطقة " الساخاليتيس " بأنها تقع إلى الشرق من سياجروس كما فسّره أو فهمه هؤلاء العلماء بطريق الخطأ ، بل أن وصفه الجغرافى لهذه المنطقة يكاد يتطابق مع التحديد الذى أوردناه قبل قليل عند مؤلِّف " الطوّاف " ، ولكن العلماء الذين قالوا بوجود تناقض واختلاف بين تحديد المصدرين للمنطقة لم يقرأوا وصف بطلميوس القراءة الدقيقة والصحيحة فيما أعتقد ٠ صحيح أن بطلميوس صنّف مناطق "أرض حضرموت" من الغرب إلى الشرق وجعلها تبدأ بمنطقة تُسمَى " مدينة ايبيسما Ηβισμα πολις " وتنتهى فى الشرق بـ " رأس سياجروس Συαγρος ακρα " ، ثم بدأ الفقرة التالية بعد نهاية هذه الفقرة مباشرةً ـ أى بعد الحديث عن " رأس سياجروس " ـ بالحديث عن إقليم " الساخاليتين" فى فقرة مستقلة تحدث فيها عن مواقع هذا الإقليم ٠ من هنا ربما حدث الخلط الذى ذهب إليه العلماء المشار إليهم فذكروا إن بطلميوس قد أوضح صراحةً أن " الساخاليتيس " تقع بعد " سياجروس " ٠

لكن بنظرة أعمق قليلاً إلى نص بطلميوس ندرك أن الأمر لم يكن كما ذهب هؤلاء العلماء إلى فهمه :

ففى حديث بطلميوس عن " أرض حضرموت " بجعل أول مناطقها من الغرب وهى " مدينة ايبيسما " تقع على خط طول هو ٨٢ وخط عرض ٣/٤ ١١ وآخر هذه المناطق وهى " سياجروس " فى الشرق على خط طول ٩٠ وخط عرض ١٤ ٠ أما مواقع إقليم " الساخاليتيين " فتبدأ من الغرب بموقع يُسمى " قرية ميتاكون " على خط طول ٨٨ وخط عرض ١/٢ ١٦

وتنتهى فى الشرق بموقع يُسمى " مرتفع كورودابـون " الـذى يقـع علـى خـط طول ٩٣ وخط عرض ١/٤ ٢٠ (٧٣) * .

مـن هـذا التصنيـف أعـلاه يتضـح أن بطلميـوس قـد أورد اقليـم "ساخاليتيس" بعد مواقع " أرض حضرموت" وآخرهـا سياجروس كنـوع مـن الترتيب الوصفى لمادته ، وليس بحسب الموقـع الجغرافى المحدد بخطـوط الطـول والعـرض . فمن خـلال ملاحظتنـا لمواقـع " أرض حضرمـوت " والواقعة بين خطى طول ٨٢ ، ٩٠ وخطى عرض ٣/٤ ١١ ، ١٤ ، ومواقـع " الساخالتيين " الواقعـة بيـن خطـى طـول ٨٨ (أو بـالأحرى ١/٣ ٨٧ حيث أورد بعـد الموقـع الأول موقعيـن آخريـن علـى خطـى طـول ١/٣ ٨٧ ، ١/٢ ٨٧)، ٩٣ وبيـن خطـى عـرض ١/٢ ١٦ ، ١/٤ ٢٠ نـدرك أن بطلميـوس أورد تحت الفقرة المعنونة (مواقع) " أرض حضرمـوت " المواقـع الساحلية (الجنوبية) من مملكة حضر مـوت ، ثـم تلاهـا بمواقـع " السـاخاليتين" وهـى المواقع الداخلية (الشمالية) من المملكة وخصوصـاً منهـا المنـاطق الداخليـة المقابلة لخليج " الساخاليتيس " كما ورد عند " الطوّاف " وهى (أى المنـاطق الداخلية) ما أسماه بطلميوس هذه المرة باسم الساخاليتيس .

ولمزيد من تأكيد هذا الترجيح فإننـا نجـد أن مينـاء " كـانى " يقـع عنـد بطلميوس على خط طـول ٨٤ (علـى السـاحل الحضرمـى) فـى حيـن يبـدأ موقع من منطقة " الساخاليتيين " عند خط طول ١/٣ ٨٧ (لكـن فـى المنطقـة الداخلية من حضرموت) وآخـر مواقعهـا يقـع علـى خـط طـول ٩٣ (وهـى منطقة طويلة وممتدة) فمعنى ذلك أن كلاً مـن " الطـوّاف " و " بطلميـوس "

---

* هذا التحديد بخطوط الطول والعرض هو حسب رؤية بطلميوس الفلكي والجغرافي حسب معايير عصره طبعاً ، وليست خطوط الطول والعرض الحالية .

قد جعلا منطقة " الساخاليتيس " تمتد من شرق ميناء " كانى " (حصن الغراب) حتى آخر حدود مملكة حضرموت فى الجزء المقابل لجزر زنوبيوس (كوريا موريا) التى تبدأ بعدها منطقة أجنبية تابعة للفرس ٠ الفارق ببساطة هو أن " الطوّاف " أطلق مسمى " الساخاليتيس " على الجزء الساحلى من هذه المنطقة ــ بصفته تاجراً وملاحاً يتعامل مع الموانئ والمناطق الساحلية ــ ولذلك أسمى هذا الامتداد الكبير " خليج ساخاليتيس " ، أما بطلميوس فقد أطلق مسمى أرض " الساخاليتيس " على " المناطق الداخلية" لنفس هذا الامتداد السابق وهى المناطق المنتجة للبان فى مملكة حضرموت ٠ الأصح ــ فى تقديرى ــ هو تحديدى بطلميوس الجغرافى ، بمعنى أن المناطق الداخلية المنتجة للبان فى مملكة حضرموت حسب الامتداد الذى ذكره بطلميوس هى التى كانت تسمى فى الأصل " أرض الساخاليتيس " ثم صارت المنطقة الساحلية المقابلة لها تسمى باسم المنطقة الداخلية ، أى " خليج الساخاليتيس ، إجمالاً حتى وإن اكتسبت مناطق منه مسميات محلية كخليج عمان مثلاً ٠

هذا التفسير ــ خصوصاً لوصف بطلميوس الجغرافى ــ يفسر عبارة وردت فى الكتاب الأول لبطلميوس يقول فيها " إن مارينوس حدد خليج ساخاليتيس بأنه يقع على الساحل الغربى من رأس سياجروس ، ولكن كل من يبحرون فى هذه البقاع يجمعون معى أنه (يمتد) إلى الشرق من سياجروس وأن الساخاليتيس منطقة عربية ومنها اكتسب خليج ساخاليتيس اسمه"[٧٤] (الكتاب الأول ــ فقرة ١٧) ٠ أعتقد أنه على ضوء الوصف الجغرافى التفصيلى لبطلميوس لمنطقتى " أرض حضرموت " Αδραμιτων χωρας ثم منطقة " الساخاليتيين " Σαχαλιτων " (فى

الكتاب السادس ـ الجزء السابع ـ فقرتى ١٠ ، ١١) فإن بطلميوس يعنى فى فقراته السابقة أن خليج الساخاليتيس لا ينتهى شرقاً عند رأس سياجروس وبالتالى لا يقع غربها فقط ، بل يمتد كذلك إلى الشرق من هذه النقطة بإجماع من أبحروا فى تلك البقاع ، أى أنه لم يقصد القول أنه يقع إلى الشرق ـ فقط ـ من رأس سياجروس .

لكن ما تزال هناك مشكلة في وصف بطلميوس للمنطقة الساحلية من "أرض حضرموت " وهى أنه جعل " سياجروس " (التى حدد معظم العلماء موقعها بـ " رأس فرتك ") نقطة النهاية للساحل الحضرمى ، فى حين رأينا فى " الطوّاف " أن آخر المواقع الهامة على هذا الساحل هى " موسخا " (خور رورى) . هل معنى هذا ان بطلميوس لم يذكر " موسخا " فى وصفه الجغرافى لحدود منطقة حضرموت الساحلية ؟ بلى أوردها وتحت اسم " ميناء موسخا " كما أورد قبلها " ثياليلا " وهى صلالة الحالية فى ظفار قبل " خور رورى " أو موسخا القديمة . معنى هذا أن بطلميوس قد أخطأ فى تحديد موقع " سياجروس " وبدلاً من أن يجعلها قبل صلالة وموسخا جعلها تقع بعدهما . إذن فقد ذكر بطلميوس الجغرافى موانئ مملكة حضرموت على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية وهى كانى وسياجروس وموسخا ولكنه أخطأ ـ على الأرجح ـ فى تحديد موقع سياجروس .

ومن الأمور الطريفة التى ألقت مزيداً من الضوء على موقع ساخاليتيس وميناء " موسخا " (خور رورى) أن بعثة أمريكية تابعة للمؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان قامت فى أعوام ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٨، ١٩٦٢ بحفائر فى موقع " خور رورى " وكان من بين اكتشافاتها من هذا الموقع ستة نقوش بالخط المسند تتحدث عن تأسيس مدينة أو ميناء

فـى منطقـة " سـكلان " (الاسـم العربـى للإقليـم الـذى يُكتـب " سـاخاليتيس " باليونانية كما رأينا عند الطوّاف وبطلميوس) ٠ هذه النقوش نشرتها جـاكلين بيرين فى العـدد الأول مـن " مجلـة دراسـات عمـان " عـام ١٩٧٥ (هـامش رقم٧٢) ٠

تتحـدث هـذه النقـوش عـن إقامـة أو إنشـاء مدينـة تُسـمى " سـمارام " (بمعنى " المبتغى السامى " من كلمتى سما يسمو ، ورام يروم (٧٥) أى يبتغى وينشد ، وقد وردت فى خريطة فى مقدمة كتاب الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الانصـارى عـن حفـائر " الفـاو " باسـم " سـامراء ") فـى أرض " سـكلان " بأوامر من الملك " العَزّ يالوط " ملك حضرموت أصدرهـا إلـى قـائد الجيش الحضرمى ويُدعى أبياتاع صالحين بن ذمر على ، وأشرف هذا الأخير علـى كل مراحل التنفيذ ٠ وكتب هذه النقوش موظفون ملكيون أسندت إليهـم مهـام مثل تنظيم موقع المدينـة الجديـدة وإمدادهـا بالميـاه (النقش الأول) وبالبنـاء والتشييد (النقش الثانى) ، كما قام بعـض المسـتوطنين الجـدد بكتابـة نقـوش أخرى مثل النقش الرابع الذى كتبه جماعة من النساجين ٠

وهذه النقوش تكاد تسير على وتيرة واحدة إذ يذكر كاتب النقـش اسـمه (أو أسماءهم لو كـانوا مجموعـة) ، كمـا يذكـرون مواطنهـم الأصليـة التـى قدموا منها إلى هذا المكان الجديد وقد أتى معظمهم ـ إن لم يكن كلهم ـ من العاصمـة " شـبوة " ورُحّلـوا عنهـا بـأوامر ملكيـة لتوطيـن المدينـة الجديـدة "سمارام" ٠ ويُذكر فى نقشين من هذه النقوش (النقشـين الثـالث والرابـع)(٧٦) أن المستوطنين الجدد كانوا ينتمون إلى أحد بطون قبيلة حـاتم فـى شـبوة هـو بطن عميس حيث يذكر فى النقشين حرفياً أنهم من أهل (عميـس ثلـث حـاتم ويضمون ذلك الجزء الذى اختير للتهجير) ٠

وهناك بعض التعليقات العامة للربط بين محتويات هذه النقوش وما ورد عند " الطوّاف " و " بطلميوس " . أول هذه الملاحظات هو أن مدينة "سمارام" الجديدة التى أمر الملك الحضرمى " العَزّ يالوط " ـ من القرن الأول ق.م. حسب تأريخ جاكلين بيرين لهذه النقوش من خلال خطوطها ـ تقع فى موقع (خور رورى) أو موسخا التى وردت عند " الطوّاف " ، وورد اسمها عند بطلميوس رغم أنه لم يحدد موقعها بدقة كما رأينا أعلاه . إذن فإن "سمارام" هى نفسها " موسخا" (الأولى التسمية العربية والثانية اليونانية القديمة) ميناء تصدير اللبان لمنقطة " سكلان " (ساخاليتيس) المنتجة للبان . والملاحظة الثانية هو اسم الملك الحضرمى من القرن الأول ق.م. الذى أمر بإقامة المدينة وهو " العَزّ يالوط " ومنه يتضح أن اسم "العَزّ" كان اسماً مألوفاً فى العائلة الملكية الحضرمية حينذاك ، إذ نجد فى مؤلف " الطوّاف " ـ من حوالى منتصف القرن الأول الميلادى ـ أن مملكة حضرموت وعاصمتها شبوة مقر إقامة الملك الحضرمى كانت تُعرف بـ"مملكة إليازوس " والتى تعنى بلا شك " مملكة العَزّ " . والملاحظة الثالثة هو أن الموظفين الملكيين الذين أسندت إليهم بعض مهام تعمير وتخطيط المدينة الجديدة يصفون أنفسهم فى هذه النقوش (النقشين الأول والثانى) بأنهم " عبد العَزّ يالوط ملك حضرموت " . هذه الإشارة فى النقوش تفسر ما سبق أن ذكر عند " الطوّاف " من أن القائمين على جمع لبان مناطق الساخاليتيس (السكلان) كانوا من العبيد الملكيين وممن أُرسِلوا لقضاء فترة عقوبة فى هذه المناطق (الفقرة ٢٩) . من خلال نقوش " سمارام" يبدو أن كل من كان يكلف بمهام من قبل الملك كان يُعَدُّ من " عبيد الملك " كما رأينا أعلاه ، بمعنى أنهم ينفذون أوامر الملك تنفيذاً دقيقاً وصارماً أكثر من دلالتها على العبودية بمعناها الحرفى . أما الإشارة عند " الطوّاف " إلى أن بعضاً

من جامعى لبان الساخاليتيس كانوا ممن يقضون فترة عقوبة هناك فربما ارتبطت من طرف خفى ببعض الإشارات الواردة فى بعض نقوش "سمارام" • فمن المحتمل أن يكون مؤسسو هذه المدينة الجديدة قد هُجّروا قسرا من موطنهم الأصلى من بطن عُميس فى قبيلة حاتم فى شبوة ، لا سيما أن هناك كلمات وردت فى ختام بعض هذه النقوش ــ بصورة منفردة منفصلة عن السياق ـ تعبر عن المعاناة مثل كلمة " أُذيت " فى ختام النقش الثالث ، وكلمة " يشقى " فى النقش الثامن •

(ب) التوابل غير العربية (القرفة) : مناطق إنتاجها ومراكز تصديرها:

من العرض السابق نجد أن مناطق الجنوب العربى كانت تنتج نوعين من الطيوب هما المر الذى كان أهم مراكز إنتاجه وأجود أنواعه تتركز فى أقصى الجنوب الغربى للجزيرة العربية حول قتبان وما حولها وكانت أهم موانئ تصديره وتجارته هو ميناء موزا (المُخا) بالإضافة إلى زراعته ــ بكثافة وجودة أقل ـ فى مناطق مجاورة إلى الشمال (على ساحل تهامة ؟ فى معين) وإلى الشرق (ربما فى أقصى غرب حضرموت) ، والنوع الآخر وهو اللبان الذى كان ينمو فى مملكة حضرموت ولا سيما فى منطقة السكلان من شرق كانى (حصن الغراب) حتى أقصى الحدود الشرقية لهذه المملكة فى منطقة ظفار التى كانت تنتج أجود أنواع اللبان (٧٧) وكان لُبان حضرموت يصدر بحرياً عبر مينائى كانى (للتجار القادمين من الغرب على الأرجح) وموسخا أو خور رورى (للتجار القادمين من الشرق أى من الهند)(٧٨) .

من هنا فإن الطيوب العربية ومناطق إنتاجها ومراكز تصديرها أصبحت واضحة محددة الملامح . لقد بدأت معرفتنا بطيوب جنوب الجزيرة العربية ـ عبر كتابات الكُتاب الكلاسيكيين المبكرين من مؤرخين وعلماء وجغرافيين مثل هيرودوت وثيوفراستوس وإراتوسثنيس واجاثارخيديس من القرن الخامس حتى القرن الثانى ق.م. ـ مختلطة مشوشة إذ نسبوا إلى هذه المنطقة إنتاج كافة أنواع الطيوب والتوابل . ورغم أهمية وقيمة ما أوردوه إلا أنه ضم خليطاً من المعلومات منها ما هو صحيح وما هو غير صحيح. وحتى من نقلوا عنهم من الجغرافيين فى القرن الأول ق.م. مثل ديودوروس الصقلي وسترابون لم يدققوا فيما نقلوه فى هذا الصدد وتأثروا ببعض المعلومات الخاطئة المنقولة . فمثلاً نجد سترابون فى القرن الأول ق.م. (أواخر ذلك القرن) لا يزال يذكر ـ نقلاً عن إراتوسثنيس ـ أن "قتبان تنتج اللبان فى حين تنتج حضرموت المر ويقومون بمقايضة هذه السلع وغيرها من الطيوب مع التجار " (4 .4 . 16) وهى عبارة تناقض تماماً كل المعلومات الثابتة والموثقة فى المصادر عند الطوّاف وبلينى وبطليموس وكل الأبحاث الحديثة فى هذا الشأن والتى تثبت عكس هذه المقولة . واضح بجلاء إذن أن سترابون قد أخطأ فى هذا الشأن وإن كان يبدو أن خطأه كان سهواً غير مقصود نتج عنه إبدال فى مواقع أسماء الأماكن أو أسماء الطيوب المعنية فى النص كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء[٧٩] .

لكن ما لا يمكن أن يكون خطأ غير مقصود هو ذكره فى نفس العبارة السابقة أن قتبان وحضرموت كانتا تقومان بمقايضة هذه السلع و " غيرها من الطيوب الأخرى και τα αλλα αρωματα " مع التجار . إن هذه

العبارة تدل على الخلط الذى وقع فيه سترابون من أن الجزيرة العربية كانت تنتج أنواعاً أخرى من الطيوب بجانب المر واللبان ٠ ربما فسر البعض هذه " الطيوب الأخرى " بأنها طيوب وسيطة لا تنمو فى الجزيرة العربية كان العرب يأتون بها من مناطق أخرى كالهند أو شرق أفريقيا كما سنرى ، لكن هذا التفسير ينتفى حين نجد سترابون مقتنعاً ـ فى نفس الموضع ـ بأن بلاد العرب كانت تنتج أحد أنواع القرفة (الكينامون) حين يذكر أن " الرحلة التالية بعد تخطى الخليج (يقصد البحر الأحمر) باتجاه المناطق المنتجة للمر نحو الجنوب والشرق حتى المناطق المنتجة للكينامون أى إلى مسافة حوالى خمسة ألاف ستاديون " [٨٠] ٠ صحيح أنه ذكر أن النوع الأدنى من القرفة ـ وهو الكاسيا ـ ربما أتى أغلبه من الهند [٨١] ، لكن هذا لا ينفى أنه كان مقتنعاً فى العبارة السابقة بأن النوع الأفضل (الكينامون) كان ينمو فى بلاد العرب ، ولكنه ذكر أيضاً أنه ينمو فى الهند واثيوبيا ٠

إذن فالصورة لم تكن واضحة حتى لدى سترابون من أواخر القرن الأول ق٠م٠ وإن كان قد أصاب فى كثير من حديثه عن المر واللبان وخصوصاً فى الجزئية التى ذكر فيها أن أجود أنواع اللبان كانت تأتى من المنطقة المجاورة لبيرسيس (أى من إقليم ظفار فى أقصى شرق حضرموت)٠ أما فى القرن الأول الميلادى ومع ازدياد نطاق التجارة المباشرة بين الإمبراطورية الرومانية من ناحية وبين بلاد العرب والهند وشرق أفريقيا من ناحية أخرى فإن المعلومات الأكثر تحديداً ودقة بدأت فى الازدياد أكثر فأكثر وبدأ الخلط فى معلومات الكُتّاب الكلاسيكيين المبكرين يتبدد إلى حد كبير كما رأينا عند الطوّاف وبلينى وتحديدهما لسلع كل منطقة على حدة ٠ كما أن بطلميوس من القرن الثانى أصبح أكثر تحديداً لهذه

المناطق ومواقعها ومنتجاتها عن ذى قبل • فمثلاً لم ترد ضمن صادرات العرب فى مؤلف الطواف القرفة بنوعيها (الكينامون والكاسيا) كما أن بلينى ينفى صراحةً وجود مثل هذه المنتجات فى بلاد العرب (٨٢) •

لكن هناك سؤالاً يفرض نفسه فى هذا الصدد وهو : إذا كانت القرفة (بنوعيها) لم تكن من حاصلات جنوب الجزيرة العربية فما الذى ربطها بهذه المنطقة فى كتابات الكُتّاب الكلاسيكيين ؟ كما أن هناك سؤالاً آخر وهو: إذا كان هيرودوت قد ألمح إلى أن أحد أنواع القرفة (الكينامون) كان ينمو حيث تربى الإله ديويسوس (فى الهند) وإذا كان سترابون قد أشار إلى أن الهند هى من مواطن القرفة بنوعيها فلماذا لم ترد أية إشارة فى كتاب الطواف تدل على أن أيّاً منهما كان من صادرات الهند ؟

إن مؤلف الطواف قد قرن الكاسيا ــ فقط ــ ببعض موانئ الساحل الشرقى لإفريقيا (فى شمال الصومال قبالة خليج عدن) وخصوصاً ميناء يُسمى موسيللون Μοσυλλον الذى يذكر أنه كان يصدر كميات كبيرة من الكاسيا لدرجة أن كان يتطلب سفناً أكبر (٨٣) (من السفن المعتادة فى تلك الأنحاء) لشحن كميات الكاسيا من هناك • هل معنى ذلك ان هذا النوع من القرفة كان من حاصلات مناطق ذلك الساحل الإفريقى الذى كان ينتج أجود أنواع المر (أنظر الجزء الخاص بالمر) كما كان ينتج اللبان (٨٤) وهما من منتجات وصادرات ذلك الساحل ؟

يحاول ليونيل كاسون الإجابة عن السؤال السابق بالقول بأن الكينامون والكاسيا ليسا نوعين مختلفين من أنواع النبات وإنما هما درجتان من درجات القرفة وأن الكينامون أجود من الكاسيا ، وأن القرفة بنوعيها تنتمى إلى عائلة نباتية تسمى عائلة الغار ويجزم كاسون أن هذه العائلة النباتية تكون دائماً فى

حاجة إلى الرطوبة ولا يمكن أن تصمد لفترات الجفاف فى شبه الجزيرة العربية أو اثيوبيا أو الصومال ، وبالتالى لا يمكن أن تكون القرفة بأنواعها من حاصلات هذه المناطق [٨٥] . ويقول كاسون أن مصدر القرفة بنوعيها هو جنوب شرق آسيا وجنوب الصين [٨٦] وأنها كان تُشحن من مناطق إنتاجها هذه إلى الهند التى كانت بدورها تبعث جهة الغرب كل ما لا تحتاجه (أو يفيض عن حاجتها) محلياً (أى نحو ساحل شرق أفريقيا مثلاً) . ويرى كاسون أن التفسير الأمثل لجهل الغربيين (الكتاب الكلاسيكيين) بالموطن الأصلى للقرفة بنوعيها هو أن السفن التى كانت تشحن القرفة من الهند إلى شرق أفريقيا لم تكن يونانية أو رومانية بل سفن عربية أو هندية حرص ملاكها وملاحوها على أن يتكتموا السر الخاص بمصدر هذه السلع لكى يستمر تحكمهم فى هذه التجارة المربحة . ويذكر كاسون أن مصادر القرن الأول الميلادى كذلك كانت تجهل مصدر القرفة، ويرى مثلاً أن بلينى الذى كان مدركاً أن القرفة بنوعيها لم تكن تنمو فى بلاد العرب كان مقتنعاً بأن مصدرها هو الساحل الإفريقى خصوصاً فى الصومال وإثيوبيا الحاليتين . كما يذكر أن حديث الطواف عن تصدير القرفة من الموانئ الصومالية القديمة المذكورة أعلاه (هامش ٨٣) ينحو نحو رأى بلينى خاصة بالنسبة للكاسيا . ويرى كاسون وعلماء آخرون فى ذلك دليلاً على مدى ذلك الحصار من السرية الذى ضربه التجار العرب والهنود والأفارقة على تجارة القرفة ومصدرها الأصلى [٨٧] .

ربما كان تفسير كاسون وغيره حول مصدر القرفة بنوعيها وكيفية انتقالها إلى سواحل شرق أفريقيا صحيحاً . لكن من الصعب تصديق أنه كانت لا تزال هناك أسرار فى هذه التجارة الشرقية بين الهند والعرب وشرق

إفريقيا حتى القرن الأول الميلادى بعد أن صار استخدام الرياح الموسمية فى هذه التجارة أمراً شائعاً ومألوفاً بين التجار والبحارة اليونان والرومان والمصريين الذين كانوا يضربون فى عرض المحيط الهندى إلى الهند ذهاباً وإياباً . الأرجح - من وجهة نظرى - أن التجارة بين شرق أفريقيا وموانئ الهند فى هذه التوابل كانت قديمة قبل ظهور اليونان والرومان فى المحيط الهندى . ويبدو أن سواحل وموانئ شرق أفريقيا قد مارست نوعاً من " التخصص " فى تجارة الطيوب والتوابل سواءً ما كان ينتج منها محلياً كالمر واللبان كما رأينا أعلاه أو التى تُجلب عبر الهند كأنواع القرفة وذلك حتى تكتمل حلقة التخصص فى بيع معظم أنواع الطيوب والتوابل للتجار القادمين إليها . وليس من المنطقى أن يجهل كل من بلينى ومؤلِّف الطواف مصدر القرفة فى القرن الأول الميلادى ويعتبرونه فى مناطق اثيوبيا والصومال القديمة فى حين ألمحت مصادر أقدم كثيراً مثل هيرودوت من القرن الخامس ق.م. وسترابون من القرن الأول ق.م. إلى الهند كمصدر لهذه التوابل (القرفة بنوعيها الكينامون والكاسيا) وهى معلومات قريبة من الصواب على اعتبار أن موطن القرفة فى جنوب شرق آسيا ومن بين مواطنها جزيرة سيريلانكا وجنوب غرب الهند (انظر هامش ٨٦ أعلاه) . إذا كان الأمر كما فسَّرتُ أعلاه فما تفسير ما يبدو تناقض بين وجهة النظر هذه وبين ما يقوله كاسون من أن بلبينى والطواف اعتقدا بأن مناطق الصومال واثيوبيا القديمة كانت تنتج القرفة ؟

أتصور أن تفسير كاسون لمعلومات بلينى والطواف فى هذا الصدد تفسير غير دقيق وأنهما ربما لم يقصدا ما ذهب إليه كاسون فى تفسيره . لذلك سنحاول أن نقرأ ما ذُكر عند كل منهما قراءة متأنية وما يمكن أن

يُستشف من دلالات من هذه القراءة ٠ فـي هـذا الصـدد يـروى بلينـى بعـض القصص الخرافية التى شاعت فى الزمن القديم عن أنواع القرفة (الكينـامون والكاسيا) وكيفية الحصول عليها من أعشاش الطيور ـ خصوصاً العنقاء ـ فى المنطقة التـى تربـى فيهـا الإلـه ديونيسـوس (Liber pater فـى النـص اللاتينـى لبلينـى) وعـن نمـو الكاسـيا فـى المسـتنقعات تحـت حمايـة خفـافيش مرعبـة وثعـابين مجنحـة ، ويذكـر أن هـذه القصـص الخرافيـة قـد اخـترعت بغرض رفـع أسـعار تلـك السـلع : His commentis augentes rerum pretia ويتحـدث عـن الروائـح المتصـاعدة من كافـة أرجـاء شـبه الجزيـرة العربية بصورة جماعية مختلطة من جراء انعكاس أشعة الشمس فىالظهيرة، وأن هذه الروائح الممتزجة ذات العبير كـانت أول رسـول يحمل أنبـاء عن بلاد العرب إلى أساطيل الإسكندر الأكبر فى البحر ٠ (٨٨)

إن بلينـى يرفـض هـذه القصـص الخرافيـة كمـا رأينـا أعـلاه ، ويكـرر رفضه لهذه الروايات ، وفى هذا الإطار يأتى حديثه عـن مسـألة نمـو القرفـة فى إثيوبيا على النحو التالى :

" إن كل هذه الروايات (المذكورة أعلاه) غير صحيحـة ، مثلهـا فـى ذلك مثل (القول) بأن الكينامومـوم ـ وهو نفسه الكينامون ـ ينمو فى إثيوبيـا التى ترتبط مع سكان الكهوف (Trogodytes الذين كانوا يقطنـون سـواحل البحر الأحمر وبعض مناطق اثيوبيا والصومال) بصلة النسـب والتـزواج ٠ إن هؤلاء التجار يأتون به من جيرانهم عبر البحار الشاسعة على متن السـفن التى لا تسيرها دفة ولا تدفعها مجاديف ولا تسـحبها أشـرعة وليس لهـا مـن سند من أى اختراع علمى ، وإنما يقف الإنسان وجرأته بديـلاً عـن كـل هـذه الأشياء ٠ وبالإضافة إلى ذلك فإنهم يختارون الإبحـار فـى الشـتاء فـى وقـت

الانقلاب الشتوى (عندما يكون النهار أقصر ما يمكن) وتندفع الرياح الشرقية بأقصى اندفاعها • هذه الرياح تدفع بهم فى خط مباشر (طريق مستقيم) عبر الخلجان وتأتى بهم للدوران حول رأس يتجه غرباً فشمالاً فغرباً وتصل بهم إلى ميناء للقتبانيين يُدعى أوكليليا • ولهذا الغرض كثيراً ما يقصد أولئك الناس هذا الميناء ويقولون أنه غالباً ما كانت تنقضى خمس سنوات قبل أن يعود هؤلاء التجار إلى موطنهم وكان كثير منهم يلقى حتفه• وفى مقابل سلعهم كانوا يعودون ومعهم مشغولات زجاجية ونحاسية (أوانى) وملابس حلى وأساور وقلائد ، ولذا كانت هذه التجارة تعتمد أساساً على اكتساب ثقة النساء " (٨٩) •

إن هذه الفقرة عند بلينى لا توحى من قريب أو بعيد بأن سكان الساحل الصومالى القديم من " سكان الكهوف " كانوا يأتون بالقرفة من إثيوبيا ، بل العكس هو الصحيح • إن هذه الفقرة تستبعد تماماً مثل هذا القول ، فبعد أن دحض بلينى الخرافات السابقة عن العنقاء والثعابين والخفافيش وعلاقتها الأسطورية بمحصول القرفة ذهب ليدحض مقولة نمو القرفة فى إثيوبيا• إن عبارته الأولى تعنى – فى تقديرى – أن نصيب هذه الخرافات من الصحة معدوم تماماً كالقول بأن القرفة تنمو فى إثيوبيا التى ترتبط بصلة نسب مع سكان الكهوف ، أو بعبارة أخرى أن كل هذه الروايات الخرافية عارية من الصحة وهى تصح إن صح القول بأن القرفة تنمو فى إثيوبيا (شرط مستحيل) • كما أن بقية الفقرة عند بلينى تؤكد كلها على هذا المعنى وتقطع بأن سكان الساحل الصومالى كانوا يأتون بالقرفة من مكان آخر غير المناطق الإثيوبية المجاورة لهم والتى لا تنمو فيها القرفة • لقد " كانوا يأتون بها " كما يذكر النص " من جيرانهم على متن سفن عبر البحار الشاسعة " ،

ولو كانت إثيوبيا هى المقصودة لما استخدم هؤلاء التجار السفن ولا خاضوا غمار البحار الشاسعة per maria vasta لأن أثيوبيا منطقة داخلية مجاروة لهم ، أما عن عبارة يأتون بها من جيرانهم id a conterminis vehunt فتفسيرى لها أنها تعنى أقرب مناطق اليابسة إلى الصومال بعد البحار الشاسعة ، أو أول شاطئ ترسو عليه سفنهم بعد أن تضرب فى البحار الشاسعة • ومن المعروف أن سواحل الصومال تمتد إما شمالاً وقبالتها خليج عدن وموانئ الجنوب العربى التى لا تنتج القرفة كما أن الخليج المذكور لا يعد من " البحار الشاسعة " ، وإما على الساحل الشرقى من أفريقيا على المحيط الهندى وأمامه ذلك اليم الهائل المتمثل فى المحيط الهندى وأقرب نقطة فى اليابسة إلى الشرق هى شبه القارة الهندية بسواحلها الغربية وكذلك جزيرة سيريلانكا • والترجيح الأخير هذا أقرب إلى الصواب على ضوء معطيات نص بلينى الذى أراد القول ــ فيما يبدو ــ أن سكان الساحل الصومالى كانوا يستخدمون السفن ويعبرون البحار الشاسعة لجلب القرفة من جيرانهم عبر المحيط فى الهند وسيلان • كما أن بقية النص تؤكد ذلك إذ يذكر بلينى أنهم كانوا يختارون وقت الإبحار (الأرجح أنه يقصد هنا رحلة العودة من الهند إلى وطنهم محملين بالقرفة) فى قلب فصل الشتاء عندما يكون النهار فى أقصر أوقاته ، وهو لا يترك الأمر مبهما بل يعلل ذلك بأنه نظراً للحالة البدائية لسفنهم التى تفتقر إلى تجهيزات السفن المتقدمة ــ حينذاك ــ من دفة وأشرعة ومجاديف وغيرها فقد كانت فى حاجة لقوة دفع طبيعية تتمثل فى تلك الرياح الشتوية الشرقية التى تكون فى ذلك التوقيت فى قمة اندفاعها وتشكل قوة دفع هائلة لهذه السفن البدائية من الشرق إلى الغرب فى طريق مستقيم حتى الساحل الأفريقى الصومالى المقابل للهند • ثم تظل هذه الرياح تدفعها غرباً فشمالاً فغرباً argestae لتدور حول

رأس (فى تقديـرى هو رأس جاردافوى شمال غرب الصومـال) وتدخل خليج عدن غربا إلى أن تصل إلى ميناء أوكيليا [٩٠] التابع لبلاد قتبان وهنـاك ترسو سفن هؤلاء وتفرغ بضاعتها من القرفة فى هذا الميناء العربـى وتـأخذ فى مقابلها بعض سلع ذلك السوق من أوانى وملابس وحلى لنسائهم ليعـودوا بهـا إليهـم فـى المنـاطق الإفريقيـة (الصوماليـة) القريبـة مـن ذلـك السـاحل العربى (فكلاهما على شاطئ خليج عدن شمالاً وجنوباً) • ويذكر بلينى أن هـذه الرحلـة كـانت تستغرق خمس سنوات حتـى يعـود هـؤلاء التجـار إلـى موطنهم produntque vix quinto anno reverti negotiatores ، ومن المنطقى أن الرحلة لو كـانت محصورة فقط بين الشـواطئ الجنوبيـة لبلاد العرب والساحل الصومالى حتى وإن كانت السفن بدائيـة لـم تكـن لتستغرق خمس سنوات ، كما أنه لـم تكـن لتهلـك أعـداد كبيرة مـن هـؤلاء التجـار et multos interire • المنطقـى إذن أن هـؤلاء التجـار الأفارقـة المغـامرين بسـفنهم المتواضعـة كـانوا يقومـون بهـذه الرحـلات التجاريـة المغـامرة إلـى مواطن إنتاج القرفة فى الهند وسيلان ويستغلون الرياح المواتية (لابد أنهـم كانوا يعرفون الرياح الموسمية بخبرتهم البحرية الطويلـة) فـى الذهـاب إلـى الهند والعودة منها إلى السواحل العربية الجنوبيـة لمقايضـة مـا لديهـم بالسـلع التـى يحتاجونـهـا ، ومـن الطبيعـى أن تهلـك منهـم أعـداد كبـيرة فـى هـذه المغامرات التجارية لا سيما مع تواضع سفنهم والطول الشاسع لمدى الرحلـة المحفوفة بالمخاطر •

لابد أن هؤلاء التجار كانوا ـ عند وصولهم إلى ميناء أوكيليا العربى ـ يجدون إقبالاً على سلعتهم من القرفة التى لا تنمو فـى بـلاد العرب ، والتـى لابد كذلك أن بعض التجار العـرب كـانوا يـأتون بكميـات منهـا إلـى الموانـئ

الجنوبية الأخرى • كما أنه من المتوقع ألا يذهب كل هؤلاء التجار الأفارقة بسلعهم إلى ميناء أوكيليا العربى ، ولابد أن بعضهم (أو كثيراً منهم) كانوا يعودون بهذه السلعة إلى موانيهم الأفريقية الصومالية فى مالاو وموندو وموسيللون وتاباى (هامش ٨٣) المذكورة عند الطواف لكى تباع هذه القرفة هناك إلى جانب منتجاتهم المحلية من مر ولبان •

نأتى الآن إلى مؤلِّف " الطوّاف " وهل أعتقد ـ كما يرى كاسون ـ بأن الصومال واثيوبيا هى موطن الكاسيا ، أم أن الأمر شئ آخر ؟

لم يتحدث مؤلِّف الطواف عن موطن القرفة ولم يشر إليه ، وحين تحدث عن القرفة ـ وغيرها من صادرات هذه الموانئ الصومالية المذكورة أعلاه ـ كان يستخدم فى الحديث عن كل ميناء عبارات مثل " وتُصدَّر من هذه المناطق : εκφερεται δε أو εξαγεται δε απο των τοπϖν απο τϖν τοπων أو " يوجد به (بالميناء) γινεται δε τα εν αυτω ثم يورد السلع التى تُصدَّر من المكان أو توجد به دون أن يميز بين السلع المحلية والسلع الوسيطة القادمة من أماكن أخرى • لقد كان مؤلِّف الطواف هنا رجلاً عملياً يبغى إرشاد التجار والملاحين من رفاقه إلى أماكن توافر السلع المختلفة بغض النظر عن موطنها •

(جـ) موانئ وطرق التجارة العربية :

من خلال العرض السابق فى هذا الجزء من البحث يتضح أن المر واللبان كانا أهم سلع التصدير العربية المحلية ـ وإن كان يشارك العرب فى إنتاجها مناطق الساحل الإفريقى الشرقى لا سيما الصومال ـ وأن القرفة كانت تأتى إلى بعض الموانئ العربية من خلال جلب بعض التجار الأفارقة

والعرب لها من الهند التى كانت تأتى بها بدورها من مواطنها الأصلية فى مناطق عديدة من جنوب شرق آسيا . لقد كانت هذه الطيوب والتوابل إذن تباع إما فى الأسواق والموانئ العربية أو فى شرق أفريقيا سواء منها ما ينتج محلياً فى تلك البقاع أو ما يأتى من الشرق كسلع وسيطة . ويبدو أن الموانئ ومنافذ التصدير العربية بدأت تأخذ طابع التخصص أكثر فأكثر فى بيع بعض السلع خصوصاً ما ينتج منها محلياً قرب هذه المنافذ . فمثلاً تخصص ميناء موزا " مُخا " ـ وربما من قبله عدن ـ فى بيع وتصدير أفخر أنواع المر المحلى القتبانى (المعينى) والأفريقى ، وكان سوقاً رائجة تعج بالحركة (الطواف فقرة ٢١) وكان له اتصالات ومشاركة قوية فى الأنشطة التجارية مع الساحل الإفريقى المقابل [٩١] وكانت بعض صادرات موزا تأتى من هذا الساحل الإفريقى وراء البحر (الطواف ف ٢٤ وهامش ٤٩) . ولابد أن المر كان يُنقل من مناطق إنتاجه فى المناطق الداخلية من قتبان إلى موانئ تلك المنطقة وأهمها " موزا " ، وكانت هناك مجموعة من القوانين التجارية تنظم حركة التجارة الداخلية فى مملكة قتبان وكانت تهدف إلى تركيز التجارة الداخلية لقتبان فى السوق الرئيسية لـ " تمنع " (حجر كحلان الحالية) وتضع قيوداً شديدة على التجارة الداخلية خارج " تمنع " فى قرى قتبان . وكان الهدف من ذلك مالياً وهو حصر التجارة الداخلية داخل " تمنع" حتى يمكن تحصيل رسوم على التجار عند دخولهم إلى تمنع عبر بوابات المدينة فى حين من الصعب تحصيل هذه الرسوم ممن يتجولون فى المناطق البعيدة عن العاصمة . كما أن هذه النظم التجارية الداخلية تعطى امتيازات أكثر لأهل قتبان على غيرهم من تجار المناطق والممالك الأخرى فى الجزيرة العربية[٩٢] . عموماً فإن هذه النظم التجارية القتبانية لا تخدم موضوعنا لأنها تختص بالتجارة الداخلية ولا تقدم شيئاً عن التجارة الخارجية

لهذه المملكة العربية الجنوبية التى تشكل جزءاً من موضوعنا ٠ ولاستكمال الحديث عن مملكة قتبان وعلاقاتها الخارجية يخبرنا مؤلف " الطّواف" أن جزءاً كبيراً من الساحل الإفريقى الشرقى ومناطقه الداخلية ــ فى المنطقة الواقعة بين " أوبونى " (رأس هافون) إلى " رافتا " (بالقرب من دار السلام) ، وهى المنطقة التى أسماها " الطوّاف " أزانيا ـ كانت تابعة لحكم زعيم أرض المعافر كليب الذى كان بدوره أحد أتباع الملك شرحبيل ملك السبئيين والحميريين و التى تضم قتبان(٩٣) ٠ يقول الطوّاف أن أرض أزانيا الإفريقية هذه كانت تابعة لزعيم أرض المعافر بمقتضى حق قديم وأن التجار العرب من موزا كان لهم حق السيطرة عليها بمقتضى منحة ملكية وكانوا يجبون منها الضرائب ويرسلون إليها بسفنهم المحملة بالملاحين والتجار العرب الذين كانوا على ألفة بالمكان ولغته من خلال اتصالاتهم وزيجاتهم هناك(٩٤) ٠

معنى ذلك أن علاقات الساحل الشرقى لأفريقيا مع بلاد العرب ــ وخاصة الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة ــ كانت قديمة ووثيقة ٠ ومن منطلق علاقة تبعية هذه المناطق الواسعة لملك حمير وسبأ وإدارتها المباشرة من قبل حاكم أرض المعافر نيابة عن الملك لم يكن من المستغرب أن تذهب كثير من سلع هذه المناطق الإفريقية ــ المحلية منها والمستودرة القادمة من الشرق عبر الهند ـ إلى الموانئ الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية ٠ هذا كله يعنى أن كل أنواع الطيوب والتوابل العربية و الإفريقية والآتية من جنوب شرق آسيا كالقرفة كانت متوافرة فى هذه الموانئ ، وإن تخصصت أكثر فى بيع أجود أنواع المر فى ميناء " موزا " على الأخص كما سبق أن رأينا ٠

واستكمالاً للحديث عن أشهر موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية ننتقل إلى الشرق إلى ميناء " كانى " الميناء الغربى لمملكة حضرموت ـ أرض اللبان • وكما سبق أن رأينا عند " الطواف " فقد كان هذا الميناء يستقبل التجار القادمين من الغرب عن طريق البحر الأحمر من ولاية مصر الرومانية وكذلك من موانئ شرق أفريقيا لشراء اللبان العربى وبيع سلعهم هناك • وبالإضافة للبان العربى الذى كان المحصول المحلى الرئيسى لميناء " كانى " فقد كانت تُصدَّر من هذا الميناء كذلك السلع الوسيطة التى كانت ترد إلى هذا الميناء من خلال معاملاته التجارية مع موانئ الشاطئ الافريقى والموانئ الواقعة إلى الشرق من " كانى " فى الهند (باريجازا فى شمال غرب الهند) وسكثيا الهندية (منطقة السند) ومناطق عند مدخل الخليج العربى الفارسى وإيران القديمة (٩٥) .

من خلال الفقرات السابقة ندرك أن التجار من مصر الرومانية ـ التى كانت الوسيط الذى ينقل السلع الشرقية إلى بقية الولايات الرومانية الأخرى فى البحر المتوسط إلى الغرب منها ـ سواءً كان هؤلاء التجار يونان أو رومان أو مصريين ـ يأتون إلى ميناء " موزا " لجلب المر وإلى " كانى " لاستيراد اللبان وإلى ساحل أفريقيا لاستيراد القرفة الواردة من الهند • هذه هى السلع الأساسية لهذة الموانئ ، ولكن إلى جانب هذه السلع الأساسية كانت تباع فى تلك الموانئ أنواع الطيوب والتوابل الأخرى الوسيطة بالإضافة لقدر آخر من السلع الأخرى الأفريقية والهندية التى كانت تأتى لهذه المناطق• معنى هذا أن استخدام الرياح الموسمية من قِبل الرومان على نطاق واسع فى الوصول إلى الهند لم يقلص من تجارة العرب فى الطيوب والتوابل لأن اللبان والمر لا ينموان إلا فى ممالك الجنوب العربى وشرق

إفريقيا التى كان للعرب معها علاقة وثيقة بها وسيادة على جزء كبير منهـا ، كما أن استخدام هذه الرياح لم يلغ فجأة ونهائياً دور العـرب كوسيط تجارى يوصل السلع الهندية والأفريقية أو بعضها على الأقل إلى الإمبراطورية الرومانية ، وإن كان هذا الدور قد تقلص أو تضاءل لكنه لم يتوقف [٩٦]. إذن فقد كانت السلع العربية الأساسية من طيوب وتوابل وغيرها من بعض السلع الوسيطة تنتقل من الموانئ العربية الجنوبية إلى أرجاء الإمبراطورية الرومانية عبر السفن المصرية التى كانت تنقلها بدورها إلى الموانئ المصرية على البحر الأحمر ثم إلى قفط إلى الاسكندرية ومنها إلى ايطاليا وموانئ البحر المتوسط الرومانية فى الولايات الأخرى . وفى الاسكندرية لم يقتصر دور هذه المدينة الكبيرة على مجرد نقل هذه السلع العربية والهندية والأفريقية بل كان يتم فيها كذلك تصنيع هذه المواد الخام وتجهيزها للاستهلاك فى مدن وولايات الإمبراطورية الرومانية . وهناك فقرة عند بلينى يقارن فيها بين مناطق إنتاج اللبان ومكان تعبئتها وتجهيزها للاستهلاك فى الإسكندرية ويقول " أن هؤلاء المنتجين يتسمون بالأمانة بين بعضهم البعض ولا ينتهكون ممتلكات بعضهم البعض ولذلك ليس هناك من يقوم على حراسة أشجار اللبان بعد شقها (لاستخراج اللبان منها) . ولكن فى الاسكندرية - يا إلهى - حيث يُصنّع اللبان فإن الحراسة على المصانع لم تكن كافية ! إذ كانت توضع أختام على مآزر (مرايل) الصناع ، وعليهم أن يرتدوا أقنعة رأس أو شباكا دقيقة الثقوب ، ولا يغادرون المصنع إلا عرايا ! إلى هذا الحد تتضاءل الثقة وتشدد العقوبة لدينا أكثر ممن يملكون غابات اللبان " [٩٧] .

هذا الحديث عند بلينى يوضح مدى أهمية وقيمة هذه السلعة التجارية التى كان يؤتى بها من بلاد العرب لدى تجار الإسكندرية وأصحاب المصانع فيها وكم كانت أرباحهم من تجارة هذه السلعة بعد تصنيعها والتى يبدو أنها كانت أرباحاً هائلة إذ ذكر بلينى أن السلع الهندية كانت تُباع للرومان بمائة ضعف سعرها الأصلى (NH 6. 26. 101) ، وإن كانت أرباح السلع العربية قد تكون أقل قليلاً بحكم أن المسافة من العربية إلى روما أقل من المسافة بين الهند وروما . وإذا عرفنا القيمة الكبرى للبان والمر واستخداماتهما العديدة فى حياة الشعوب القديمة فى الطقوس الدينية والعقيدة والاحتفالات والجنازات والاستخدامات الطبية ، وكذلك ارتباطه ببعض الأحداث الهامة مثل مولد المسيح فى بيت لحم وقدوم ثلاثة رجال من الشرق ـ قالت الروايات المسيحية المبكرة أنهم من جزيرة العرب ـــ ومعهم مر ولبان وذهب للاحتفاء بمولد المسيح(٩٨) ، لأدركنا قيمة هذه الطيوب والإقبال عليها بشدة .

لكن هل كانت مصر هى المنفذ الوحيد الذى تمر من خلاله السلع الشرقية إلى بقية ولايات الإمبراطورية الرومانية ؟ إن سترابون يكاد يعطينا الإيحاء بذلك فى سياق حديثه عن حملة أيليوس جالوس على بلاد العرب الجنوبية مروراً بمملكة الأنباط إذ يقول : " إن أحمال (الطيوب) كانت تُنقل من ليوكى كومى (ميناء الأنباط) إلى البتراء (عاصمتهم) ومن هناك إلى رينوكولورا (العريش) القريبة من مصر والتابعة لفينيقيا ومن هناك إلى شعوب أخرى . أما فى الوقت الحالى فإن معظمها ينقل إلى الإسكندرية عبر النيل " (٩٩) . كما أن فقرات مؤلف " الطوّاف " تعطى نفس الأيحاء بتجارة رومانية مكثفة ـ عبر مصر أساساً ـ مع بلاد العرب الجنوبية إضافة إلى

بقية تجارتهم الشرقية مع شرق أفريقيا والهند • ربما كان ذلك صحيحاً إلى حد بعيد بالنسبة لحركة التجارة البحرية من خلال نشاط سفن مصر (الرومانية) التى كانت تتوغل فى تلك البحار وتأتى بالسلع الشرقية ـ أو معظمها ـ التى تصل إلى مصر • أما من ناحية الطرق البرية فقد كان هناك طريق برى أساسى يسير من جنوب الجزيرة العربية شمالاً بمحاذاة الساحل الغربى للجزيرة العربية المطل على البحر الأحمر والذى يُطلق عليه " طريق البخور " والذى سنتحدث عنه بعد قليل • وقبل أن أختم الحديث عن الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية أنوه بأن ميناء " موسخا " (خور رورى) فى أقصى الجنوب الشرقى لمملكة حضرموت المنتجة للّبان لا يدخل ـ فى الأغلب ـ ضمن الموانئ التجارية التى كان يتعامل معها التجار من مصر الرومانية لأنهم كانوا يحصلون على احتياجاتهم من اللبان الحضرمى من ميناء كانى (حصن الغراب) الأقرب إليهم • لقد كان ميناء موسخا ـ وكذلك مستودع لبان منطقة السكلان فى " سياجروس " (رأس فرتك) ـ مخصصاً للتجارة ولبيع لبان هذه المنطقة للتجار الهنود الذى يقضون الشتاء هناك كما يتضح من حديث الطواف فى الفقرة (٣٢) •

نعود الآن للحديث عن الطريق البرى الرئيسى لنقل تجارة الطيوب العربية من جنوب إلى أقصى شمال غرب الجزيرة عند مملكة الأنباط وهو ما عُرف بـ " طريق البخور " • سبق أن رأينا عند الحديث عن مناطق إنتاج اللبان فى مملكة حضرموت كيف كان كل محصول اللبان الحضرمى يُجمَّع أولاً فى العاصمة شبوة ثم يعد توزيعه على الموانئ والطرق البرية التى كان أهمها بلا شك طريق البخور • إن ذلك الجزء من اللبان الحضرمى الذى كان ينتقل عبر الطريق البرى كان ينتقل من شبوة إلى الشرق ثم إلى الشمال

الغربى من شبه الجزيرة العربية وكانت له محطات هامة يمر بها ويتوقف عندها التجار فى " تمنع " عاصمة قتبان و " مأرب " عاصمة سبأ يمر بمعين ثم يصعد شمالا إلى يثرب (المدينة) ثم ديدان (العُلا) إلى غزة [١٠٠].

وهناك ذكر فى المصادر القديمة لبعض محطات هذا الطريق أو لمحطات أخرى بديلة لكنها تؤدى فى نهاية المطاف إلى الساحل الشرقى (أو الجنوبى الشرقى) للبحر المتوسط : إن سترابون مثلاً يخبرنا أن تجاراً من ايلانا (العقبة) القريبة من غزة كانوا يذهبون إلى التجار العرب القادمين بطيوبهم من اللبان والمر من حضرموت وقتبان (رغم عكس سترابون لهما فى خطأ جاء سهواً كما ذكرنا اعلاه) ويلتقونهم فى منتصف الطريق عند معين بعد أن يكونوا (تجار ايلانا) قد قطعوا مسافة سبعين يوماً من ايلانا (العقبة) حتى معين[١٠١] ، ثم يشير فى نفس الفقرة إلى طريق برى آخر داخل شبه الجزيرة العربية ـ وليس على ساحلها الغربى ـ يقطعه الجابايون (فى الشمال الأوسط من شبه الجزيرة قرب شمر) من الشمال إلى الجنوب هذه المرة حتى مملكة حضرموت موطن اللبان حيث يحملون ويجلبون اللبان من موطنه فى حضرموت (أنظر رأى الباحث فى هذه النقطة فى الجزء الخاص بالجرهاء من هذا العمل) ويقطعون المسافة فى أربعين يوماً[١٠٢] .

إذن كان هناك من التجار من يأتى بنفسه ــ بالطرق البرية ــ إلى مواطن الطيوب ويعودون بها إلى موطنهم الأصلى كالجابايين ، ومن يلتقى بالتجار العرب فى منتصف الطريق كتجار إيلانا ويأخذون حاجتهم من الطيوب منهم ، ربما قصد هؤلاء وأولئك إلى انتقاء أفضل أنواع هذه الطيوب من موطنها أو قبل أن تصل إلى نهاية الطريق ويكون أجود ما فيها قد بيع خلال الرحلة ، إن سترابون يُلمّح ـ عند إشارته إلى قرب إيلانا من

غزة - إلى أن غزة كانت هى نهاية المطاف لهذا الطريق البرى الذى كان يمر بلا شك بمملكة الأنباط • كما أن الطوّاف يشير إلى طريق آخر كان يمر بمملكة الأنباط ولكنه - هذه المرة طريق بحرى - يأتى بطيوب العرب من موانيهم الجنوبية بالسفن التى تصعد فى البحر الأحمر شمالاً إلى ميناء "ليوكى كومى" (الحوراء أو ينبع أو العينونة) التابع للأنباط حيث تفرغ فيه هذه السلع بعد دفع الضريبة عليها وتقدر بربع قيمة السلع ثم تذهب إلى البتراء عاصمة الأنباط (١٠٣) ومنها كانت تسلك عدة طرق شمالاً وغرباً وكان ذلك الطريق الغربى - عند سترابون - يتجه إلى رينوكولورا (العريش) ومنها إلى شعوب أخرى (بالسفن عبر البحر المتوسط) (أنظر سترابون هامش ٩٩ أعلاه) • ويبدو أن منافذ الطيوب العربية على البحر المتوسط - بخلاف الإسكندرية وما تبعث به من كميات كبيرة - كانت غزة والعريش حسبما ذكر سترابون الذى يُلمّح إلى أن تجار العقبة (ايلانا) كانوا يصدِّرون ما جلبوه من طيوب من معين عبر غزة وأن الطيوب العربية التى كانت تصل البتراء كانت كمية منها تُصدَّر عبر ميناء العريش (هامشىّ ٩٩،١٠١) • ولكن يتفق سترابون ومؤلِّف الطوّاف على أن الكميات من الطيوب التى كانت تذهب إلى الأنباط قد صارت قليلة بالمقارنة بالكميات الكبيرة التى كانت تذهب لمصر الرومانية •

ويتحدث بلينى الأكبر حديثاً تفصيلياً بعض الشئ عن طريق البخور من جنوب شبه الجزيرة العربية الغربى حتى شمالها فيقول :

" ولا يمكن تصديره (اللبان) إلا من خلال القتبانيين ولذلك تدفع ضريبة لملكهم (ربما كانت هى الضريبة التى يدفعها التجار عند دخولهم بوابات " تمنع " عاصمة قتبان والواردة فى مجموعة النظم التجارية لقتبان)

وعاصمتهم هى ثومنا (تمنع) الواقعة على بعد ٧٨٤ $\frac{1}{2}$ ميل من مدينة غزة الواقعة على شواطئنا فى يهودا . وتنقسم هذه الرحلة إلى ٦٥ محطة ذات استراحات للجمال . وهناك أنصبة محددة من اللبان تُمنح للكهنة وكتبة الملك ، وبالإضافة إلى هؤلاء فإن الحراس ومساعديهم وحراس البوابات وخدمهم ينالون نصيبهم . وفى الواقع فإنهم (التجار) يظلون يدفعون طوال الرحلة فى مقابل الماء حيناً وفى مقابل أعلاف الدواب أو الفنادق والاستراحات والبوابات العديدة حتى أن مقدار ما ينفق على البعير الواحد قبل أن يصل إلى شواطئنا (شاطئ البحر المتوسط) يبلغ ٦٨٨ ديناراً . وبعد ذلك تؤدى مدفوعات أخرى إلى ضباط الجمارك فى إمبراطوريتنا . ولذلك فإن سعر أفضل أنواع اللبان هو ٦ دنانير للرطل ومن الدرجة الثانية خمسة دنانير ومن الدرجة الثالثة ثلاثة دنانير "[١٠٤] .

لكن هل كانت صادرات الجنوب العربى إلى الإمبراطورية الرومانية عبر مصر الرومانية ومملكة الأنباط قاصرة على الطيوب والتوابل ؟ بالإضافة إلى الطيوب والتوابل كان عرب الجنوب يصدرون اللولو [١٠٥] الذى اشتهروا به كذلك بالإضافة إلى الصبار αλοη كمستحضر طبى وبعض الأصباغ (باب " قفط" / هامش رقم ٥١) وجلود وعظام التماسيح والسلاحف والأفاعى من جزيرة سوقطرة (ديسكوريديس) التى كانت خاضعة لملك أرض اللبان الملك العز ملك حضرموت (الطوّاف/ الفقرة ٣٠، ٣١) ، وقد ورد عند الطوّاف فى الفقرة (٣١) أن سكان تلك الجزيرة كانوا خليطاً من العرب والهنود " بل ومن بعض الإغريق ممن يبحرون من هناك بغرض التجارة " και τινα μεν Ελληνων τ ν προs

εργασιαν εκπλεοντων ، هؤلاء ربما كانوا على الأرجح من إغريق مصر .

والآن ما هى واردات العرب من الأمبراطورية الرومانية ؟ يذكر مؤلف " الطوّاف " سلعاً عديدة من مصر ومناطق أخرى من الإمبراطورية الرومانية من أقمشة وملابس عادية ومزركشة ومتميزة ونبيذ وحبوب والنحاس والقصدير والزجاج ومشغولاتها بالإضافة إلى سلع غالية الثمن للحكام والقصور فى المناطق العربية مثل الخيول ودواب الحمل والمشغولات الذهبية والفضية . (انظر هوامش الجزء الخاص بفقط أرقام من ٤٣ إلى ٤٨ ، وحول واردات العرب تحديداً أنظر " الطوّاف " فقرات ٢٤ عن الواردات فى ميناء " موزا " ، ٢٨ عن واردات " كانى ") .
وبالاضافة إلى تلك السلع المذكورة عند " الطوّاف " فإن الحفائر الأثرية فى مناطق الجنوب العربى قد كشفت عن أنواع مختلفة من الخزف الرومانى من إنتاج مناطق شرق البحر المتوسط والزجاج الرومانى وتماثيل برونزية هيلينستية [١٠٦] وهو أمر يؤكد ما جاء عند الطواف عن (الزجاج λιθιας υαλης πλειονα γενη فقرة ١٧ ، والتماثيل ανδριαντεσ / فقرة٢٨) . أما بالنسبة للنقود لم يُعثر فى تلك الحفائر الأثرية على نقود ، كما يشكك البعض فى ظهورها فى المصادر الأدبية رغم أنها ظهرت فى موضعين عند الطواف على انها من بين ما يأتى للعرب من الخارج (فى فقرة ٢٤ " ونقود بما فيه الكفاية χρημα ικανον "، وفقرة ٢٨ " ونقود للملك και χρηματα τωι βασιλει ") . ويعزو هذا البعض سبب عدم ظهور نقود رومانية فى جنوب الجزيرة العربية ـ فى تقديره ـ إما لأن العرب كانوا يصهرون هذه العملات ويستخدمون معادنها من ذهب أو فضة

أو برونز أو أن السبائك الذهبية أو الفضية كانت تستخدم بدلاً من النقـود فـى التعامل مع العرب [١٠٧] • الأرجح ـ فـى تقديرى ـ أنـه كـانت هنـاك نقـود رومانية تستعمل فى التداول جنباً إلى جنب مع المشغولات الفضيـة والذهبيـة التى كانت من بين السلع التى ترد لأثرياء العرب ، وإن كان استخدام النقـود فى تجارة جنوب الجزيرة ربما كان محدوداً إلى حـد مـا وأن معظـم التعـامل كان يتم عن طريق المقايضة كما رأينا • وربما لم تظهر نقـود رومانيـة فـى الحفـائر الأثريـة لهذا السبب ولسبب آخـر هـو أن هذه النقـود ربمـا كـان يستخدمها التجار العرب فى معاملاتهم خارج نطاق جنوب الجزيرة ، أى فى تعـاملاتهم التجاريـة مـع المنـاطق الخارجيـة ولا سيما الخاضعـة منهـا لحكـم الرومان مثل الإسكندرية وغـزة والعريـش وسـوريا ، ولربمـا كشـفت حفـائر أثرية قادمة فى مناطق الجنوب العربى عن نقود رومانية •

إذا كان الأمر كما ظهر فى كتاب " الطوّاف " والحفائر الأثرية هـو أن العرب كانوا يستوردون سلعاً كثيرة من الرومان وولايـاتهم فلمـاذا كـان ذلـك التحـامل علـى العـرب فـى المصـادر الكلاسـيكية خصوصـاً سـترابون (16.4. 22) وبلينـى (هـامش ٤٦ أعـلاه) مـن أن العـرب تمتعـوا بـثراء فاحش عبر العصور من جراء بيعهم الطيوب والأحجار الكريمـة القيّمـة فـى مقابل الفضة والذهب ولم يكونوا ينفقون أى شئ للغرباء مما يحصلون عليـه، أى لا يشترون مقابل ذلك • فى تقديرى أن تفسير ذلـك هـو أن السـلع التـى كان يستوردها العرب كانت ـ فى معظمها ـ سلعاً عادية ذات أثمـان معقولـة وبكميـات محـدودة كالأقمشـة والملابـس العاديـة والحبـوب والنبيـذ والزجـاج والنحاس فى حين كانت السلع العربية ـ الطيوب الغالية الثمن من لبان ومـر وقرفة مستوردة ـ تباع للتجار القادمين من الإمبراطورية الرومانيـة بكميـات

كبيرة وبأسعار عالية • معنى هذا أن الميزان التجارى ـ بلغة العصر ـ كان فى صالح العرب وفى المقابل ولموازنة هذا الميزان ولدفع ما تبقى من أثمان الطيوب ـ وهو كبير ـ كان التجار من الإمبراطورية الرومانية يقدمون مشغولات ذهبية وفضية وملابس فاخرة مطرزة بالذهب وخيول لحكام وملوك العرب ، وهذه المدفوعات الأخيرة كانت تظل فى حوزة العرب تزين قصورهم وتملأ خزائنهم بالذهب والفضة ومن هنا ساد هذا الاعتقاد • أمر آخر ربما ساعد على ازدياد هذا الاعتقاد هو أن بعض هذه السلع الغالية الثمن ربما كان يقدم لملوك وحكام جنوب الجزيرة العربية كنوع من الهدايا أو ربما رشوة لهم لكى يقدموا لهؤلاء التجار أجود أنواع الطيوب ويهتموا بأمرهم • فعند الحديث عن تقديم السلع لهؤلاء الحكام العرب لا يذكر ما يدل على البيع بل " العطاء أو المنح " διδονται "

τω τε βασιλει και τω τυραννω······ ، لذا ربما كان قدر ـ ولو بسيط ـ من هذه السلع النفيسة يُقدم كهدايا لهؤلاء الحكام •

هوامش الباب الثانى

(جنوب شبه الجزيرة)

1) Herodotus, Historiae, III, 97 .

انظر كذلك مواضع أخرى عند هيرودوت مثل :

VII, 69, 86 ; 1, 131, 199; II, 12, 141.

راجع لطفى عبد الوهاب يحيى " الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية " ، ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، الجزء الأول (مصادر تاريخ الجزيرة العربية) الرياض ، ١٩٧٩ ، ص ٥٥ _ ٧١ .

2) نفس المقالة السابقة ص ٥٥ وهامش رقم ٢ على صفحتى ٦٦ ، ٦٧ من المقالة .

3) يذكر هيرودوت العرب ضمن تلك المجموعة من الشعوب التى لم يفرض الفرس جباية عليهم بل كانت هذه الشعوب تقدم هدايا للفرس . من هذه الشعوب ــ غير العرب ــ الاثيوبيون وسكان النوبة العليا والكولخيون وجيرانهم عند جبال القوقاز .

أنظر . Herodotus, 111, 97.

οιδε δε φορον μεν ουδενα εταχθησαν φερειν, δωρα δε αγινεον.

Αραβιοι δε χιλια ταλαντα αγινεον λιβανωτου ανα παν ετοs.

" كان العرب يقدمون ألف تالنت من اللبان سنوياً "

4)Herodouts, Historiae, III, 107 :

εν δε ταυτη (Αραβιη) λιβαωτος τε εστι μουνη χωρεων πασεων φυομενος και κασιη και κιναμωμον και ληδανον. ταυτα παντα πλην της σμνρνης δυσπετεως κτωνται οι Αραβιοι. τον μεν γε λιβανωτον συλλεγουσι την στυρακα θυμιωντε, την ες Εληνας Φοινικες εξαγο υσι ...... κτλ.

5)Ibid., III, 108 - 109.

6)Ibid., 110 - 111.

7)Ibid., 112.

8)Theophrastus, Περι Φυτων ιστοριας (Enquiry into Plants), IX, 4, 2 :

Γινεται μεν ουν ο λιβανος και η σμυρνα και η κασια και ετι το κιναμωμον εν τη των Αραβων χερρονησω περι τε Σαβα και Αδραμυτα και Κιτιβαινα και Μαμαλι.

9)Jacqueline PIRENNE, Le Royaume Sud-Arabe de Qataban et sa Datation d'aprés l'Archéologie et les Sources Classiques jusqu' au Périple de la Mer Erythrée, Louvain, 1961, pp. 69-70 .

10)Theophrastus, op. cit., IX. 4. 2-4.

11)Ibid., IX. 4. 5-6.

12)Ibid., IX, 4, 10.

13)J. Pirenne, op. cit., p. 72.

أنظر كذلك : لطفى عبد الوهاب يحيى ، المقالة السابقة ص٥٨-٥٩

14)Strabo, Geography, 16. 4. 2 :

υπερ δε τουτων η Ευδαιμων εστιν, επι μυριους και δισχιλιους εκκειμενη σταδιους προς νοτον μεχρι του Ατλαντικου πελαγους. εχουσι δ αυτην οι μεν πρωτοι μετα τους Συριουσ και τους Ιουδαιους ανθρωποι γεωργοι.

μετα δε τουτους διαμμος εστι γη και λυπρα φοινικας εχουσα ολιγους και ορυκτα υδατα, καθαπερ και η Γεδρωσια.

15)Ibid., 16. 4. 2-3.

16)Ibid., 16 . 4. 4.

17)J. Pirenne, op. cit., pp. 80-82 ;

أنظر كذلك : لطفى عبد الوهاب يحيى ، المقالة السابقة ، ص ٥٩ وهامش ٢٨ .

18)Diodorus Siculus, III . 46.

κατα μεν γαρ την παραλιον φυεται το καλουμενον βαλσαμον και κασια και ποα τις αλλη ιδιαζουσαν φυσιν εχουσα.

κατα δε την μεσογειον υπαρχουσι δρυμοι συνηρεφεις, καθ ους εστι δενδρα μεγαλα λιβανωτου και σμυρνης, προς δε τουτοις φοινικος

και καλαμου και κιναμωμου και των αλλων των τουτοις ομοιαν εχοντων την ευωδιαν.

أنظر : جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الثالثة ، فبراير ١٩٨٠ ، دار العلم للملايين ببيروت ، الجزء الثانى ، ص ٣٥ .

19)Ibid., III. 47. 2-3 :

κατα γαρ τους ευωδεστατους δρυμους οφεων υπαρχει πληθος , οι το μεν χρωμα φοινικουν εχουσι, μηκος δε σπιθαμης, δηγματα δε ποιουνται παντελως ανιατα, ιδιον δε τι παρα τοις εγχωριοις συμβαινει περι τους ησθενηκοτας υπο μακρας νοσου τα σωματα.

20)Ibid. III. 47. 5-6 :

τουτο δε το εθνος ου μονον των πλησιοχωρων Αραβων, αλλα και των αλλων ανθρωπων διαφερει πλουτω και ταις αλλαις ταις κατα μερος πολυτελειαις. εν γαρ ταις των φορτιων αλλαγαις και πρασεσιν ογκοις ελαχιστοις πλειστην αποφερονται τιμην απαντων ανθρωπων των αργυρικης αμειψεως ενεκα τας εμποριας ποιουμενων. διοπερ εξ αιωνος απορθητων αυτων γεγενημενων δια τον εκτοπισμον, και χρυσου τε και αργυρου πληθους επικεκλυκοτος παρ αυτοις, και μαλιστ εν Σαβαις, εν η τα βασιλεια κειται..... κτλ.

انظر كذلك :

21) مصطفى كمال عبد العليم ، " تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين اليونانى والرومانى " ، الندوة العلمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، الجزء الثانى، ص ٢٠١ ـ ٢١٣ .

22) جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الثالثة فبراير ١٩٨٠ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الجزء الثانى ، ص ٣٤ ـ ٣٧ .

23) M. Clermont - Ganneau, “ Inscription bilingue minéo-grecque, decounerte a Delos “ Comptes rendus de l’Académie des inscriptions et Belles-Lettress, Paris, 1908, pp. 546 - 560.

24) Ibid., p. 552.

25) Ibid., pp. 556 - 557 .

26) Ibid., p. 554.

27) Starbo, XVI, 4. 22-24.

28) جواد على ، المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٤٤ – ٥٢

وإن كانت هناك بعض الأخطاء التى وردت بصدد هذه الحملة عند جواد على مثل قوله بأن ملك الأنباط حينذاك كان (عبادة الثانى) فى حين أنه كان على الأرجح عبادة الثالث الذى كان معاصراً للإمبراطور أغسطس ، ويرجح البعض أن عبادة الثانى ربما حكم فى مملكة الأنباط بين عامى ٦٢ ، ٥٦ ق٠م٠ ، أنظر:

G.W. Bowersock, Roman Arabia, Harvard Univ. Press, 1983, pp. 34, 46.

وكذلك كقوله عن العشرة آلاف جندى تحت قيادة جالوس بأنهم جُمعوا من مصر (من المصريين والرومان) ص ٤٤ فى حين أنهم كانوا حسب قول سترابون " عشرة آلاف من المشاة من (الرومان من مصر) " ، أى من جنود الفرق الرومانية فى مصر : μυριους πεζους των εκ τησ Αιγυπτου Ρωμαιων وأخيراً ما ذكره عن بناء سفن الأسطول الرومانى فى ص ٤٦ بأنه " شرع (يقصد أيليوس جالوس) فى إعداده فى ميناء (قفط) بـ Kleopatris على قناة النيل القديمة " ، لكل نص سترابون لم تُذكر فيه (قفط) بل ذكر موضع الإغداد بأنه " فى كليوباتريس (وهى أيضاً أرسينوى/السويس الحالية) القريبة من القناة القديمة الممتدة من النيل (هذه القناة القديمة كانت تمتد من الفرع البيلوزى من فروع النيل فى أقصى شرق الدلتا حتى رأس خليج السويس الحالى) :

κατα Κλεοπατριδα την προς τη παλαια διωρυγι υπο του Νειλου.

أنظر كذلك :

G.W. Bowersock, op. cit. pp. 46-49 : S Sidebotham, Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa, Leiden, 1986, pp. 120 - 130.

29)Strabo, 16. 4. 22 :

ην δε τι και το πολυχρηματους ακουειν εκ παντος χρονου, προς αργυρον και χρυσον τα αρωματα διατιθεμενους και την πολυτελεστατην

λιθιαν αναλισκοντας των λαμβανομενων τοις εξω μηδεν. η γαρ φιλοις ηλπιξε πλουσιοις χρησεθαι η εχθρων κρατησειν ηλουσιων.

30)Ibid., 24 :

εξ μεν ουν ημερας προσβαλων επολιορκει, λειψυδριας δ απεστη. δυο μεν ουν ημερων οδον απεσχε της αρωματοφορου, καθαπερ των αιχμαλωτων ακουειν ην. εξ δε μηνων χρονον εν ταις οδοις κατετριψε, φαυλως αγομενος.

31)Ibid. 23:

εξηπατησε δ αυτον ο των Ναβαταιων επιτροπος Συλλαιος, υποσχομενος μεν ηγησεσθαι την οδον και χορηγησειν απαντα και συμπραξειν, απαντα δ εξ επιβουλης πραξας, και ουτε παραπλουν ασφαλη μηνυων, ουθ οδον, αλλα ανοδιαις και κυκλοποριαις και παντων αποροις χωριοις, η ραχιαις αλιμενοις παραβαλλων η χοιραδων υφαλων μεσταις η τεναγωδεσι.

32)L. Casson, The Periplus Maris Erythraei, Princeton, 1989, pp. 6 - 9.

33)Ibid. 26 :

εστιν Ευδαιμων Αραβια; κωμη παραθαλασσιος, βασιλειας της αυτης Χαριβαηλ....προτερον ουσα

πολις....Νυν δε ου προ πολλου των ημετερων χρονων Καισαρ αυτην κατεστρεψατο.

34)Pliny, Naturalis Historia 6. 31. 141 :

Augustus ituro in Armeniam ad Parthicas Arabicasque res maiore filio.

35)Ibid. 2. 67. 168 :

in quo (sc. Arabico sinu) res gerente C. Caesare Augusti filio signa navium ex Hispaniensibus naufragiis ferentur agnita.

36)Th. Mommsen, The Prosvinces of the Roman Empire from Caesar to Diocletian, London, 1909, vol. II, pp. 293 - 94 ; M.P. Charlesworth, " Some Notes on the Periplus Maris Erythraei" , Classical Quarterly 22, 1928, 92 - 100 .

37)M. Rostovzew, " Zur Geschichte des Ost - und Südhanndels im ptolemäisch - römischen Ägypten," Archiv für Paryrusforschung 4, 1908, S. S. 309.

38)W. Schur, die Orientpolitik des Kaisers Nero (Klio, Beiheft 15, Neue Folge 2), Leipzig, 1923, S. 46.

39)Kenneth Wellesley, "The Fable of Roman Attack on Aden", La Parola del Passato, 9, 1954 : pp. 401 - 405.

40)Res Gestae Divi Augusti 5 . 26 :

Meo iussu et auspicio ducti sunt duo exercitus eodem fere tempore in Aethiopiam in Arabiam quae appellatur Eudaemon.

41)Pliny, NH 6. 32. 160 :

Romana arma solus in eam terram adhuc intulit Aelius Gallus ex equestri ordine ; nam C. Caesar Augusti filius prospexit tantum Arabiam.

42)K. Wellesley, art. cit., pp. 403 - 405 .

43)S. Sidebotham, op. cit., p. 127.

44)L. Casson, Periplus Maris ...., 23 :

εν η Χαριβαηλ[α], ενθεσμος βασιλευς εθνων δυο, του τε Ομηριτου και του παρακειμενου λεγομενου Σαβαιτου συνεχεσι πρεσβειαις και δωροις φιλος [δε] των αυτοκρατορων.

45)عن هذه الصادرات العربية والوسيطة من الموانئ العربية والوسيطة إلى مصر ثم إلى بقية ولايات الإمبراطورية الرومانية أنظر : " الطوّاف " :

Ibid. 24, 28, 30 - 31, 32.

46)أنظر كذلك تلك الفقرة فى كتاب " التاريخ الطبيعى " لبلينى الأكبر التى يبدى فيها حسده لثروات العرب ورفاهيتهم التى تحققت من وراء بذخ البشر حتى فى وفياتهم إذ يحرقون للموتى بخوراً كان من المألوف إحراقه على معابد الآلهة ، ومن هنا يعتبر تسمية " بلاد العرب السعيدة " زائفة وغير مستحبة : أنظر بلينى :

NH : 12 . 41 . 82

et tamen felix appellatur Arabia, falsi et ingrati cognominis. beatam illam fecit hominum etiam in morte luxuria quae dis intellexerant genita inurentium defunctis.

وفى موضع آخر 6.32. 162 يصف بلينى العرب بأنهم أكثر الأمم ثراءً فى العالم لأنهم يكنزون ثروات هائلة يحصلون عليها من الرومان والبارثيين لأنهم يبيعون لهم ما يحصلون عليه من (وراء) البحار أو من غاباتهم ولا يشترون شيئاً فى المقابل :

in universum gentes ditissimae, ut apud quas maximae opes Romanourm Parthorumque subsidant, vendentibus quae e mari aut silvis capiunt, nihil invicem redimentibus.

ولكن هذه العبارة الأخيرة التى تفيد بأن العرب لم يكونوا يشترون شيئاً من الرومان والبارثيين فى مقابل ما يبيعونه لهم تدحضها قوائم السلع والواردات التى كان العرب يستوردونها من الرومان فى مؤلف "الطوّاف" .

47)J. Thorley, " The Development of Trade between the Roman Empire and the East under Augustus," Greece & Rome, vol. 16, 1969, pp. 209 - 223, pp. 212 - 213.

48)ربما كان مما يدعم هذا التفسير كذلك أن مؤلِّف الطوّاف عند حديثه عن دور ميناء عدن (العربية السعيدة) حين كان مزدهراً وقبل أن يدمره قيصر ـ على حد قوله ـ أى فى أواخر عصر البطالمة وقبل ظهور الرومان فى المنطقة كان يلعب دور الوسيط التجارى الهام بين

مصر والهند لأن " السفن من الهند لم تكن تذهب إلى مصر كما لم تكن السفن المصرية تجرؤ على الإبحار إلى أماكن أبعد (من عدن)"٠

οτε μηπω απο της Ινδικης εις την Αιγυπτον ερχομενων μηδε απο Αιγυπτου τολμωντων εις τους εσω τοπους διαιρειν

واضح إذن أن إحجام بحارة السفن البطلمية فى القرن الأول ق٠م٠ لم يكن يرجع إلى جهلهم بالطريق أو بالرياح الموسمية ولكن لأنهم كانوا يخشون طرفا كان يعرقل هذه الرحلة ولم يكن من مصلحته الاتصال المباشر بين الطرفين وهم عرب الجنوب وربما لهذا الغرض كانوا يُرهِبون التجار والبحارة من مصر البطلمية من إكمال الإبحار شرقاً لذلك " لم يجرؤ " هؤلاء على الذهاب إلى الهند وقنعوا — فى معظم الأحيان — بالحصول على احتياجاتهم من السلع الهندية من خلال الوسطاء العرب ٠

49)L. Casson, PME, 24 :

Εξαγεται δε εξ αυτης (sc. Μουζης) εντοπια μεν, σμυρνα εκλεκτη και στακτη, Αβειρ<αια και> Μιναια, λυγδος και τα απο της περαν Αδουλι προειρημενα φορτια παντα.

والتعليق على محتويات هذه الفقرة pp. 154 - 65

50)Strabo 16. 4 . 4 :

μετα δε τας νησους ο εξης πλους εστιν εγκολπιζουσι παρα την σμυρνοφοραν επι την μεσημβριαν αμα και την εω.

51)Ibid., 16. 4. 14 :

απο δε της Δειρης η εφεξης εστιν αρωματοφορος, πρωτη μεν η την σμυρναν φερουσα.

52)Pliny, NH 12. 35. 69 :

genera complura : Trogodytica silvestrium prima, sequens Minaea, in qua et Astramitica est et Gebbanitica et Ausaritis Gebbanitarum regno tertia Dianitis, quarta collatica, quinta Sambracena a civitate regni Sabaeorum mari proxima, sexta quam Dusiritim vocant.

عن تحديد أماكن هذه المسميات القديمة أنظر :

Gus W. Van Beek, " Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia" , Journal of the American Oriental Society, vol. 75(3), 1958, pp. 141 - 152, p. 143 - 44.

53)Pliny, NH 12. 45. 68 :

non dant ex murra portiones deo, quoniam et apud alios nascitur ; regi tamen Gebbanitaram quartas partes eius pendunt.

54)G.W. Van Beek, Art. Cit., p. 144.

55)Pliny 12. 33. 66 :

Murram in iisdem silvis permixta arbore nasci tradidere aliqui, plures separatim ; quippe multis locis Arabiae gignitur, ut apparebit in generibus.

56) عن مدى جودة هذا النوع الإفريقى من المر البرى رأينا كيف صنَّفه بلينى فى المرتبة الأولى ، كما يذكر فى موضع آخر أن السبئيين كانوا يعبرون البحر للحصول عليه من موطنه

12 . 33. 66

convehitur et ex insulis laudata, petuntque eam etiam ad Trogodytas Sabaei transitu maris.

57)Van Beek, Art. Cit., p. 143

58)Ibid., p. 144 : " Thus classical sources, as well as modern invistigation indicate that the production of myrrh was confined to the southwest corner of Arabia "

59)L. Casson, PME, 27:

εμποριον εστιν ετερον παραθαλασσιον Κανη, βασιλειας Ελεαζου, Χωρας Λιβανωτοφορου...

πας δ ο γεννωμενοσ εν τη χωρα λιβανος εις αυτην ωσπερ εκδοχειον εισαγεται καμηλοις τε και σχεδιαις εντοπιαις δερματιναις εξ ασκων και πλοιοις.

60)Ibid., 29 :

Μετα δε Κανη...... αλλοσ εκδεχεται βαθυτατος κολπος, επι πολυ παρεκτεινων, ο λεγομενος Σαχαλιτης, και Χωρα Λιβανωτοφορος........

εστιν δε τα δενδρα τα λιβανοφορα ου μεγαλα λιαν ουδε υψηλα.......

Μεταχειριζεται δε ο λιβανοσ υπο δουλϖν βασιλικϖν και τϖν υπο τιμϖριαν πεμπομενϖν.

61)Ibid., 30 :

Τουτο<υ> δ εστιν ακρϖτηριον του κολπου μεγιστον, αποβλεπον εισ ανατολην, ο καλουμενος Συαγρος, εφ ου φρουριον εστι της χϖρας και λιμην και αποθηκη του συναγομενου λιβανου.

62)Ibid., 32 :

...... και μετ αυτουσ ορμος αποδεδειγμενος του Σαχαλιτου λιβανου προς εμβολην, Μοσχα λιμην λεγομενος......

παρα τϖν βασιλικϖν προς οθονιον και σιτον και ελαιον λιβανον αντφορτιζουσιν παρ ολον δε τον Σαχαλιτην.

63)Pliny the Elder, HH 12. 30. 51 - 52 :

tura praeter Arabia nullis, ac ne Arabiae quidem universae. in medio eius fere sunt Astramitae, pagus Sabaeorum, capite regni Sabota in monte excelso, a quo octo mansionibus distat regio eorum turifera Sariba appellata - hoc significare Graeci mysterium dicunt.

64)Ibid., 12. 30-54 :

nec praeterea Arabum alii turis arborem viderunt, ac ne horum quidem omnes, feruntque III non amplius

esse familiarum quae ius per successiones id sibi vindicent, sacros vocari ob id, nec ullo congressu feminarum funerumque, cum indicant eas arbores ut metant, pollui, atque ita religione merces augeri.

65)Ibid., 12. 23. 63 :

Tus collectum Sabotam camelis convehitur, porta ad id una patente ; degredi via capital reges facere, ibi decumas deo quem vocant Sabin mensura, non pondere, sacardotes capiunt, nec ante mercari licet ;

66)Gus W. Van Beek, Art. Cit., p. 142 and note 9.

67)L. Casson, PME, 27 :

Τρουλλας, απο σταδιϖν εκατον εικοσι της Κανης, Υπερκειται δε αυτης μεσογειος μητροπολις Σαυβαθα, εν η και ο βασιλευς κατοικει. πας δ ο γεννϖμενος εν τη χϖρα λιβανος εις αυτην ϖσπερ εκδοχειον εισαγεται ....

أنظر كذلك هامش رقم ٥٩ أعلاه ٠

68)إن ما ورد فى فقرات بلينى المقتبسة ـ وخاصة حول اهتمام ملوك حضرموت بضورورة نقل محصول اللبان كله إلى شبوة أولاً واعتبار عدم الامتثال لهذه الأوامر الملكية فى هذا الصدد جريمة كبرى ـ يشير بوضوح إلى احتكار ملكى للسلعة ٠ كما أن ما ورد عند الطواف عن العبيد الملكيين والمسجونين الذين يقومون بجمع المحصول من غابات اللبان فى إقليم خليج " ساخاليتيس " ، وكذلك

تعامل التجار مع " الوكلاء الملكيين " وحصولهم على اللبان منهم مقابل سلعهم يشير بوضوح إلى هذا الاحتكار الملكى للبان .

69)L. Casson, PME, 33 :

< Απο δε Μοσχα > λιμενοs επ αλλουs σταδιουs ωs χιλιουs πεντακοσιουs εωs Ασιχωνοs αχρι <οροs> τη γη παρατεινει και κατα το απεληγον αυτου μεροs επτα νησοι προκεινται κατα το εξηs, αι Ζηνοβιου λεγομεναι μεθ αs αλλη παρακειται χωρα βαρβαροs ουκετι τηs αυτηs βασιλειαs αλλ, ηδη τηs Περσιδοs.

70)Ibid ., note on 29 : 9. 22 - 23, pp. 165 - 66.

71)Ibid.; Van Beek, Art. Cit., p. 142 and note 10.

72)Jacqueline Pirenne, " The Incense Port of Moscha (Khor Rori) in Dhofar" , Journal of Oman Studies, vol. 1, 1975, pp. 81 - 96 , p. 95 .

73)Claudius Ptolemaeus (Ptolemy), Geography, 6.7.10:

Αδραμιτων Χωραs

Ηβισμα πολιs .... πβ ια δ

سأكتفى بذكر أهم الموانئ التى تعنينا على هذا الساحل ومواقعها ولن أذكر كل المواقع التى أوردها بطلميوس :

Κανη εμποριον και ακρον ....πδ ιβ

Θιαλληλα κωμη ....πζ ιδ

Μοσχα λιμην ....πη ιδ

Συαλρος ακρα ....ϑ ιδ

ثم الفقرة التالية مباشرة عند بطلميوس (11 7 . 6) والخاصة بمواقع " الساخاليتيين "

Σαχαλιτων

Μετακον κωμη	πη	ι5	
Αυσαρα πολις	πζ γ	Ι5	δ
Αγγη κωμη	πζ	ιξ	

ثم ترد بعد ذلك مواقع عديدة سأذكر آخرها وهو :

Κοροδαβον	ϑ γ	κ	δ

74)J. Pirenne, loc. cit.

75)Ibid., p. 82 .

76)Ibid., pp. 85 - 87 .

77)Strabo 16. 4. 25 :

του δε λιβανου βελτιστον τον πορs τη Περσιδι.

78)L. Casson, PME 32 :

.... Του Σαχαλιτου λιβανου προs εμβοληn, Μοσχα λιμην λεγομενοs, ειs ην απο Κανη συνηθωs πλοια πεμπεται τινα και παραπλεοντα απο Λιμυρικηs η Βαρυγαζων .... κτλ.

79)See for example, Van Beek, Art. Cit., p. 142, note 12.

ويبدو أن الأمر فعلاً كان خطأ غير مقصود من سترابون لأنه ذكر فـي موضع آخر أن أجود أنواع اللبان تأتى من المنطقـة المجـاورة لأمـلاك الفرس ويقصد بها ـ على الأرجح ـ إقليم ظفار (أقصى شـرق حضـر موت) (أنظر هامش ٧٧ أعلاه) .

80)Strabo 16 . 4. 4:

μετα δε τας νησους ο εξησ πλους εστιν εγκολπιζουσι παρα την σμυρνοφορον επι την μεσημβριαν αμα και την εω μεχρι προς την το κινναμωμον φερουσιν, οσον πεντακισχιλιων σταδιων.

81)Ibid., 16 . 4. 25 :

........γινεσθαι φασι κασσιαν δε και εκ λιμνων. τινες δε την πλειω εξ Ινδων ειναι,

ويذكر فى موضع آخر (15 . 1. 22) أن جنوب الهند وبـلاد العـرب وإثيوبيا كانت تنتج النوع الأخير من القرفة (الكينامون) :

εχειν δε και κινναμωμον και ναρδον και τα αλλα αρωματα την νοτιον γην Ινδικην, ομοιως ωσπερ την Αραβιαν και την Αιθιοπιαν,

82)Pliny, NH 12 . 41 . 82 :

Non sunt eorum cinnamomnum aut casia, et tamen felix appellatur Arabia.

83)L. Casson, PME 8. 10. 12, 13.

هذه الموانئ المذكورة هى مالاو وموندو وموسيللون وتاباى (عن تحديد مواقعها الحالية على الساحل الشمالى للصومال أنظر تعليقات كاسون على هذه الفقرات) ٠ عن موسيللون كميناء لتصدير الكاسيا عند الطواف : انظر : PME 10 ٠

κειται το Μοσυλλον εν αιγιαλϖ δυσορμϖ......
Εξαγεται δε απο τϖν τοπϖν κασιας χυμα πλειστον <δι> ο και μειζονϖν πλοιϖν χρηζει το εμποριον.

84)Ibid., 8. 10. 11, 12 .

85)Ibid., note on 8 : 3. 30 - 31 : 5 . 4 " cassia" , p. 123.

86) هناك قاموس علمى فى علم النبات صادر عن جامعة كمبردج يؤكد هذه الحقيقة العلمية وهى أن القرفة بأنواعها تنمو فى المناطق الواقعة شرق وجنوب شرق آسيا حتى استراليا أنظر :

D. J. Mabberley, The Plant - book, Cambridge University Press, 1983, pp. 126 - 127 "Cinnamomum".

87)L. Casson, loc. cit. ; J. Thorley (no. 47 above) art. cit., pp. 217 - 218 ; Van beek, art. cit., p. 147 .

88)Pliny, NH 12. 42. 85 - 86 .

89)Ibid., 12 . 42 . 86 - 88 :

omnia falsa, siquidem cinnamomum idemque cinnamum nascitur in Aethiopia Trogodytis conubio permixta. hi mercantes id a conterminis vehunt per maria vasta ratribus quas neque gubernacula regant neque remi impellant vel trahant vela, ne ratio ulla

adiuvet : omnium instar ibi sunt homo tantum et audacia. praeterea hibernum mare eligunt circa brumam, euris tum maxime flantibus. hi recto cursu per sinus inpellunt atque a promunturii ambitu argestae deferunt in portum Gebbanitarum qui vocatur Ocilia. quamobrem illi maxime id petunt, produntque vix quinto anno reverti negotiatores et multos interire. contra revehunt vitrea et aëna, vestes, fibulas cum armilis ac monilibus ; ergo negotiatio illa feminarum maxime fide constat.

90)PME 25

فى هذه الفقرة من الطوّاف يتحدث المؤلّف عن " أوكيليا " بوصفها قرية عربية ساحلية تابعة لإقليم المعافر التابع للملك شرحبيل ملك الحميرين والسبئيين وصديق أباطرة الرومان (الفقرات ٢٢ ، ٢٣) ، وهذه القرية لم تكن ميناءً ــ كما يذكر الطوّاف ــ بل مجرد مرفأ ومحطة للتزود بالمياه لمن سيواصلون الرحلة بعدها :

κατα τουτον τον ισθμον παραθαλασσιος εστι Αραβιων κωμη της τυραννιδος Οκηλις, ουχ ουτως εμποριον ως ορμος και υδρευμα και πρωτη καταγωγη τοις εσω διαιρουσιν.

91)PME 21 :

το μεν ολον Αραβων, ναυκληρικων ανθρωπων και ναυτικων , πλεοναζον [δε] και τοις απο εμποριας πραγμασι κινειται. συγχρωνται γαρ τη του περαν εργασια.

92)A. F. L. Beeston, " The Mercantile Code of Qataban ", Qahtan Studies in Old South Arabian Epigraphy, Fasc. 1, 1959, pp. 2 - 16.

93) أنظر الهامش رقم ٩٠ أعلاه للتعرف على هذه التقسيمات السياسية فى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، وكذلك تعليق كاسون على الفقرات ٢٢ ، ٢٣ من مؤلف " الطوّاف " فى كتابه عن هذا المؤلف ص ١٤٨ - ١٥١ . وللتعرف على التقسيمات السياسية لمناطق الجنوب العربى وتغير موازين القوى فيما بينها إبان الفترة الهللينستية والرومانية (من القرن الرابع ق.م. حتى القرن الثالث الميلادى وما بعده) أنظر :

جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الأسلام ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، فبراير سنة ١٩٨٠ .

وانظر كذلك :

J. Ryckman, " Petits Royaumes Sud-arabes d'aprés les auterus classiques" , Le Muséon 70 (1957), pp. 75 - 96; J. Pirenne, Le Royaume Sud-arabe de Qataban, ..., Louvain, 1961 ; Van Beek, Art. Cit., pp. 149 - 151.

94)PME 16 :

Νεμεται δε αυτην (sc. Αζανιαν), κατα τι δικαιον αρχαιον υποπιπτουσαν τη βασιλεια της πρωτης γενομενης Αραβιας, ο Μαφαριτης τυραννος. Παρα δε του βασιλεως υποφορον αυτην εχουσιν οι απο Μουζα και πεμπουσιν εις αυτην εφολκια, τα πλειονα κυβερνηταις και

χρειακοις [και] Αραψιν χρωμενοι τοισ κατα συνηθειαν και επιγαμβρειαν εχουσιν εμπειροις τε ουσιν των τοπων και τησ φωνης αυτων.

95)Ibid., 27 :

Εχει δε και (sc. Κανη) αυτη [ν] συγχρησιν των του περαν εμποριων, Βαρυγαζων και Σκυθιας και Ομανω<ν> και της παρακειμενης Περσιδος.

عن تحديد مواقع هذه الأماكن أنظر :

L. Casson, PME, Introduction (Trade with India) pp. 21-27, and (Political Geography), pp. 45 - 47.

أنظر كذلك الفقرة التالية من " الطواف " PME 28 :

Εξαγεται δε εξ αυτης εντοπια μεν φορτια, λιβανος και αλοη, τα δε λοιπα και μετοχην των αλλων εμποριων.

96)J. Thorley, art. cit., p. 217 - 218 .

97)Pliny, NH 12. 32. 59 :

Silva divisa certis portionibus mutua innocentia tuta est : nemoque saucias arbores custodit, nemo furatur alteri. at, Hercules, Alexandriae, ubi tura interpolantur, nulla satis custodit dibigentia officians ! subligaria signantur opifici, persona additur capiti densusve retculus, nudi emittuntur : tanto minus fidei

apud hos (nos) poma (read : poena) quam apud illos silvae habent.

98)W.W. Müller, "Notes on the use of frankincense in South Arabia, ", Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 9 , 1976 , pp.124 - 136 , pp. 124, 132.

99)Strabo 16. 4. 24 :

εκ μεν ουν της Λευκης κωμησ εις Πετραν, εντευθεν δ εις Ρινοκολουρα της προς Αιγυπτω Φοινικης τα φορτια κομιζεται, καντευθεν εις τους αλλους. νυνι δε το πλεον εις την Αλεξανδρειαν, τω Νειλω.

100)Van Beek, art. cit., p. 145 ; Müller, art. cit., p. 125 ; A.F.l. Beeston, " Some Observations on Greek and Latin Data relating to South Arabia " , Bulletin of the School of Oriental and African Studies 62, 1979, pp. 7 - 12 .

101) Strabo 16. 4. 4 :

Φερει δε λιβανωτον μεν η Κατταβαναι, σμυρναν δε η Χατραμωτιτις. και ταυτα δε και τα αλλα αρωματα μεταβαλλονται τοις εμποριοις. ερχονται δε προς αυτους εξ Αιλανων μεν εις Μιναιαν εβδομηκοντα ημεριας. εστι δε η Αιλανα παλις εν θατερω μυχω του Αραβιου καλπου. τω κατα Γαζαν τω Αιλανιτη καλουμενω.

102)Ibid.

Γερραιοι (in one manuscript, in other manuscripts Γαβαιοι. so read Γαβαιοι) δ εισ την Χατραμϖτιτιν εν τετταρακοντα ημεραις αφικνουνται.

103)PME 19

εστιν ετερος φρουριον, δ λεγεται Λευκη κϖμη, δι ης εστιν εις Πετραν προς Μαλιχαν βασιλεα Ναβαταιϖν, <αναβασις> . Εχει δε εμποριου τινα και αυτη ταξιν τοις απο της Αραβιας εξαρτιζομενοις εις αυτην πλοιοις ου μεγαλοις.

أما عن موقع " ليوكى كومى " وتحديده أنظر كاسون علـى هذه الفقرة من " الطواف " فى كتابـه ص ١٤٣ - ١٤٤ حيث يميل إلـى ترجيح موقع " العينونة " على أنها " ليوكى كومى " القديمة .

104)Pliny, NH 12 . 32. 65 :

evehi non potest nisi per Gebbanitas, itaque et horum regi penditur vectigal. caput eorum Thomna abest a Gaza nostri litoris in Iudaea oppido XIIII LXXXVII D p., quod dividitur in mansiones camelorum LXV. sunt et quae sacerdotibus dantur portiones scribisque regum certae, sed praeter hos et custodes satellitesque et ostiarii et ministri populantur : iam quacumque iter est aliubi pro aqua aliubi pro pabulo aut pro mansionibus variisque portoriis pendunt,

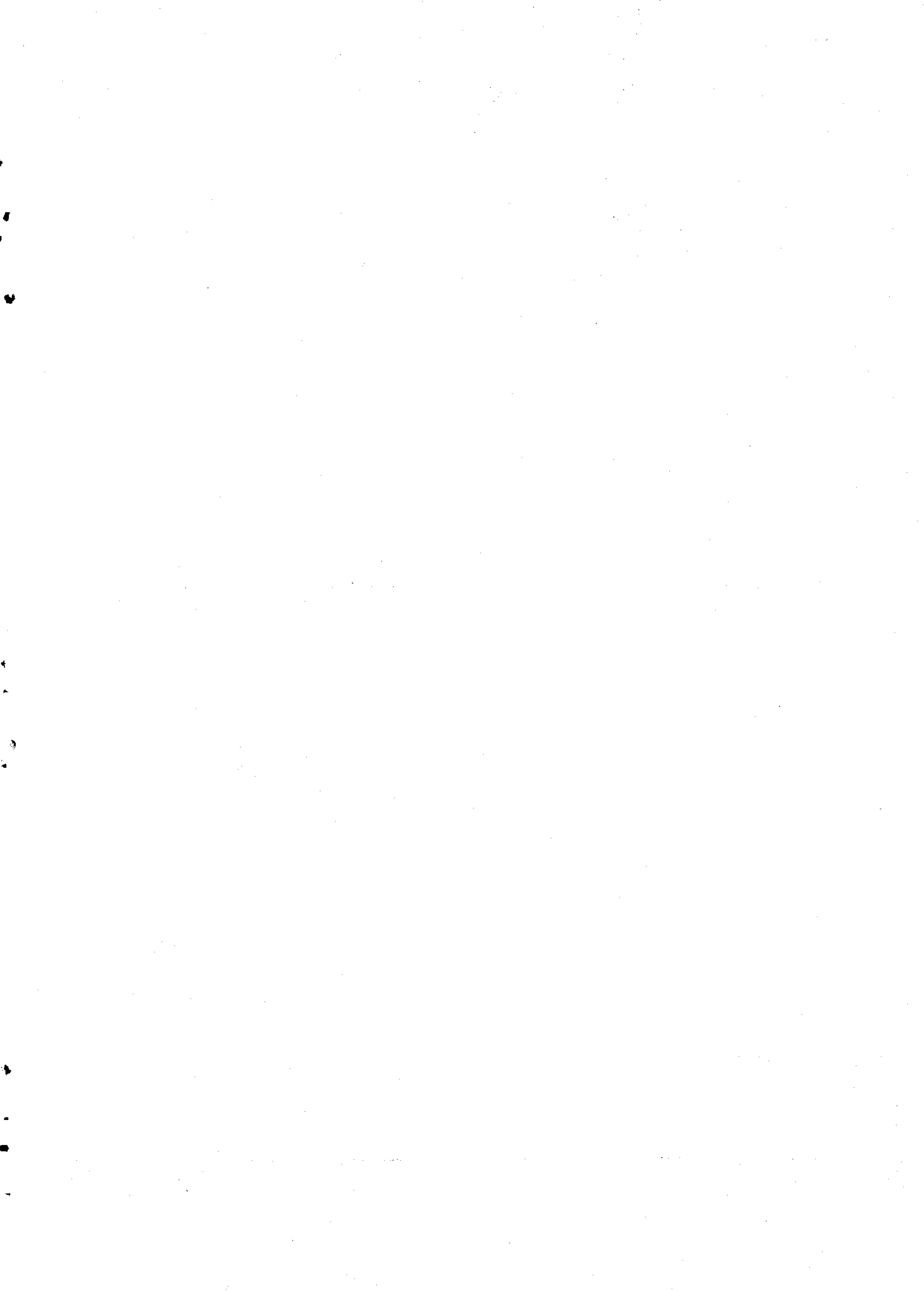
ut sumptus in singulas camelos X DCL XXXVIII ad nostrum litus colligat, iterumque imperii notri publicanis penditur. itaque optimi turis libra X VI pretium habet, secondi X V, tertii X III.

105)Ibid., 12 . 41. 84 :

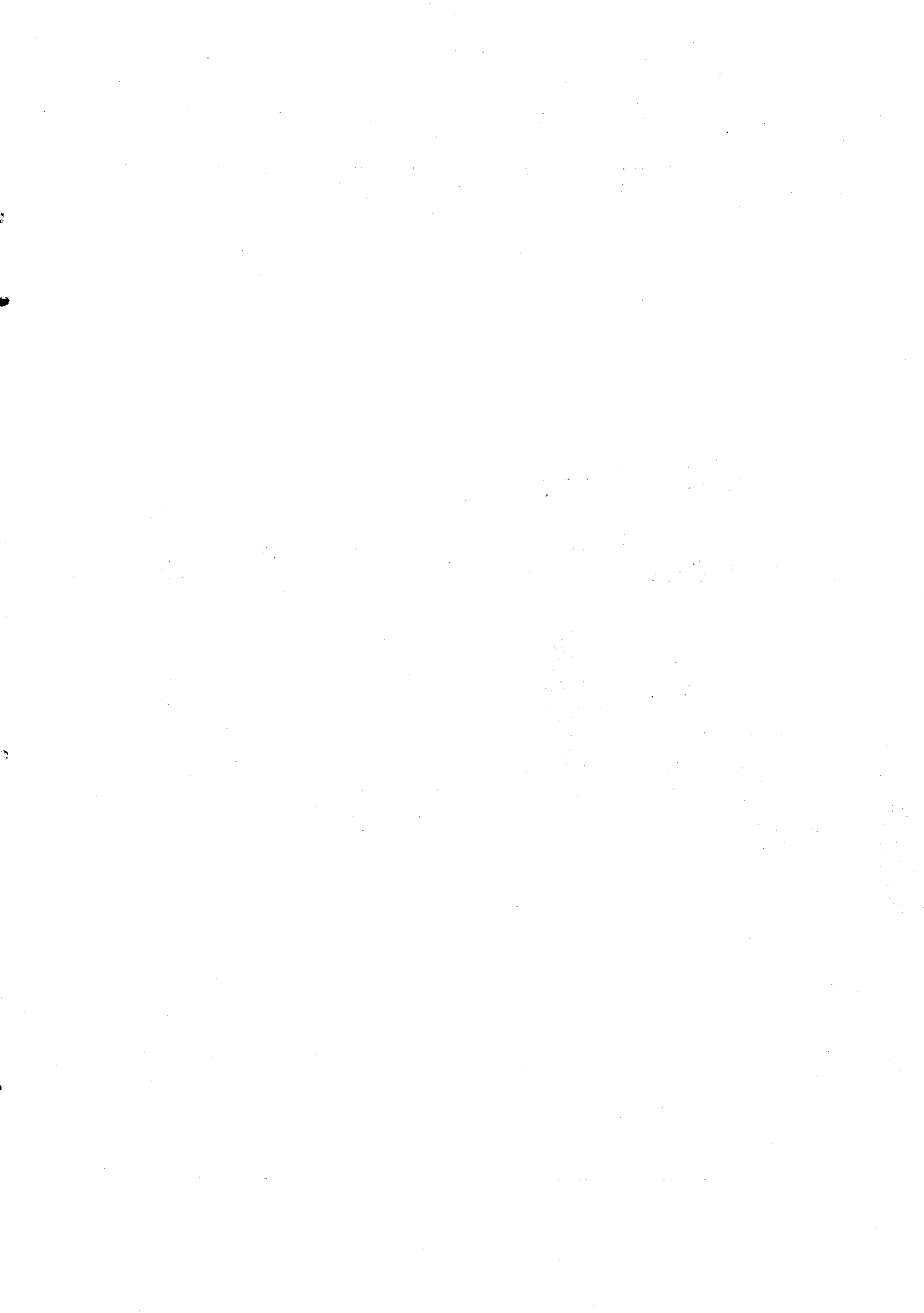
verum Arabiae etiamnum felicius mare est ; ex illo namque margaritas mittit.

106)Van Beek, art. cit., p. 149 ; S. Sidebotham, Roman Economic Policy ...., p. 16.

107)Ibid., p. 18.



مصادر ومراجع البحث



قائمة بالمصادر والمراجع

أولا : المصادر اليونانية واللاتينية :

أ - المصادر اليونانية :

⇒ Arrian, Anabasis

⇒ _______, Indica.

⇒ Diodorus Siculus, The Library of History, Book III.

⇒ Herodotus, Historiae, Book III.

⇒ Plutarch's Lives, Antony.

⇒ C. Ptolemy, Geography, Book VI.

⇒ Strabo, Geography Books XVI, XVII.

⇒ Theophrastus, Enquiry into Plants, Book IX.

وهذه المصادر ضمن سلسلة Loeb Classical Library

وهناك بالإضافة إليها من المصادر اليونانية المنشورة أنظر :

⇒ L. Casson, Periplus Maris Erythraei, Princeton, 1989.

⇒ C. Müller, Geographi Graeci Minores,

ب - المصادر اللاتينية (Loeb) :

⇒ Pliny the Elder, Naturalis Historia, Books VI, XII.

⇒ Tacitus, Annales, Book. III.

ثانياً : المصادر العربية ، وهى تتمثل فى مجموعة من النقوش بالخط المسند أو نقوش ثنائية اللغة (يونانية / معينية) نذكر منها :

⇒ A. F. L. Beeston, The Mercantile Code of Qataban (Qahtan Studies in Old South Arabian Epigraphy) fase. 1, (London ; Luzac & Co.), 1959 .

⇒ ____________, " A Minaean Market Code ", Bulletin of the School of Oriental and African Studies 41, 142 - 45

⇒ Ch. Clermont - Ganneau, " Inscription bilingue minéo - grecque, decouverte a Délos, " , Comptes - rendus de l'Académie des inscriptions et belles - letters, 1908, pp. 546-560.

بالإضافة إلى كتاب : الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

⇒ M.A.H. El-Abbadi, The life and fate of the ancient Library of Alexandria, Unesco, 1990.

⇒ F. Altheim and R. Stiehl, Die Araber in der alten Welt, Berlin, 1965.

⇒ ____________, Weltgeschichte Asiens im griechen Zeitalter, Halle, 1984.

⇒ R.S.Bagnall, The Florida Ostraca, Documents from the Roman Army in Upper Egypt, (Greek, Roman and Byzantine Studies, monograph 7) Durham : Duke University, 1976.

⇒ J. Ball, Egypt in the Classical Geographers, Cairo, 1942.

⇒ A.F.L. Beeston, " Some Observations on Greek and Latin Data Relating to South Arabia", Bulletin of the School of Oriental and African Studies 42, 1979 1 : 7 - 12.

⇒ A . Bernand, Les Inscriptions grecques de Philae, 1, Epoque ptolemaïque (Paris : Centre nationale de la recherche scientifique) , 1969.

⇒ __________, De Koptos à Kosseir, (Leiden : E.J.Brill), 1972.

⇒ __________, Le Paneion d'el-Kanaïs : Les Inscriptions grecques, (Leiden ; E. J. Brill), 1972.

⇒ A. Berthelot, " L'Arabie antique d'aprés Ptolemée", in Mélanges offerts à A. M. Desousseaux, Paris, 1937.

⇒ E. Bikerman, Les Institutions des Seleucids, Paris, 1938.

⇒ A. Bouché - Leclercq, Histoire des Seleucids (323-46 av. J.C.) . Paris, 1913.

⇒ G. W. Bowersock, Roman Arabia, (Cambridge, MA : Harvard Univ. Press), 1983.

⇒ E. Breccia, Inscriptiones Graecae Aegypti (Inscriptiones nunc Alexandriae in Museo), 1911 (re-edition of 1978 by Ares Publishers, Chicago).

⇒ L. Casson, The Ancient Mariners, (New York : NacMillan), 1959.

⇒ _________, " P. Vindob G. 40822, " Bulletin of the American Society of Papyrologists 23, 1986, 73 - 79.

⇒ _________, Ancient Trade and Society, Detroit, 1984.

⇒ M. P. Charlesworth, " Some Notes on the Periplus Maris Erythraei, " Classical Quarterly 22, 1928, pp. 92-100.

⇒ _________, Trade Routes and Commerce of the Roman Empire, 2nd rev. ed. (Chicago ; Ares Publishers), 1974.

⇒ R.E. Cheesman, " The Deserts of Jafura and Jabin", Geographical Journal 65, 1925, pp. 116 ff.

⇒ P.B. Cornwall, " Ancient Arabia : Explorations in Hasa, 1940 - 1941", Geographical Journal, 107, 1946 .

⇒ R. P. Duncan-Jones, "The Economy of the Roman Empire, Cambridge University Press, 1974.

⇒ A. Fakhry, An Archaeological Journey to Yemen (March-May 1947), Cario, 1951/52 .

⇒ C. Forester, The Historical Geograhpy of Arabia, London, 1844.

⇒ M. P. Fraser, Ptolemaic Alexandria, Oxford, 1972.

⇒ A. Fuks, "Notes on the Archive of Nicanor," Journal of Juristic Papyrology 5, 1951, 207-216.

⇒ J.F. Gilliam, "The Ostraca from Mons Claudianus", Chronique d'Egypte 28, 1953.

⇒ E. Glaser, Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens, Berlin, 1890.

⇒ P.V. Glob, Al Bahrain, Copenhagen, 1968.

⇒ N. Groom, "Gerrha: A "lost" Arabian City", Atal 6, 1984.

⇒ ________, "Eastern Arabia in Ptolemy's Map", Proceedings of the Seminar of Arabian Studies 16, 1986.

⇒ A. E. Hanson, "A Ptolemaic List of Aromata and Honey," Transactions of the American Philolgical Association 103, 1972, 161 - 166.

⇒ T.K. Joseph, "India, a Continuation of Egypt and Ethiopia, A Resumé," Journal of Indian History 26, 1948, 201 - 07.

⇒ W.E.N. Kensdale, "Three Thamudic Inscriptions from the Nile Delta," Le Mouséon 65, 1952, 285-290.

⇒ H. Kortenbeutel, Der ägyptische Süd-und Osthandel in der Politik der Ptolemäer und römischen Kaiser, Berlin, 1931.

⇒ E. Lamotte, "Les premiéres relations entre l'Inde et l'Occident." La Nouvelle Clio 5, 1953, 83-118.

⇒ D.J. Mabberley, The Plant-Book, Cambridge University Press, 1983.

⇒ H. I. MacAdam, Studies in the History of the Roman Province of Arabia (Manchester Univ. : Ph. D. dissertation), 1979.

⇒ D. Merdith, "Berenice Trogodytica," Journal of Egyptian Archaeology 43. 1957, 56-70.

⇒ __________, "Inscriptions from the Berenice - Road," Chronique d'Egypte 29, 1954, 281-87.

⇒ __________, "The Myos Hormos Road : Inscriptions and Ostraca," Chronique d'Egypte, 31, 1956, 356-362.

⇒ __________, "The Roman Remains in the Eastern Desert of Egypt", Journal of Egyptian Archaeology 38, 1952.

⇒ J. I. Miller, The Spice Trade of the Roman Empire 29 B.C. to A. D. 641, Oxford Clarendon Press, 1969.

⇒ T. Mommsen, The Provinces of the Roman Empire from Caesar to Diocletian, 2 vols., London, 1909.

⇒ L. Mooren, "The Date of SB V 8036 and the Development of the Polemaic Maritime Trade with India". Ancient Society 3, 1972, 127-133.

⇒ W.W.Müller, "The Inscriptions of the Hellenistic Bronze Statues from Nakhlat Al-Hamrá', Yemen," Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 9, 1979, 79-80.

⇒ ________, " Notes on the Use of Frankincense in South Arabia," Proceedings of the Seminar of Arabian Studies 9, 124-136.

⇒ W. Otto und Bengtson, Zur Geschichte des Niedergangs des Ptolemäerreiches. Ein Beitrage zur Regierungszeit des 8. und des 9. Ptolemäers (Abhandlungen der Bayerischen Akademie der Wissenchaften. Philosophisch - historische Abteilung, Neu Folge 17), 1938.

⇒ H. St. J. B. Philby, "Across Arabia : from the Persian Gulf to the Red Sea,"The Geographical Journal 56, 1920.

⇒ J. Pirenne, Le royaume sud-arabe de Qataban et sa datation (Bibliothéque de Muséon 47), Louvain, 1961.

⇒ ________, " The Incense Port of Moscha (Khor Rori) in Dhofar," Journal of Oman Studies, vol. 1, 1975, pp. 81-96.

⇒ D. T. Potts, The Arabian Gulf in Antiquity, Oxford Clarendon Press, 2 vols., 1990.

⇒ Cl. Préaux, Le Monde Hellenistique. La Grèce et l'Orient (323-146 av. J-C.), Paris, 1978.

⇒ ________,"Sur Les communications de l'Ethiopie avec l'Egypte hellenistique," Chronique d'Egypte, 27, 1952, 257-281.

⇒ M. G. Raschke, "Papyrological Evidence for Ptolemaic and Roman Trade with India," Proceedings of the 14th International Congress of Papyrologists, Oxford, 1974 (London, 1975), 241-246.

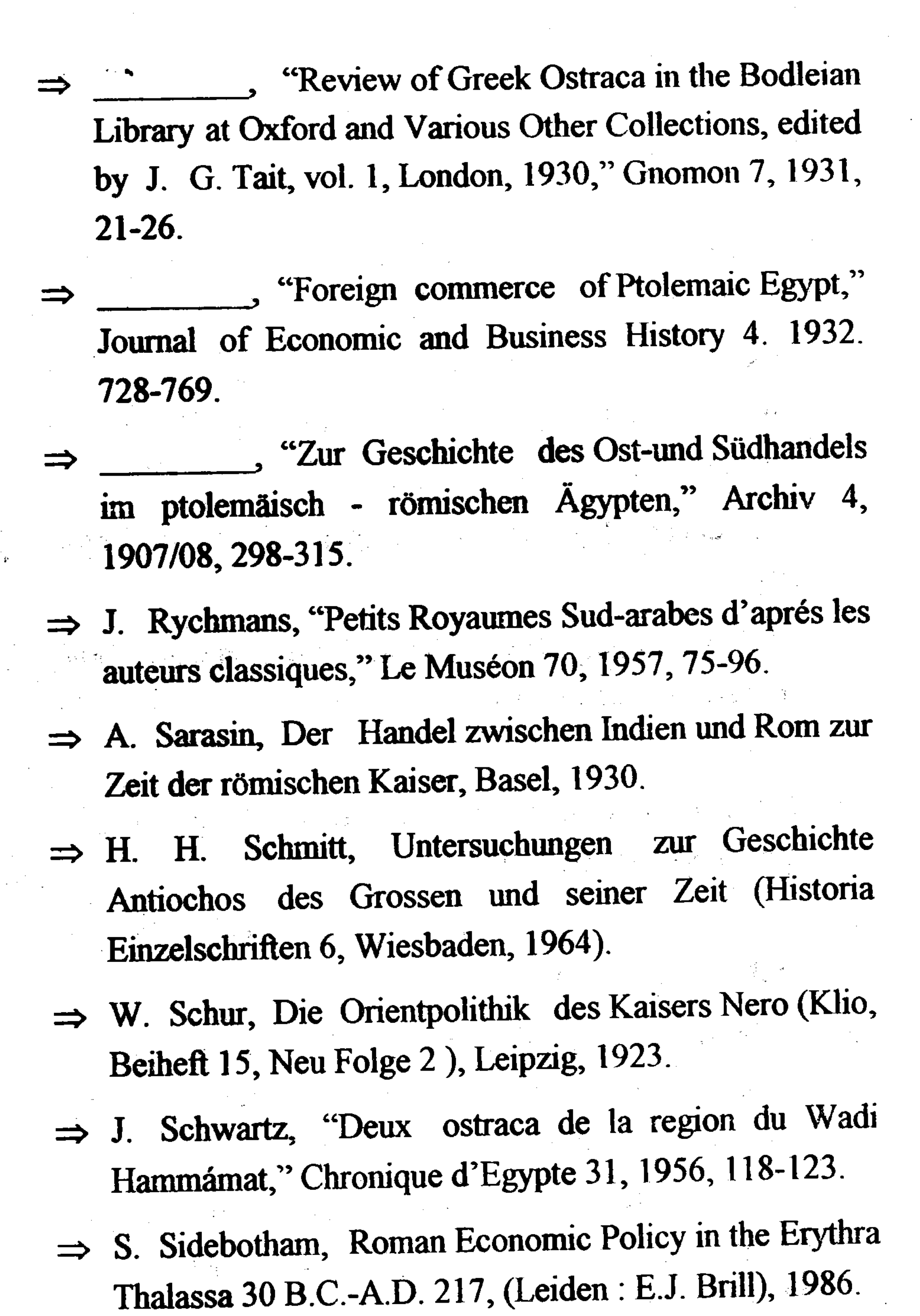
⇒ ________, "New Studies in Roman Commerce with the East" Aufstieg und Niedergang der römischen Welt, 2. 9. 2 1978, 604-1378.

⇒ E.E. Rice, The Grand Procession of Ptolemy Philadelphus, Oxford University Press, 1983.

⇒ M Rodinson, "Ethiopien et Sudarabique," Annuaire de l'Ecole pratique des hautes études, 1972-1973, pp. 163-165 ; 1974-1975, pp. 209-247.

⇒ M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic World.

⇒ ________, Social and Economic History of the Roman Empire.



⇒ ________, "Review of Greek Ostraca in the Bodleian Library at Oxford and Various Other Collections, edited by J. G. Tait, vol. 1, London, 1930," Gnomon 7, 1931, 21-26.

⇒ ________, "Foreign commerce of Ptolemaic Egypt," Journal of Economic and Business History 4. 1932. 728-769.

⇒ ________, "Zur Geschichte des Ost-und Südhandels im ptolemäisch - römischen Ägypten," Archiv 4, 1907/08, 298-315.

⇒ J. Rychmans, "Petits Royaumes Sud-arabes d'aprés les auteurs classiques," Le Muséon 70, 1957, 75-96.

⇒ A. Sarasin, Der Handel zwischen Indien und Rom zur Zeit der römischen Kaiser, Basel, 1930.

⇒ H. H. Schmitt, Untersuchungen zur Geschichte Antiochos des Grossen und seiner Zeit (Historia Einzelschriften 6, Wiesbaden, 1964).

⇒ W. Schur, Die Orientpolithik des Kaisers Nero (Klio, Beiheft 15, Neu Folge 2), Leipzig, 1923.

⇒ J. Schwartz, "Deux ostraca de la region du Wadi Hammámat," Chronique d'Egypte 31, 1956, 118-123.

⇒ S. Sidebotham, Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa 30 B.C.-A.D. 217, (Leiden : E.J. Brill), 1986.

⇒ P. J. Sijpesteijn, Customs Duties in Graeco-Roman Egypt, Zutphen, 1987.

⇒ H. Harrauer und P. J. Sijpesteijn, "Ein neues Dokument zu Roms Indienhandel, P. Vindob. G. 40822," Anzeiger der Osterreichen Akademie der Wissenschaften, phil. hist. kl. 122 (1985), 124-155.

⇒ M.Speidel, "The Eastern Desert Garrisons under Augustus and Tiberius", 10th International Congress of Roman Frontier Studies, Cologne, 1974, 511-515.

⇒ A.Sprenger, Die alte Geographie Arabiens, Berne, 1875.

⇒ J.Tait and others, Greek Ostraca in the Bodleian Library of Oxrord and various other collections, vol. 1 London, 1930.

⇒ W.W. Tarn, Hellenistic Civilization, Meridian Books, New York, 3rd ed., 1964.

⇒ ________, Ptolemy II and Arabia, "Journal of Egyptian Archaeology, 15, 1929, 9-25.

⇒ J. Thorley, "The Development of Trade between the Roman Empire and the East under Augustus," Greece & Roman second series 16, 1969, 209-223.

⇒ G.W. Van Beek, "Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia" Journal of the American Oriental Socity 78, 1958, 141-152.

⇒ E.H.Warmington, The Commerce between the Roman Empire and India, Cambridge Uninversity Press, 1928.

⇒ K. Wellsley,"The Fable of a Roman Attack on Aden," Parola del Passato 9, 1954, 401-405 .

⇒ L. C.West, "Phases of Commercial Life in Roman Egypt," Journal of Roman Studies 7, 1917, 45-58.

⇒ R. E. M. Wheeler and Others, Rome Beyond the Imperial Frontiers, London, 1954.

⇒ U. Wilcken, "Punt-Fahrten in der Ptolemäerzeit" Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumsknde 60, 1952, 86-102.

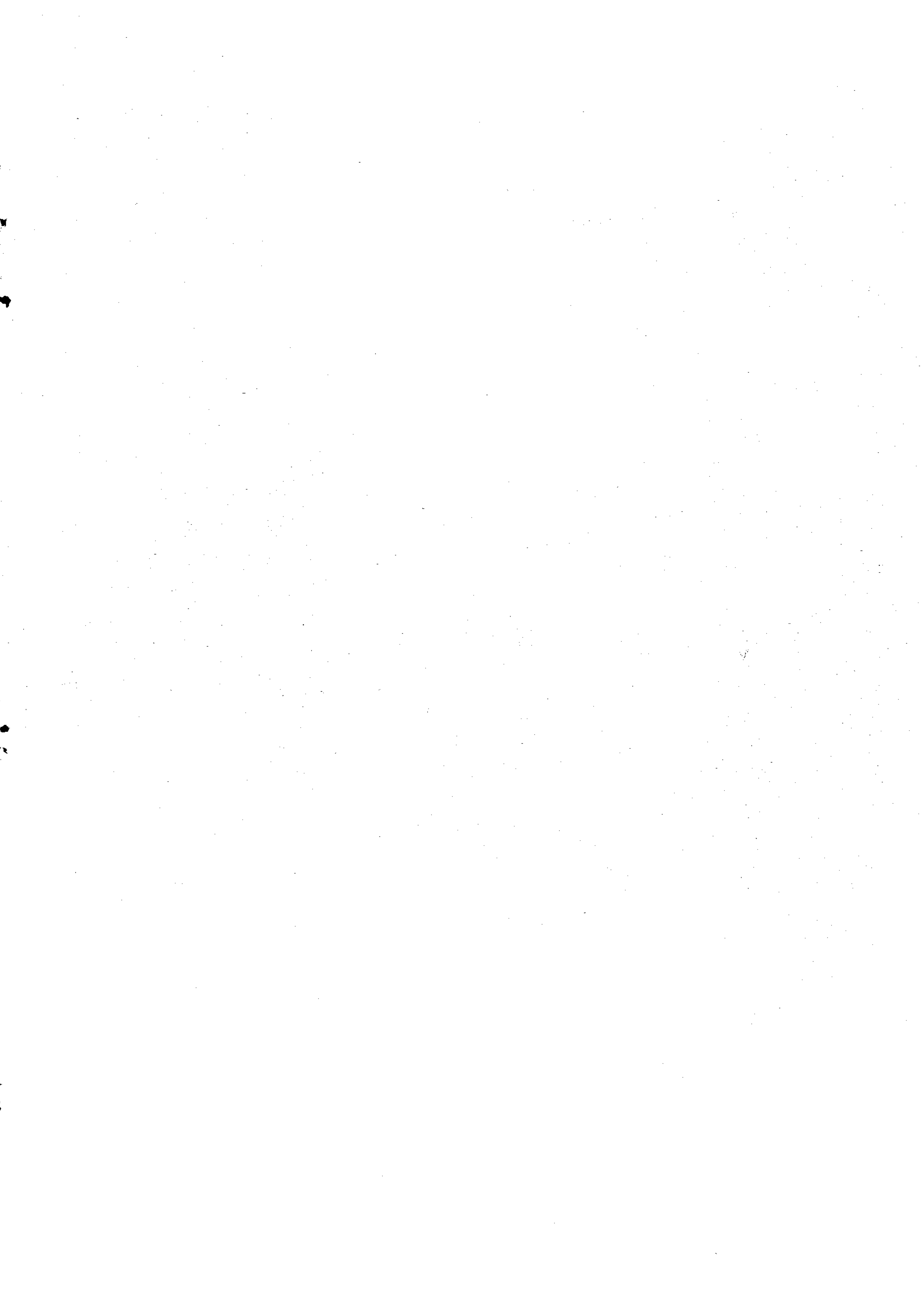
رابعاً : المراجع العربية :

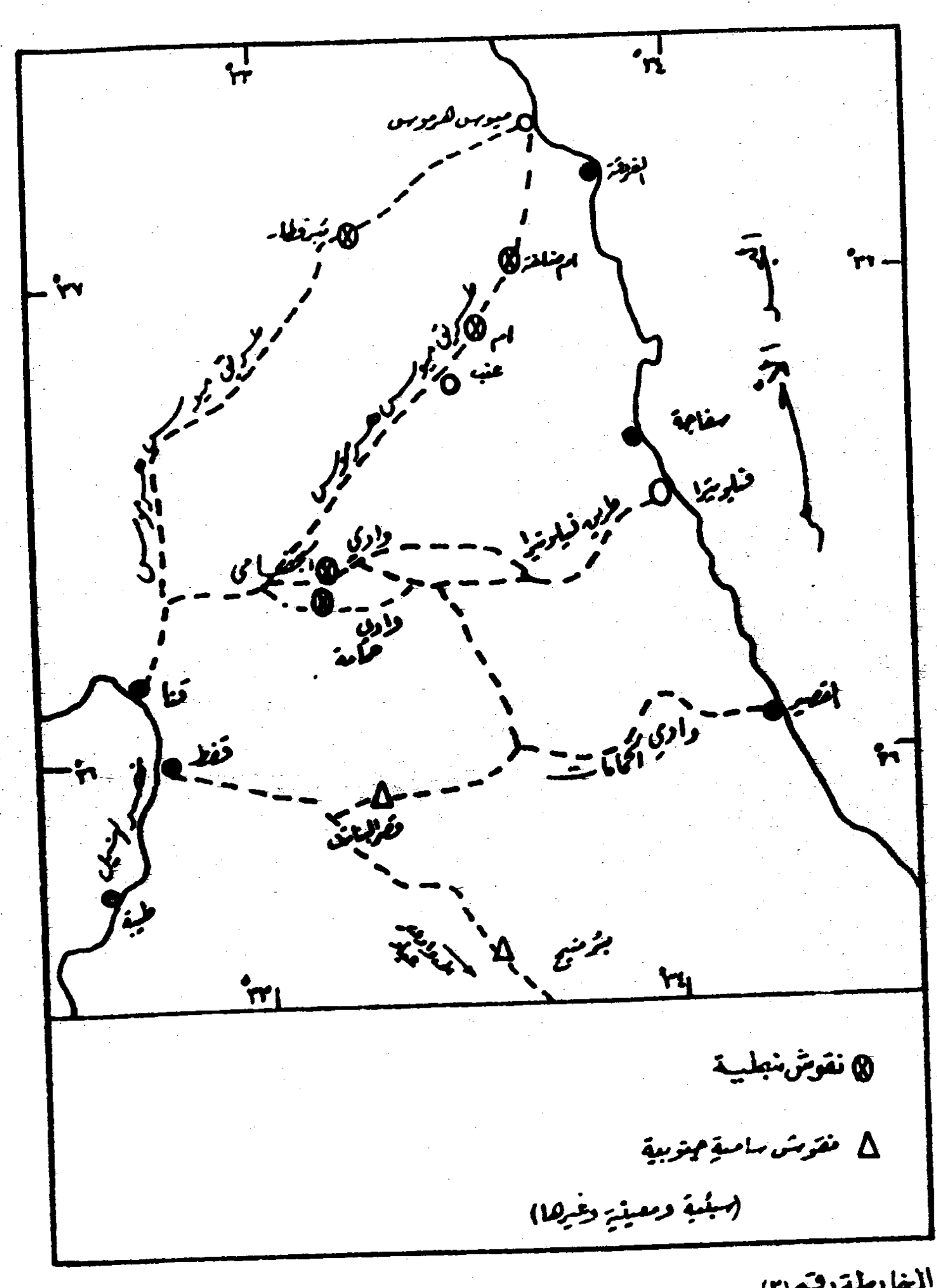
⇐ جواد علـى : المُصّل فـى تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام ، الجـزء الثـانى (الطبعة الثالثة) ، بيروت ، ١٩٨٠ .

⇐ حورانى ، جورج فاضلو : العرب والملاحة فى المحيط الهندى (ترجمة د. السيد يعقوب بكر ـ مكتبة الأنجلو ـ القاهرة ـ ١٩٥٨) .

⇐ عبد الرحمن الأنصارى : قرية الفاو : صورة من حضارة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الرياض ، ١٩٨٠ .

⇐ عبد العليم ، مصطفى كمال : " تجارة الجزيـرة العربيـة مـع مصـر فـى المواد العطرية فـى العصريـن اليونـانى والرومـانى " ــ النـدوة الدوليـة لدراسـة تـاريخ الجزيـرة العربيـة ـــ الكتـاب الأول ، الجـزء الثـانى ، الرياض ، ١٩٨٠ ، ص ٢٠١ ـ ٢١٣ .



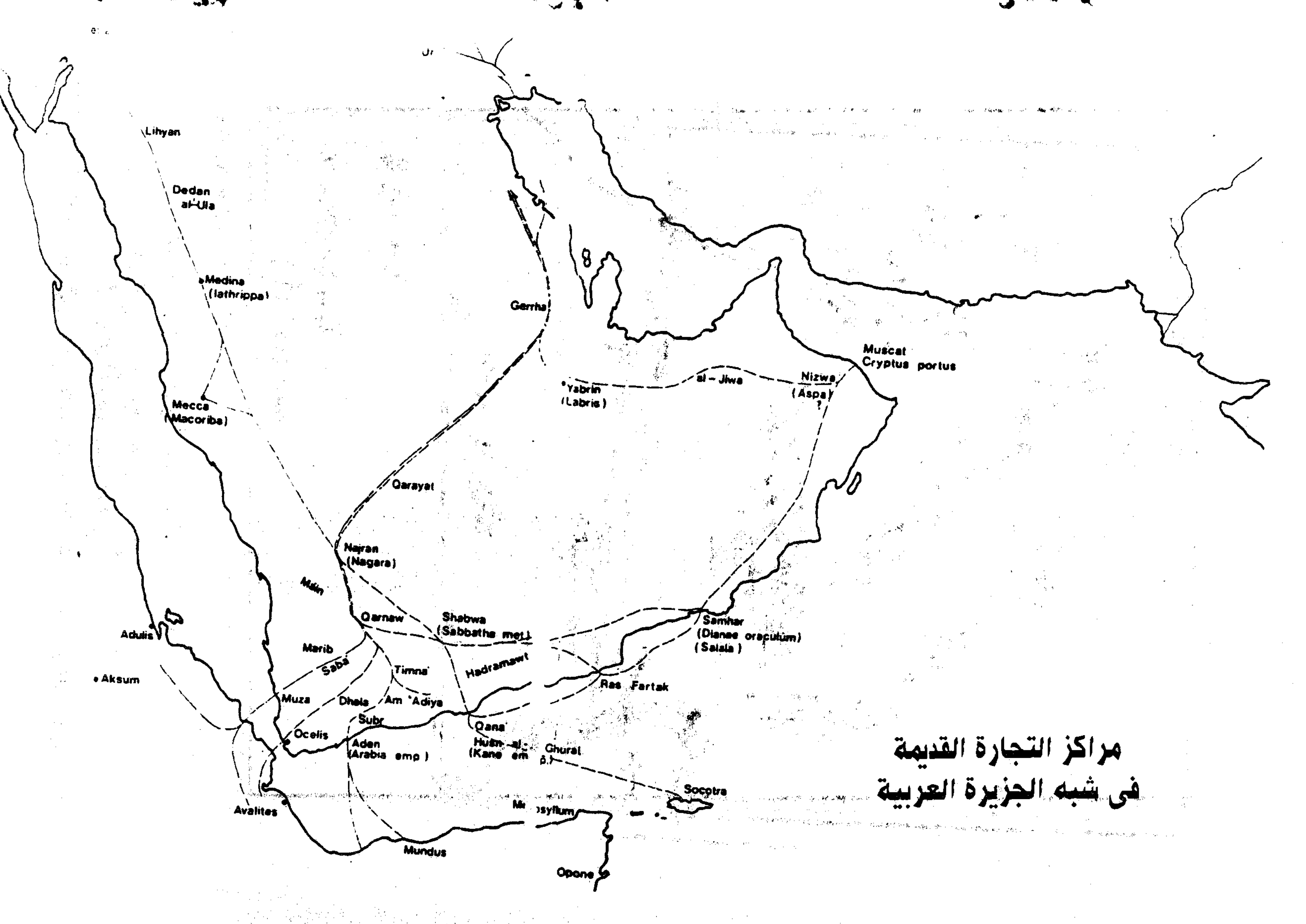


الخارطة رقم (٢)

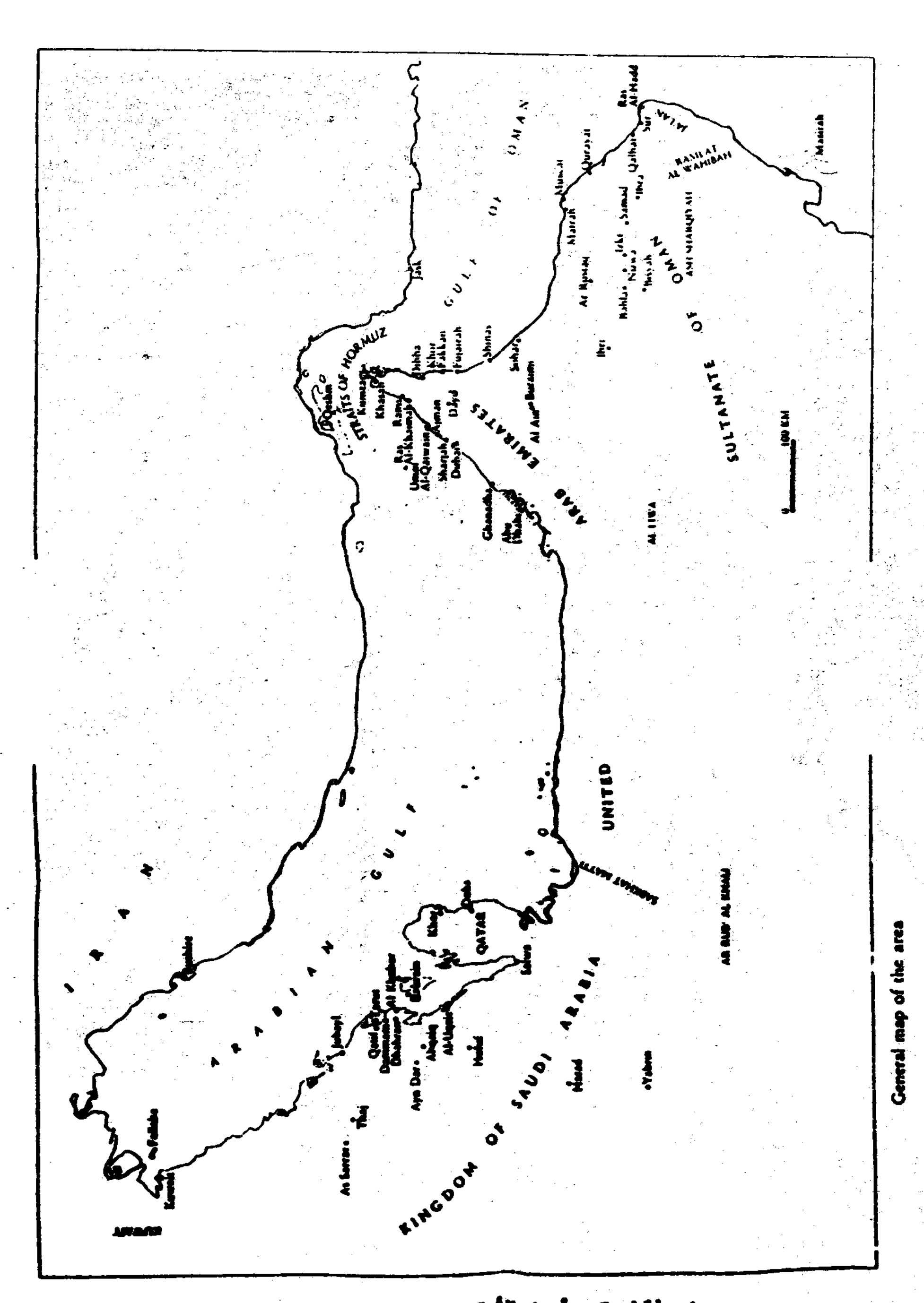
الخارطة توضح المناطق الرئيسية للنقوش العربية القديمة فى صحراء مصر الشرقية.

د. عبد المنعم عبد الحليم سيد

« البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة » دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٩٢

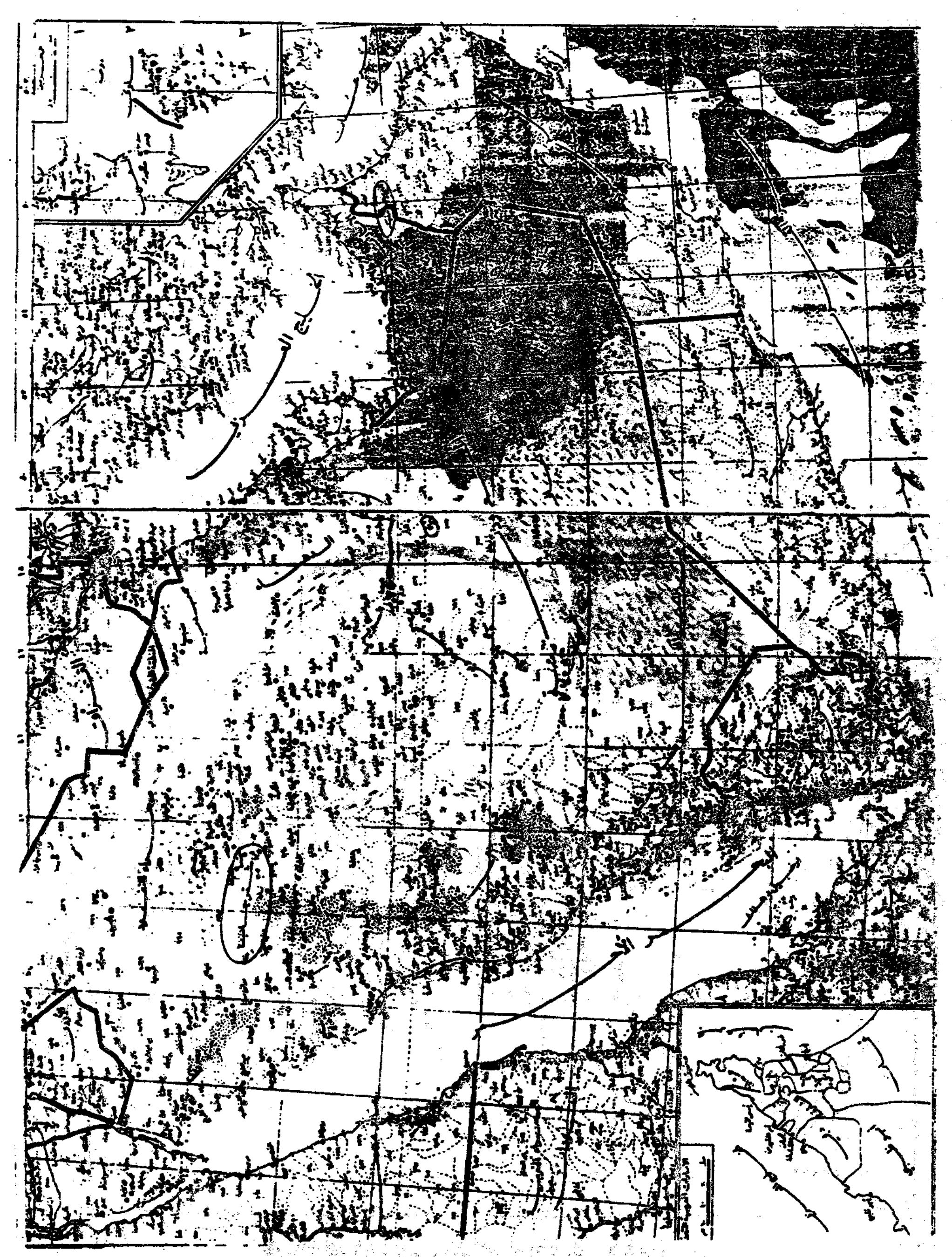


مراكز التجارة القديمة
فى شبه الجزيرة العربية



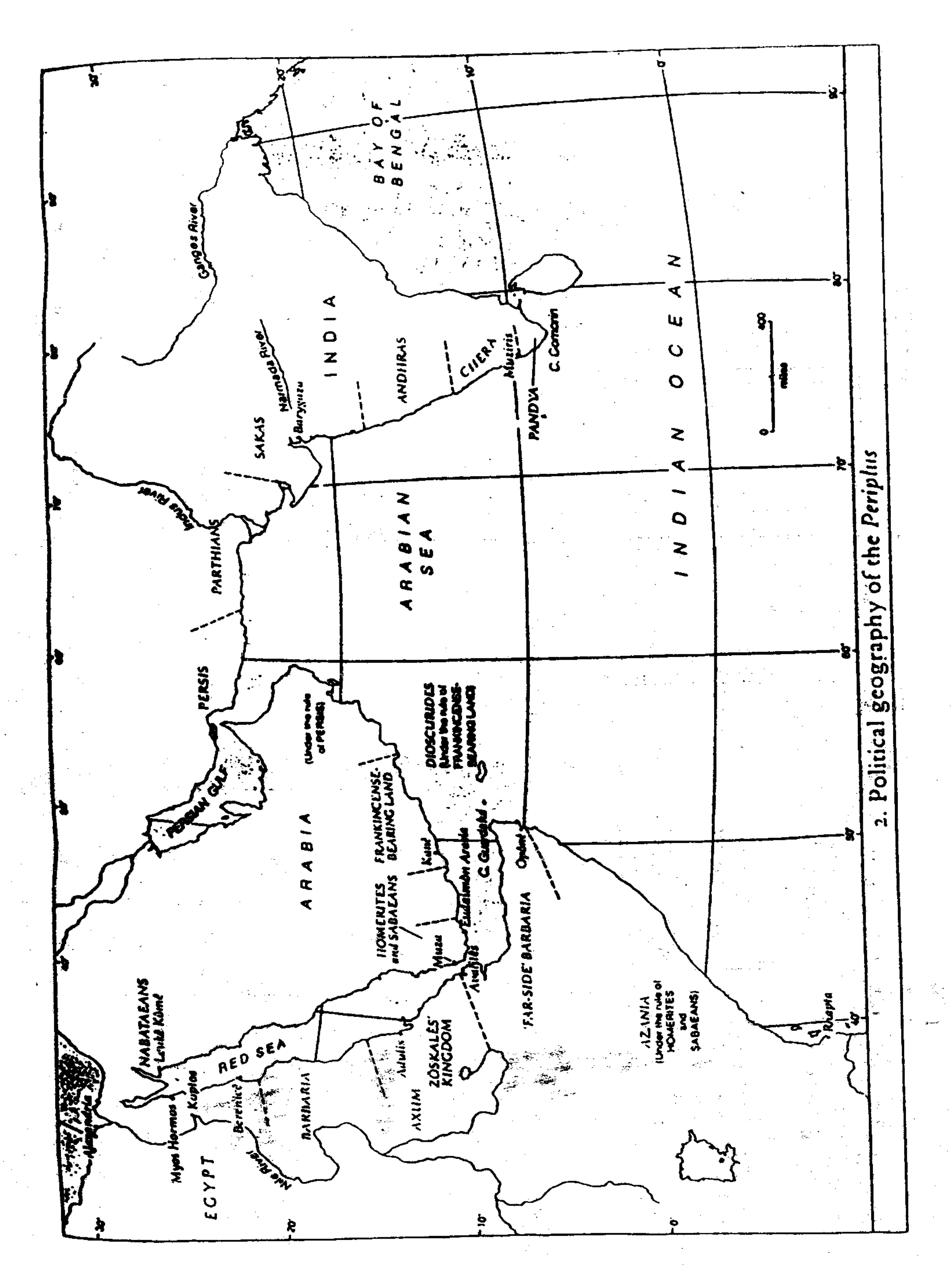
خريطة لمواقع وأسماء الأماكن المطلة على الخليج العربي :

D. T. Potts , The Arabian Gulf in Antiquity , Oxford , 1990 .



شارل جورج بدران : أطلس العالم ، بيروت ، ١٩٧٨

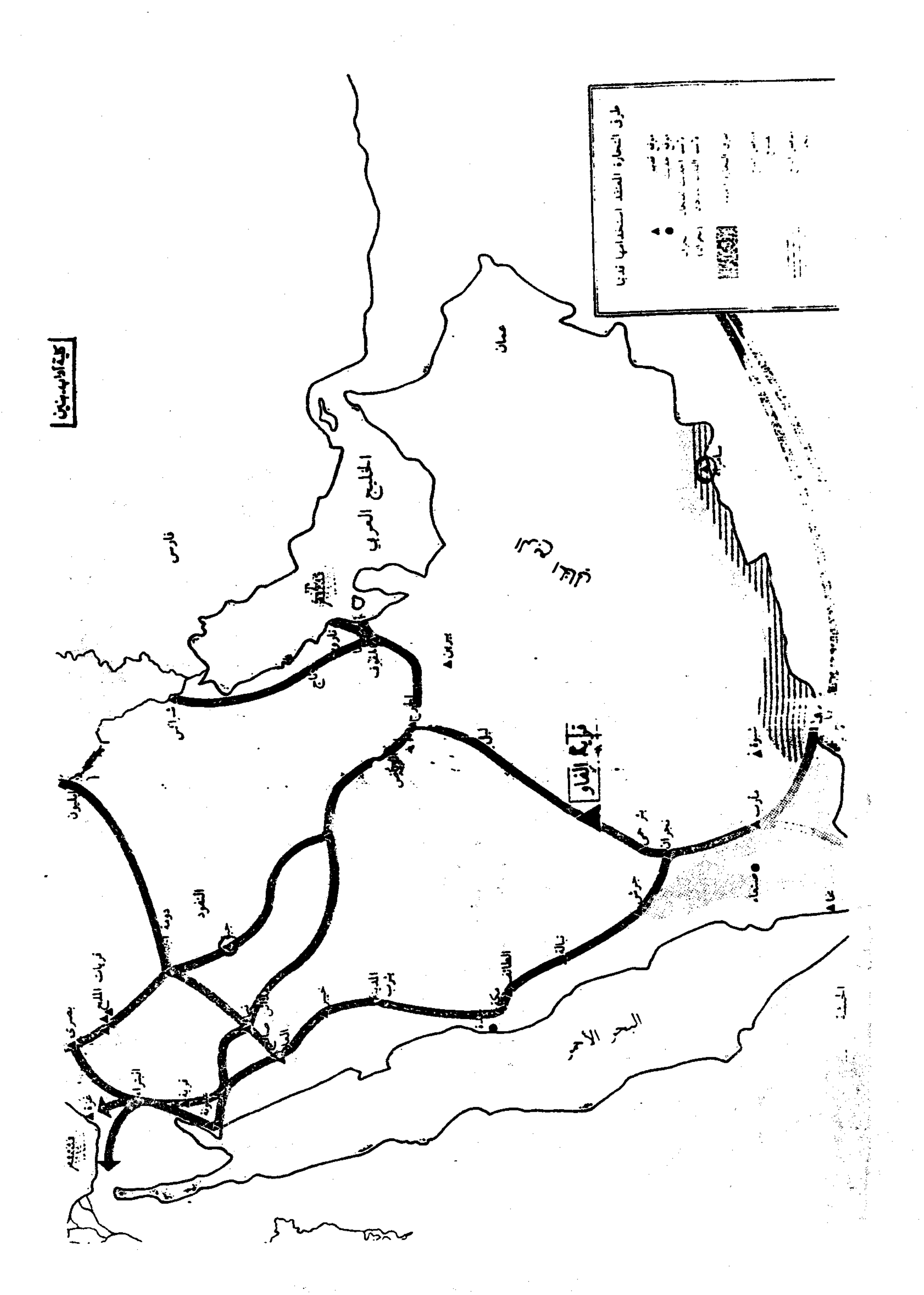
خريطة رقم ٥ ص ٦٦ - ٦٧



2. Political geography of the Periplus

الجغرافيا السياسية لمناطق التجارة الشرقية :

L. Casson , Periplus Maris Erythraei , Princeton , 1989 . p. 45 .



عبدالرحمن الأنصاري : قرية الفاو : صورة من حضارة شبه الجزيرة العربية
قبل الإسلام ، الرياض ، ١٩٨٠ (الخريطة الافتتاحية)

مطبعة الإنتصار لطباعة الأوفست

١٠ شارع الوردى - كرم الدكة
تليفون ٤٩١٦٥٩٧ / ٤٩٢٥٣٩٣